مقتطفات

من ديوان أديب العلماء

الشيخ عبد الحميد بن محمد باقر [illegible]

قصائد في مدح الرسول الأكرم وعترته الطاهرة عليهم السلام ورثائهم

ومختارات من أشعار معاصريه أو متأخري عصره

نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

مقتطفات

من ديوان أديب العلماء

الشيخ عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئي

١٢٢٠ـ١٣١١ هـ .ق

قصائد في مدح الرسول الأكرم ﷺ .

وعترته الطاهرة -عليهم السلام- ورثائهم

ومختارات من أشعار معاصريه أو مقاربي عصره

ممن جروا معه في هذه الحلبة

نشر مؤسسة الإمام الصادق -عليه السلام-

■ الكتـــــاب: مقتطفات من ديوان أديب العلماء الشيخ عبد الصمد الخامنئي
■ إعـداد وتقـديم: جعفر السبحاني
■ النـــــاشر: مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السّلام ـ قم
■ الطبعـــــة: الأولى
■ المطبـــــوع: ۲۰۰۰ نسخة
■ المطبعـــــة: مهر ـ قم
■ تاريخ النشـــر: ١٤١٤ هـ ق
■ الصف والإخراج الفني: مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السّلام ـ قم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا من فضل ربّي

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الشعر والشعراء

تقديم

جعفر السبحاني

لا يخفى على أحد ما للشعر من تأثير خاص في نفسيّة كل إنسان، يلمسه عند قراءته واستماعه له بحيث يتفاعل معه وينقاد لما يريده، ولهذا نرى بوضوح كيف إنّ السلطات الظالمة كانت تجعل منه أداة طيّعة لخدمة أغراضها وتوجّهاتها، فقد كانوا يستخدمون الشعراء لغايات ماديّة وأغراضٍ سياسيّة، فيرسلون قصائدهم لكل صقع وناحية في سبيل جلب الناس إليهم، فكان الشعر إلى جنب الخطابة وسيلتين اعلاميتين في تلك العصور.

إلاّ أنّ استخدام الشعر والشعراء لم يكن مختصّاً بأهل الهوى في أهدافهم فحسب، بل كان رجال الوحي والدين يستخدمون ذلك السلاح في تحقيق أهدافهم الإصلاحيّة. حيث يحدثنا التاريخ أنّ النبي الأكرم ﷺ كان يأمر شعراء عصر الرسالة كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وغيرهم بالرد على الشعراء الذين كانوا يهاجمون الإسلام وأهله بقصائدهم، كما حصل

حينما قال ابن الزبعرى في غزوة أُحد قصيدته التي مطلعها:

يا غراب البين أسمعتَ فقل — إنّما تنطُق شيئاً قد فعل

أجابه حسّان بن ثابت بقصيدة بمثل تلك القافية ومستهلّها:

ذهبت بابن الزبعرى وقعة — كان منّا الفضلُ فيها لو عدل

إلى غير ذلك من الشعراء المواكبين لهذا الخط في عصر الرسالة، الملتفّين حول الرسول ﷺ يعينونه في مجال الجهاد بالسيف والرمح، وفي مجال الكلام بالشعر والأدب، يبطلون بذلك حبائل شعراء المشركين وكذبهم، ويأخذون بمجامع قلوب المسلمين. فكان الأدب في اسلاك القريض، يدبُّ مع السيف والرمح جنباً إلى جنب.

لقد كان رسول الله ﷺ يرى أنّ تقدير الشعراء الصالحين، أحد الوسائل لنصرة الإسلام، حيث كانوا ينضحون الكفّار بنبل أكثر تأثيراً من نبلهم، وقد أصدر النبي ﷺ كلمته المعروفة في حقّ هؤلاء وقال:

«اهجوا بالشعر: إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل ـ وفي لفظ آخر ـ والذي نفس محمد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر» [1].

وقد اقتدت بالنبي الأكرم ﷺ عترته الطاهرة، فكانوا يقدّرون شعر الشعراء إذا كان فيه اجهار بالولاء واصحار بالحقيقة، ويكسونهم، ويهبون لهم الصلات، فعندما أنشأ الفرزدق (٢٠ ـ ١١٤) ميميّته المعروفة في عصر تسرّبت فيه الروح الأموية إلى المجتمع، وكانت على الألسن سدود، اهتزّ لها عرش الدولة الأموية لما

١ ـ مسند أحمد ٣/ ٤٦٠، ٤٥٦، و ج٢، ٣٨٧.

كان في شعره من بلاغة كاملة، ونكات بديعة ترشد الأُمّة إلى مراكز المثل والفضيلة ومنابع الحق ومصادره، وقد أحسَّ بذلك هشام بن عبد الملك الوالي على الحجّ أيّام خلافة أخيه الوليد، فحبس الفرزدق [١] وشدّد عليه الأمر، ولما بلغ الأمر إلى الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ قدّره وأرسل إليه أموالاً كثيرة.

هذا هو الرجالي المعروف في القرن الرابع «الكشي» يحكي لنا تقدير الإمام الباقر لقصيدة الكميت حيث دخل على أبي جعفر وقرأ قصيدته المعروفة التي مطلعها:

مَنْ لقلبٍ متيّمٍ مستهامِ   غير ما صبوةٍ ولا أحلام

فلما فرغ منها قال للكميت: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا [٢].

إلى غير ذلك ممّا نرى في حياة الإمام الصادق والإمام علي بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ من استماعهما إلى شعر الشعراء المجاهرين بالولاء، والمخلصين في طريق الحق، المستعدِّين للبلاء، وقد احتفل بهم التاريخ وبكلماتهم، فمن أراد فليرجع إلى حياة السيد الحميري، ودعبل الخزاعي، وبذلك تعرف قيمة ما أثر عن رسول الله ﷺ:

«إنّ من الشعر لحكمة» «وانّ من البيان لسحرا» [٣].

---

١ ـ عمر فرّوخ: تاريخ الأدب العربي ١/ ٦٦٢.

٢ ـ رجال الكشي: رواه عن زرارة/ ١٣٦.

٣ ـ صحيح البخاري: كتاب الطب باب من البيان سحراً وغيرها، لاحظ مسند أحمد ١/ ٢٦٩، ٢٧٣. سنن الدارمي ٢/ ٢٩٦.

نعم الشعر الذي لا يهدف إلاّ إلى التحليق في عالم الخيال، ولا يقصد به إلاّ المجون، ولا يقال إلاّ لأن يُغنّى به في أندية الفجور والفسوق، أو يُعظّم به الطواغيت، هو ذلك الشعر الذي ذمّه الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال:

﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾.

كما أنّ الاستثناء الوارد بعد هذه الآية ينظر إلى الطائفة الأُولى من المصلحين، ويقول: ﴿إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾ (الشعراء / ٢٢٤ ـ ٢٢٧).

الأدب الشيعي وولاء العترة:

إنّ الشعر قريحة انسانية أو موهبة إلٰهية يخصُّ بها سبحانه لفيفاً من عباده، فهي أشبه بنفائس مكنوزة تحت الأرض، أو معادن مستورة بركام من التراب، حيث تخرجها من الخفاء إلى الظهور الحوادث التي تواجه الشاعر في حياته. وتؤثّر في روحه وعقله، فعند ذلك تتوقّد القريحة وتتوجّه إلى صوب خاص. فالذي يوجِّه الشاعر إلى صوب أو ناحية صالحة أو فاسدة هي الروحية الخاصة التي يحملها الشاعر وراثة أو يكتسبها في حياته، فإن كان يحمل روحاً دينية أو عاطفة انسانية تصبو نفسه إلى تلك الجهة، ويكون شعره هادفاً إلى ذلك المرمى، فتجد في شعره المعارف العليا من الكتاب والسنّة، أو الدروس العالية من الفلسفة والأخلاق والعبر، أو عواطف ثائرة في فقدان الأحبّة ونزول الكوارث والحوادث المؤلمة، إلى غير ذلك من الحوافز والعوامل التي تعد زنداً لتأجيج تلك القوّة أو اشعال ذلك المصباح.

وإن كانت الروحية التي يحملها الشاعر روحية ساقطة تحِنُّ إلى المجون والدعارة أو جلب الأموال والثروات أو الارتقاء إلى مناصب مادية أو كسب الشهرة فترى شعره على أعتاب المغنّيات والجواري والملوك والطواغيت، ومدح أصحاب الثروة والقوّة.

ولمّا كان الشاعر الشيعي يحمل بين جنبيه ولاء للعترة، وحناناً وعطفاً لآل الرسول ﷺ فقد كانت لتلك الروحية أثراً بارزاً لظهور شعر تلك الطائفة على ذلك الصعيد، فقلَّما نرى شيعياً رُزِقَ موهبة الشعر إلاّ وله قصيدة أو قصائد في مدائح العترة أو ذكر مصائبها.

ولقد كان لحديث الطف أثر خاصّ لهداية قرائحهم إلى انشاء قصائد في مصائب آل الله، وبالأخص فيما جرى عليهم في أرض كربلاء، ولأجل ذلك ترى في الأدب الشيعي وبالأخص في شعرهم، عاطفة ثائرة بالنسبة إلى صاحب الثورة الإمام الطاهر: حسين العظمة وأولاده وأصحابه ـ سلام الله عليهم ـ.

يقول الدكتور عمر فرّوخ تحت عنوان: «التشيّع وأثره في الأدب»: إنّ الاضطهاد الذي تحمّله آل البيت، وتحمّله معهم أنصارهم وأتباعهم الشيعة، زاد في العنصر الوجداني في ذلك الأدب. أضف إلى هذا كلّه أنّ أدب الشيعة اكتسب مع الأيام نفحة دينية لما اعتقد الشيعة أنّ منصب الخلافة ليس أمراً دنيوياً ولكنّه جزء لا ينفصل من العقيدة الدينية نفسها. ومنذ العصر الأموي تبلور عدد من أوجه العقيدة الشيعية في السياسة كالقول بالحق الشرعي في الخلافة في مقابل الانتخاب والشورى في اختيار الخليفة ـ إلى أن يقول ـ: فمن الدلالة السياسية في شعر الشيعة في العصر الأموي قول كثير عزة، يخاطب عمر بن عبد العزيز، وقد كان عمر بن عبد العزيز قد أبطل لعن علي ابن أبي طالب على المنابر في

صلاة الجمعة.

وليّت فلم تشتم عليّاً ولم تُخِفْ ... بريّاً ولم تقبل اشارة مجرم
وصدّقت بالفعل المقال مع الذي ... أتيت فأضحى راضياً كل مسلم! (١)

عناية المسلمين بالأدب العربي:

إنّ القرآن الكريم نزل بلغة الضاد، فصار ذلك سبباً لعناية المسلمين بالأدب العربي ليتيسّر لهم فهم الكتاب العزيز، ولأجل ذلك نرى أنّ غير العرب من المسلمين قاموا بإحياء اللغة العربية وتدوين قواعدها، وتبيين أسرارها في

١ـ الدكتور عمر فرّوخ: تاريخ الأدب العربي: الجزء الأوّل/ ٣٧٣. ويطيب لي في المقام أن أنقل كلمة منه حول الشيعة فقد أعجبني بخوعه للحقيقة واجهاره بها وابتعاده عن التعصّب يقول: الشيعة اسم جامع للذين اتبعوا علي بن أبي طالب، وفرّعوا الآراء السياسية والدينية حسب ذلك. غير أنّ الآراء المتطرّفة جاءت من فرق من غلاة الشيعة كالكيسانية مثلاً ممّن لا وجود لهم اليوم. أمّا الجماعة المعروفة عندنا اليوم باسم «الشيعة» فهم الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية، وهم أهل مذهب إسلامي كالمذهب الشافعي والمذهب الحنفي من مذاهب أهل السنّة. وليس بين المذهب الجعفري وبين المذهب الحنفي من الخلاف في الفقه، أكثر ممّا بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفي. على أنّ الفارق النظري الباقي إلى اليوم بين السنّة والشيعة هو اعتقاد الشيعة أنّ الإمام عليّاً كان أحقّ من جميع الذين تقدّموه في الخلافة وأنّه كان يجب أن يتولّى الخلافة قبلهم، ثمّ إنّ الاعتقاد بذلك جزء لا ينفصل من المذهب.

وأين هذا ممّا تنشره الأقلام المستأجرة اليوم في نجد وتهامة حول الشيعة من تكفيرهم وسبّهم بحجّة أنّهم لا يقولون بعدالة كل من صحب النبي أو رآه، أو غير ذلك من الفروع التي شهّروا بها الشيعة من دون أن ينظروا إلى المعارف العليا التي تركها الشيعة. وإلى الله المشتكى.

مجالات مختلفة جنباً إلى جنب مع العرب. فتجد فيهم أدباء شامخين، وشعراء مجيدين ومحقّقين في اللغة، وعارفين بأسرارها كأنّهم أبناء تلك اللغة. يقف على ذلك من سبر تاريخ العلوم الإسلامية، مثلاً ففي حقل الشعر هذا بشّار بن بُرد، ومهيار الديلمي تليمذ السيد الرضي، والوزير الصاحب بن عبّاد، إلى غير ذلك من عباقرة الشعراء فكلّهم كانوا في مصاف الشعراء الكبار.

ولا غرو أن يقوم هؤلاء بما يقوم به أهل اللسان، إن عاشوا زمناً طويلاً بين أهل تلك اللغة، سواء في العراق أو الشام، إنّما العجب من أُناس كانوا بعيدين عن مراكز الأدب العربي، ولم يقيموا في تلك البلاد إلاّ أيّاماً قلائل ومع ذلك نبغوا في الشعر العربي نبوغاً يُغبطون عليه، ونظّموا أسلاكاً بغير لغتهم الأُمّ حتى كأنّ العربية هي لغتهم الأُمّ التي درجوا عليها منذ نعومة أظفارهم إلى أن اشتدت قواهم.

ونذكر هنا شاعرنا المجيد الذي اقتطفنا من ديوانه القسم الأكبر في المدائح والمراثي ألا وهو العلاّمة الحجّة الشيخ عبد الصمد الخامنئي المتوفّى عام ١٣١١ في مسقط رأسه.

إنّ منطقة آذربيجان منطقة خصبة حافلة بكل ما ينمي القدرات الذاتية للأفراد المتميّزين، وتربتها صالحة لتربية واعداد الكثير من الكفاءات والعقول الكبيرة، في مجالات مختلفة، ومن قرأ تاريخها وتاريخ علمائها ورجالها يقف على صدق ما أقول.

ومع أنّ اللغة السائدة في تلك المنطقة هي اللغة التركية الآذرية إلاّ أنّه نبغ فيهم أُدباء وكتّاب كبار في الأدبين: الفارسي والعربي. وكاتب هذه المقدمة، قد عاش في تلك المنطقة فترة من عمره فشاهد في عصره أُدباء بارعين في اللغة،

ومحقّقين في الاشتقـاق، وعارفين بقـواعد الصرف والنحـو عرفـاناً دقيقـاً، فكانـوا يدرّسون اللغة كما يـدرّسها الأزهريّون ممّن ارتضع هذه اللغـة منذ الولادة. وبحقٍ كانوا يتقنون اللغة العربية قراءة وكتـابة نظماً ونثراً، ويجيدون انشاء الشعر وانشاده، فتركوا ثروة كبيرة من الأدب العربي في تلك الناحية يعلو عليها تراب النسيان.

فلأجل الإشادة بفضلهم قمنا بطبع هذه المجموعة التي تتضمّن مقتطفات من ديـوان العـلاّمة الأديـب الشيخ عبد الصمـد الخامنئي، مـع نماذج رائعة ممّـا جادت به قرائح شعراء تلك المنطقة في خصوص القرن الرابع عشر في مراثي أهل البيت ومدائحهم، ونذكر لكل شاعراً نموذجاً من شعره، منهم:

١ــ العـلاّمة الأديـب الكبير الشيخ محمـد تقـي المعروف بحجـة الإسـلام التبريزي المامقاني، المولود سنة ١٢٤٧ـ والمتوفّى عام ١٣١٢ هـ.

٢ــ العلاّمـة الحجّـة نابغـة عصره الشيـخ مصطفى التبريـزي المولود سنـة ١٢٩٧ والمتوفّى عام ١٣٣٧.

٣ـ المرجع الديني الكبير آية الله ميرزا صـادق التبريزي المولود عام ١٢٧٤ والمتوفّى عام ١٣٥١.

٤ـ العلاّمـة الحجة ميرزا يوسف بن الفقيه ميرزا علي بن العـلاّمة محمد علي القرجه داعي (١٢٧٩ ـ ١٣٢٧) مؤلف لسان الحق أو مظالم المسيحيين.

إلى غير ذلك من أجلّة الشخصيات الذيـن جاءوا إلى صفحة الوجود وأدّوا رسالتهم الدينية وسجّل لهم التاريخ بعض مواقفهم ولكنّهم فوق ما سُجِّل.

نعم كانت المنطقة، منطقة مليئة بأساتذة الأدب، وكان النشاط العربي بالغاً مبلغاً كبيراً في تأثيره في تلك الشخصيات الرفيعة، بحيث تعشّقوها فأبدعوا فيها. وكان خرّيجوا تلك البلاد ممتازين بالتعرّف على الأدب وكانوا معروفين بذاك.

ويطيب لي أن لا يفوتني ذكر علمين كبيرين في الأدب واللغة اشادة بمنزلتهما السامية، واداء لبعض حقوقهما.

أحدهما: الأديب الأريب الشيخ علي أكبر الأهري (١٢٩٦ ــ ١٣٨٣) من تلاميذ المرجع الديني السيد أبو الحسن الانگجي (١٢٨٢ـ ١٣٥٧) ـ قدّس سرّه ـ كان آية في الأدب، وبصيراً في اللغة، وحافظاً للقواعد، قرأ كل ما وصل إليه من الأدب والدواوين، وكان يقرأ القاموس بسهولة، ويدرِّسه بقوّة. وقد درسنا عليه كتاب المغني وكان يُدرّسه مع التعليق، نقداً وتصحيحاً وتحقيقاً.

ثانيهما: العلاّمة الحجة المتتبع الخبير البصير الميرزا عبد الله المجتهدي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٦) ابن العلاّمة الميرزا مصطفى التبريزي أحد النوابغ القلائل، والذي نورد له قصيدة رائعة في هذا الكتاب.

كان ــ رحمه الله ـ من نوابغ عصره، ونوادر دهره، وكل من شاهده وجلس معه وحضر ناديه، تعجّب من احاطته باللغة والتاريخ والأدب، كان يتقِن اللغة العربية إتقاناً كاملاً، ضمن اتقانه للغات كثيرة كالتركية الآذرية، والاناضولية، والفرنسية، والانكليزية، والروسية، وكان أديباً في اللغة الفرنسية.

زار الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٢١ ـ ١٤٠٠) مدينة تبريز ونزل في بيته ضيفاً، وقضى معه قرابة شهر، وكان من كلامه في حق المضيِّف: «والله إنّ ميرزا عبد الله المجتهدي اسطورة التاريخ، يحكي لنا حوادث من لبنان، يعرف شخصيات أنا أجهلها شخصياً مع أنّي وليد لبنان ومن مواطنيه».

ولا أنسى أن أُسجّل هنا جانباً من الحوار الذي دار بين هذين العلمين البارزين، ومن ذلك أنّ الحديث كان يدور حول ظلم الكثير من الحكومات

لمواطنيها وما يترتب على ذلك من ضرر مباشر عليهم، وأنّهم ـ أي تلك الحكومات ـ أضر من الذئب على الغنم، فعندها انبرى الشيخ مغنية ـ رحمه الله ـ منشداً هذه الأبيات:

قولوا عن الذئب ما شئتم فسامعكم ... بمثل شرٍّ ذئاب الناس ما سمعا
الذئبُ يتركُ شيئاً من فريسته ... للجائعين من الذئبان إن شبعا
والمرء وهو يداوي المرء من بشم [١] ... يسعى ليسلب طاوي [٢] البطن ما جمعا

هذه الآبيات يبدو أنّها لأحد الشعراء الجدد.

فإذا رأيت أنّ العلاّمة المجتهدي قال: إنّ هذا المضمون جاء في شعر الشنفري الأزدي ـ أحد الشعراء الجاهليين ـ في لاميته المعروفة بلامية العرب وأنشد منها الأبيات التالية [٣]:

أقيموا بني أُمّي صدور مطيكم ... فانّي إلى قوام سواكم لأميل
ولي دونكم أهلون سيّد عملَّس ... وارقطُ زهلول وعرفاء جيأل [٤]
هم الأهل لا مستودع السر ضائع ... لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل [٥]

١ـ بشم من الطعام: أُتخِم.

٢ـ الطاوي: الجائع.

٣ـ الدكتور عمر فرّوخ: الجزء الأوّل: ١٠٣.

٤ـ «سيد»: الذئب. «عملس»: القوي على السير. «أرقط»: من كان في جلده قطع ملوّنة متجاورة والمقصود: النمر. «الرهلول»: الأملس. «عرفاء»: وحش ضار له شبه العرف. الضبع «جيأل»: الضبع التي تجمع صوفها.

٥ـ الجاني: المعتدي. «جر»: اعتدى.

زار القصاص العراقي «**خضر عباس الصالحي**» العلاّمة المجتهدي في داره بتبريز فكنت معهما فدار الكلام عن مهيار الديلمي وأدبه وشعره، فإذا رأيت العلاّمة المجتهدي قرأ فصولاً من ديوانه واستشهد على مقاصده ثم انتهى إلى الكلام إلى شخصيات أدبية في الإسلام، فما زال الزائر العراقي يتعجّب من تبحّره فيما يرجع إلى الأدب والتاريخ، وانّه كيف أنجبت هذه البلاد شخصيات لامعة في الأدب العربي، مع البعد بين البلدين، ولمّا غادر تبريز إلى طهران كتب مقالاً نشره في مجلة الأخاء يوم ذاك تحت عنوان «الشيخ عبد الله مجتهدي الذي رأيته»، فأعرب عن اعجابه باحاطته بأسرار اللغة، ودواوين الشعر وقال: إنّه من الشخصيات التي قلّما يسمح بمثلهم الدهر إلاّ في فترات خاصة.

هذا ما يرجع إلى حديث الأمس وما هو حديث اليوم؟ فقد خلت الديار من أمثال هؤلاء الأُدباء ولم يبق منهم إلاّ ظل، ومن تلك المصابيح إلاّ ضوء، وأصبحت المنطقة كما قال الشاعر الذبياني:

أمست خلاء، وأمسى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لبد (١)

عبد الصمد الخامنئي:

الحق - كما قيل ــ إنّ شخصية المرء بآرائه وأفكاره أوّلاً، وبآثاره التي خلّفها ثانياً، وهي أحسن دليل على وجود تلك الصدور المائجة بأشكال متعددة من علم مكنون، وأدب مفطور، وقريحة وقادة ومثل عليا، وفضائل رابية، بل أثر كل

١ـ ديوان النابغة الذبياني: المكتبة الثقافية/ ٣٠. أخنى عليها: غيّرها وأفسدها. «لبد»: زعموا أنّه نسر كان للقمان بن عاد عمّر طويلاً.

انسان عمر ثان له، و «جميل صنع المرء عمر ثان».

إنّ المؤرّخين ومؤلّفي كتب التراجم للعلماء والأُدباء وإن لم يسجّلوا عن حياة شيخنا المترجم وأساتذته، وتلاميذه وسائر آثاره العلمية وتاريخ ولادته شيئاً يذكر ـ تقصيراً أو قصوراً لكن ديوانه الماثل بين يدي القرّاء الكرام لخير مترجم لقريحته الوقّادة، وتوغّله في الأدب العربي: الجاهلي والإسلامي، ومقدرته على ابداع المعاني، وأنّه كان يداني أُدباء وشعراء القرون الإسلامية.

وفي الوقت نفسه ربّما يجري مجرى الشاعر الجاهلي في غزله ومراثيه، فتجد شعره يحكي عن حياته الساذجة وكأنّه انسان عاش في البادية ، ولم ير الحضر، فكأنّ شعره بعيداً عن التكلّف والتعقيد، ينطق بوجدانه، ويعلو شعره الصدق والبساطة، ويتبع خياله اتساع أُفق الصحراء، وبذلك جمع بين خصائص، الشعر الجاهلي ومزايا شعر الإسلاميين.

ومع هذا فقد ترجمه لفيف من الأعلام نذكرهم ونذكر نصوصهم حول حياته:

١ـ يقول المؤرّخ الشهير: محمد حسن اعتماد السلطنة: «ميرزا عبد الصمد الخامنئي: أُستاذ الأدب، وحجّة لغة العرب، وهو ينظم الشعر بطبع مستقيم، قريحة صافية، وهو نزيل «خامنه» في هذه الأيّام» (١).

٢ـ ويعرّفه شيخنا المجيز الطهراني بقوله: «عالم كبير، وفقيه بارع، كان من الأجلاّء في تبريز، وهو خامنئي الأصل، له في العلوم الشرعية قدم راسخة، وفي

١ـ المآثر والآثار: الطبع الحجري ١٢٠ و ١/ ٢٩٧، الطبع الحديث والكتاب أُلّف حوالي عام ١٣٠٥.

الشعر والأدب العربي واللغة يد طولى، وبراعة فائقة، وتبحّر غريب» [١].

٣ــ ويذكره السيد حسن الصدر في تكملته لأمل الآمل ويعرفه بقوله: «أُستاذ عصره في علوم الأدب، والحجة في لغة العرب» [٢].

٤ـ يقول الواعظ الخياباني: الشيخ عبد الصمد إمام الجمعة في «خامنه» (والد الشيخ علي إمام الجمعة الذي هو من معاصرينا)، يعد من العلماء والفضلاء ومن أُدباء آذربيجان المعروف بـ «البنود الاثنا عشر» جرى فيها على طريقة بنود العلّامة بحر العلوم المعروف باثني عشر، سوى انّ كل بند من بنوده في موضوع واحد بخلاف البنود المعروفة لبحر العلوم.

وأضاف انّه ذكر قسماً من أشعاره في أجزاء كتابه المعروف بوقائع الأيام ثم ذكر قصيدته اللامية في مدح النبي ﷺ وقصيدته النونية في مدح الإمام الرضا ـعليه السلامـ وستوافيك هاتان القصيدتان في هذا الكتاب.

وقال: وقد ناولني هذه القصائد سنة ١٣٠٨ وانتقل إلى رحمة الله عام ١٣١١ [٣].

٥ـ وقد ذكر ديوانه شيخنا الطهراني في ذريعته وقال: ديوان الشيخ عبد الصمد أو شعره وهو الخامنئي مولداً، التبريزي منشأ، النجفي مقطناً، الأديب الماهر، والفقيه الشاعر، له تقريظ كتاب «فرهنگ خدا پرستى» لمحرم المطبوع ١٢٨١ بقصيدة هائية في عشرين بيتاً في غاية الفصاحة [٤].

١ـ الطهراني: نقباء البشر ٣/ ١١٣١.

٢ـ المصدر نفسه.

٣ـ ميرزا علي الخياباني (١٢٨١ـ١٣٦٧) العلماء المعاصرون وكان المؤلف من خطباء تبريز ومن أبرز المؤلفين فيها له كتاب «وقائع الأيام» في أربعة أجزاء وقد أُعيد طبع الجزء الأوّل مع تقديم منّا.

٤ـ الطهراني: الذريعة ج ٩: القسم الثالث/ ٦٨٩. برقم ٤٧٩٤.

وكلامه هـذا يعرب عن أنّه كان قاطنـاً في النجف، ولعلّه يشير إلى الظروف التي حـلّ بها، وألقى رحله فيهـا للـدراسة وكسب المعـالي، وإلاّ فهـو كان نـزيل مسقط رأسه ومولـده إلى أن لبّى دعوة ربّه، وكفى في هذا شاهداً مـا ذكره صاحب الآثـار والمآثر وقـد ألّفه حـوالي ١٣٠٥، وتوفي المترجـم عام ١٣١١. فهـو في تلك الفترة كان نـزيل موطنه، وقـد وقفت على ما ذكره الـواعظ الخيابـاني من أنّه رآه في تبريز أيّام كهولته.

نعم كـان لاقامتـه في النجف تأثير خاص لتـوقّد ذكـائه، وتأجيج قـريحته، فأخـذ بانشـاء الشعر في نواحـي مختلفة، ثم رجـع إلى مسقط رأسه قـائماً بوظـائفه الرساليـة، ومقيماً لصلاة الجمعة، وإمامـاً للجماعة، ومرجعاً للمسـائل الفقهية في تلك الناحية.

وهو بعـدما غـادر النجف، وقفل إلى «خـامنه» يتشـوّق لصاحـب النجف صاحب الولاية الكبري ويقول:

يـا سَيّـداً فـاقَ أربـابَ النُهى شَــرفاً ... وســادَ أهـلَ المعـالي الغُـرِّ والشُّــرَفا

لم أنسَ عَهـدَكَ بالـوادي المقدَّسِ يـا ... لَهفـي على العَهـدِ والـوادي ومـا سَلفـا

قَدْ فـاضَ جَفناي حتـى جفَّ دمعُهما ... بعدَ النوى عن صُحَيبٍ أُسكنوا النَّجفا

يـا راكبيْ نـاقـةٍ وجنـاءَ نـاشطـةٍ [1] ... عُوجا [2] بـأرضِ غـريٍّ سـاعـة وقِفـا

عليكَ منّـي سـلامي مـا حييتُ فهـا ... وادي السـلام يبـاهي مــروةً وصفــا

١ـ ناشطة: وصف للناقة: وهي الشديدة في سيرها.

٢ـ عوجا: قفا، عوج: وقف.

وهو يعرّف شعره وأدبه بقوله:

هـذا ودونـك شعـــر صيغ مـن كلـم　　كـأنّـــه لـــؤلـــؤ قـــد راق منضـــود
للخود [(١)] إن أنشـد الـراوي قـوافيـه　　تكـــاد تـــرقـص مـن إنشـــاده الخود

ويقول في مخمسته الغرّاء التي نظمها أصلاً وتخميساً في مدح علي ـ عليه السلام ـ:

من مـرتقى الشعر أرقى اليـوم أصعبه　　لكـن أرى مشرب الأخـلاق أعـــذبـه
أخذت من بعض من عاشرت مذهبه　　لـــو أن وعـــاه ابـن عبـاد لأطـــربـــه
وطـار منـه الحجى من خفّـة الطـرب

ويقول أيضاً مفتخراً:

وانّنـــي رجـل لا الفقـــه ينكـــرني　　ولا القصـــائد تشـــطيراً وتضمينـــاً

---

١ ـ الخود على وزن «الحوت»: النساء الشابات.

إلماع إلى وطن الشاعر:

«خامنه» : ناحية في آذربيجان الشرقية، بينها وبين تبريز ٧٢ كيلو متراً.

وهي من توابع مدينة «شبستر» تبعد عنها ثمانية كيلومترات، وتقع في الشمال الشرقي من بحيرة أرومية تتبعها قرى وأرياف، وهي منطقة كثيرة الأشجار والمياه، وفيها أنواع الفواكه وتربتها تربة طيّبة خصبة. يتمتّع أهلها بالذكاء والثقافة ولهم أعرافهم وتقاليدهم الخاصة.

كانت «خامنه» في العصور السابقة مركزاً للتجارة وهمزة وصل في مجال الاقتصاد بين روسيا وتركيا وايران وسوقها الموجودة فيها حالياً، يكشف عن النشاط التجاري فيها سابقاً.

نبغ منها تجّار خبراء، ورجال مثّقفون ، وعلماء كبار، ترى ذكرهم في كتب التاريخ والسير ولا يسمح المقام هنا بذكرهم ولكن نشير إلى بعض شخصياتها وراء الشيخ عبد الصمد شاعرنا المجيد وولده البار:

١ـ الشيخ نجم الدين العارف الطائر الصيت. وهو أُستاذ الشاه إسماعيل الصفوي في الطريقة توفي فيها عام ٩١٥ وله مقبرة معروفة.

٢ـ الميرزا جعفر الخامنئي بن الحاج الشيخ علي أكبر، كان شاعراً وهو أوّل من فتح باب الشعر الحرّ في الأدب الفارسي وهو متقدم على الشاعر المعاصر المعروف بـ «نيما» ولد عام ١٣٠٤ ولم نقف على تاريخ وفاته، ذكر ترجمته غير واحد من المؤرخين المعاصرين.

٣ـ الشيخ محمد بن الحاج عبد الحميد الخياباني (١٢٩٧ ـ ١٣٣٩) ذلك الخطيب الماهر المناضل الشهير الذي كان لمواقفه البطولية، دور هام في ايقاظ الجماهير المسلمة الإيرانية في كفاحها ضدّ الاستعمار، وقد كان الشيخ الخياباني زميلاً لوالدي في الدراسة [1] وأُستاذاً ماهراً في الرياضيات والهيئة ، وخطيباً بارعاً، والجمل والكلمات بيده في منصّة الخطابة كأنّها شمعة يتصرّف فيها كيفما يشاء. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه تزوّج كريمة العلاّمة السيد حسين الخامنئي عام ١٣٢٥ الآتي ذكره وكان ينوب عنه في الإمامة أثناء غيابه.

٤ـ العلاّمة الحجة السيد حسين الخامنئي ـ قدّس سرّه ـ وهو جد قائد الثورة الإسلامية في إيران سماحة آية الله السيد علي الخامنئي ـ دام ظلّه ـ.

كان المترجم أكبر شخصية نبغ من تلك الناحية، وكان رجلاً فقيهاً مطاعاً في تبريز، يقيم الجماعة في جامعه وكانت الألوف المحتشدة من الناس يقتدون به كما كان الوالد يحكي لنا ذلك .

قال شيخنا المجيز الطهراني في ترجمته: عالم كبير وجامع بارع.

كان اشتغاله في النجف الأشرف، قرأ فيها الفقه والأُصول على مشاهير علماء ذلك العصر ومدرسيه وألّف في الفقه والأُصول وله فيهما تقريرات كثيرة، وأخذ المعقول عن الفيلسوف الميرزا باقر الشكي الذي ذكرناه في القسم الأوّل من «الكرام البررة» ص ١٦٣ وقد ذكر اسمه السيد الصدر في عداد تلاميذ الشكي عند ذكره في «التكملة»؛ عاد إلى «خامنه» فقام فيها بالوظائف الشرعية وسائر الأُمور، وكان مقدراً مرعى الجانب معظماً عند سائر الطبقات لصلاحه وتقواه

١ـ وهو الفقيه العلاّمة الحاج الشيخ محمد حسين الخياباني التبريزي ـ قدّس سرّه ـ (١٢٩٩ ـ ١٣٩١).

ونزاهتـه وانزوائه، وكان متفنناً له يد طـولى في المعقول والمنقول، و مهـارة في علوم الدين، قـام بأعباء الهداية والارشاد ولم يفتر عـن التأليف إلى أن توفي في «١٣٢٥» كما ذكره لنا ولده العالم السيد محمد المعروف بـ «پيغمبر» المتوفى في النجف والموقوفة كتبه لـ «مكتبة حسينية التسترية» في النجف.

وقد حدثنـا العلاّمة الحجة السيد مـوسى الزنجاني: أنّه هـاجر إلى النجف عام ١٣٠٩ وغادرها عائداً إلى تبريز عام ١٣١٤ هـ[١].

٥ــ آيـة الله السيـد جواد الخامنئـي (١٣١٣ــ ١٤٠٦) ابن السيـد حسين الخامنئي ـ قدّس سرّهما ـ. وقد انتقل من تبريز إلى المشهد الرضوي واستوطن فيها إماماً ومدرّساً[٢]. وكان بينه وبين الوالد توادد وتراحم.

٦ـ وزاد هذا البيت فخراً أنّ قائد الثورة الإسلامية من هذه الأُسرة الكريمة ولا يسع المقام للاشادة ببعض ما لهذا البيت الـرفيع، من الفضل والفخر وكفانا في ذلك ما انتشر في هذه الأيام عنهم في الكتب والجرائد.

ولعل القـائد ـ دام ظلّـه ـ إذا وقـف على هذا الـديوان، ومـا فيه من ألـوان الأدب، وذكر أجداده الطاهرين ـ سلام الله عليهم ـ لقدّر الجهود المبذولة في طريق نشره في حُلَّة قشيبة.

وفي الختام نلفت نظر القـارئ الكريم إلى أمر هام وهو: أنّـه قد جاء القسم الأكبر من قصـائد العلاّمة الشيخ عبـد الصمد الخامنئي في هـذا الجزء، وأمّا غيره فقد اقتطفنا من ديوان كل شاعر قصيدة أو قصيدتين، ولعل أهل الخير من عشاق الأدب يقومون بطبع دواوينهم كاملة.

١ـ نقباء البشر : ج٢/ ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ برقم ١٠٧٣.

٢ـ اقرأ ترجمته الضافية في «كنجينه دانشوران» للعلاّمة الرازي.

وهناك أُدباء في منطقة آذربيجان نظمـوا القريض بلغة الضاد، ولهم قصائد ومدائح وتغزّلات نذكر منهم ما يلي:

١ـ العلاّمة الحاج ميرزا علي التبريزي ابن المولى بن عبد العظيم وله تخميس قصيدة علي بن أبي عبد الله الخوافي المعروف ، مستهلّها:

يـــا زائراً لـــرســـول الله بضعتـــهُ وقـاصـداً لغـريب الطـوس تـربتـه
إن جئتـه قـل إذا شـاهـدت قبّتـه يـا قبر طـوس سقـاك الله رحمتـه
مـاذا ضمنت من الخيرات يـا طـوس

توفي ـ رحمه الله ـ في المشهد الرضوي عام ١٣٤٠ هـ.

٢ـ العلاّمة المتبحّر الشيخ علي الخوئي، صاحب المؤلفات الكثيرة، له ديوان وله تخميس قصيدة أبي الفتح البُستي. مستهلّها:

لأول القـول بـاسـم الله بنيـان محامـد العبـد للـرحمن شكـران
تجاهـلُ الشخـص للنعماء كفـران زيـادة المرء في دنيـاه نقصـان
وربحـــه غير محض الخير خسران

توفي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٥٠ هـ.

٣ـ العلاّمة القدير، والشاعر المفلق السيد هادي، المعروف بـ (سينا). أُستاذ في جامعة طهران، وهو أحد الشعراء البارزين، والأُدباء المعروفين، وله ديوان كبير.

ومن قصيدة له في التوسّل ببقية الله الحجّة بن الحسن العسكري، يقول:

يـا حجّـة الـرحمن يـا ابن العسكـري　　　يـا مَـن بيُمن وجـوده رُزق الــورى

مَـن للشريعـة والهدى ومـن الــذي　　　نشكـوا إليـه سـواك يـا خير الـورى

إلى غير ذلك من شعراء مخلصين، ومجاهرين بالولاء، والذين يضيق المجال بذكـر أسمائهم، ونماذج من قصائدهم. عسى أن يقـوم أحد أبناء الـوطن الغيارى بتأليـف جزء ثـان لهذا المشروع، يستـدرك به مـا فـاتنـا ذكره، أو لم نـذكـره لضيق المجال.

كما يتحتّم عليَ أن أذكر مـا بذل من الجهـود صديقنا الشيخ الجليـل والعالم الكبير الشيخ سلمان الخاقاني ـ قدّس سرّه الشريف ـ[1] في استنساخ ديوان الشيخ من قصاصـات متفرقة، وقدم لـه مقدمة مفصّله ذكر فيهـا ما كان النجف ـ يوم ذاك ـ يتمتّع من نوادي الأدب، وأندية الشعر، وجهابذة القريض، ولعل الله تبارك وتعالى يوفقنا لنشر تقديمه في آونة أُخرى إنّه على كل شيء قدير.

كما أتقدم بالشكر إلى الصديق الوفي العلاّمة الشيخ محمود البغدادي ـ دام علاه ـ فقد قرأ الديوان وأبدى ملاحظاته القيمة فجزاه الله خير الجزاء.

قم ـ مؤسسة الإمام الصادق

جعفر السبحاني

٢٨ من ذي الحجة الحرام

من شهور عام ١٤١٣

---

١ ـ كان الشيخ من أسـاتذة الفقه والأُصول وفي الوقت نفسـه من أساطين الأدب في مجالي النثر والنظم وكان يتمتـع بحسن الخلق ودماثـة الطبع وكان يجسـد سلوكه، سلـوك رجال أهل البيـت، وخلقُه خلقَ النبي الأكرم ﷺ وله آثار علمية، كلامية وأدبية منشورة وغير منشورة و آخر أثره مناظرته مع كتّاب ثلاثة من الذين بخسوا حق الشيعة بأقلام مسمومة. رحمه الله تعالى برحمته الواسعة.

العلّامة الأديب

الميرزا عبد الصمد الخامنئي

بسم الله الرحمن الرحيم

في مدح النبي الأعظم ﷺ

[بحر الكامل]

أمَــروا بِسُلــواني غَـداةَ تَـرحَّلــوا   هَـبْ أنّهم أمَــروا فَمـنْ ذا يَفعـلُ؟
لا القلبُ يَسلو عَنْ هَواهُ ولا الهوى   عَـنْ سـاحـةِ القَلْـبِ المتيَّمِ يَـرحـلُ
مـا هُنيتي بعدَ النَّـوى (١) إلاّ العَنـا   يـا مـوتُ زُرْني إنّنـي لـكَ أمْيَـلُ
ما الصَبرُ بعـدَ البُعدِ يحلـو كاسِمِـهِ   كَــلاّ وهـلْ صَبرٌ حَلى أو حَنظَــلُ
والعينُ تَهمـي مِـنْ مـآقيهـا دَمـاً   أسفـــاً ونيرانُ الجوانِــحِ تُشعــلُ
سَلْ مَـن أراقَ دمي بصـارمِ جَفنِـهِ   هَــلاّ يَـرقُّ وقَـدْ بَكتنـي العُــذَّلُ
ظبيٌ يَصيـدُ بـدَلِّـهِ أُسـدَ الشرىٰ (٢)   بـدرٌ بطَلعتهِ الكـواكـبُ تَخجلُ (٣)
فـالــوجـهُ منـهُ رواهُ صبـحٌ مُسفـرٌ   والصدغُ (٤) منـهُ حكـاهُ ليلٌ ألْيَـلُ

١ـ النوى: البعد.
٢ـ الشرى: محل للأُسود في جانب الفرات، يضرب به المثل في قوة أُسوده.
٣ـ وفي نسخة على الهامش بدل الشطر الأخير يقول: (يحيي القلوب بمقلتيه ويقتل).
٤ـ الصدغ : ما بين العين وأصل الأُذن. والشعر المتدلي على هذا المحل يسمّى صدغاً.

إنْ رامَ قتلي في الغَـــرامِ فـــأنّ لي ... بغـــرامِـــهِ قسماً يَطيـبُ المقتـلُ

يـــا مُخجِـلاً بَـدرَ التَّمامِ بحُسنِـهِ ... مـا لي أراكَ مِـنَ النَّـواظِـر تَخجَـلُ

ومِـنَ العَجـائبِ أنّنـي لـكَ بـاذِلٌ ... نفسي وأنتَ بـرَشـفِ ثغـرِكَ تَبخلُ

جُـدْ لي بـوصـلِ هُنَيهـةٍ أفـلا تـرى ... قَلبـي لـوصـلِ هُنَيهـةٍ يَتغلغـلُ

ويـــلٌ لمن شربَ المُدامَ محرمـــاً ... ومـــدامُ فيـكَ لشـــاربيـهِ مُحلّـلُ

يـا بـــابليِّ الطرفِ هـل بـكَ علّـةٌ ... أمْ طـــرفـكَ الفتـــانُ لي يتعلّـلُ

كـم علّلَتني فيـكَ أحــلامُ الكَـرى ... فـإلى مَ بـــالأحـــلامِ فيـكَ أُعلَّـلُ

أحـرِقْ بنارِ الشـوقِ كلَّ جـوارحي ... إلاّ الفـــوآدَ فـإنّـــهُ لـكَ منـــزلُ

تسري كبـدرِ التـمِّ سبحـانَ الـذي ... أسرى ببـــدرٍ في سنـــاهُ يضلـــلُ

صيَّـرتَ لي طيـبَ الـرقـادِ مُحرماً ... ودمـــي تُبيـحُ لقـــاتلي وتحلِّـلُ

يـــا أيُّها الحادي رويـــدكَ راجــلاً ... يَسعـــى وراءَ حبيبـــهِ ويُهرولُ

قد شـابَ في شرخِ الهوى لمْ يدّخـرْ ... زاداً ليـــومِ غـدِ عَلَيـــهِ يُعـــوَّلُ

إلاّ مـــديـحَ محمـــدِ خيرِ الـــورى ... نِعـــمَ المزادُ وخيرُ زادٍ يُحمـــلُ

أنشأتُـهُ مُستجـدياً أرجـو بـهِ ... في النشـأتينِ جَـوائزاً وأؤمِّـلُ
إنْ كنتُ أعجـمَ في اللسـانِ فـإنّما ... لقـريحتـي قـسٌّ يَـديـنُ وجـرولُ (١)
فالطبـعُ يُعربُ عن فصـاحةِ كلمـةٍ ... عـربيـةٍ لا في التحـاورِ مقـولُ
يـا لابسـاً ثـوبَ الحدادِ محرّمـاً ... انـزعْ فقـدْ وافى الـربيـعُ الأوّلُ
شهـرٌ تـولّـدَ فيـه مَـنْ كُسرَتْ بـه ... ايـوانَ كسرى. والملـوكُ تـذلّلـوا
وانكـبَّ أصنـامٌ وغـاضَـتْ سـاوةٌ ... وسماوةٌ فـاضـتْ وريـعَ المُشْعِـلُ
مَـنْ كـانَ محمـوداً حقيقتـهُ ومـا ... كـانـتْ حقـائقُ مـا سـواهُ تُبجَّـلُ
ليـثٌ إذا مـا احمرَّ أطـرافُ القَنـا ... غيـثٌ إذا مـا اغبرَّ عـامٌ مُمحـلُ
اللهُ كلّلـهُ بتشريـفٍ ولا ... فلـكٌ بـاكليـلٍ هنـاكَ مُكلَّـلُ
للهِ سرٌّ في طـويـةِ كنهِـهِ ... بـابٌ لـهُ للشـارحينَ مقفَّـلُ
لـولاهُ لم تُقبـلْ لآدمَ تـوبـةٌ ... وبـهِ نـدامـةُ كـلِّ عـاصٍ تُقبـلُ
هـو كعبـةُ الأمـلاكِ والملأُ الـذي ... طـوعـاً بكعبتـهِ يطـوفُ ويـرمـلُ (٢)

١ـ جرول: هو اسم الحطيئة الشاعر المعروف.
٢ـ «رَمَلَ» هنا، من رمَلَ رَمَلاً رَمَلاناً: هَرْوَلَ في مَشيِهِ.

بـأبي نبـيٌّ لا يفــوقُ مقــامَـــهُ مَلَـكٌ مقــرّبٌ أو نبـيٌّ مــرسـلُ

لـولاهُ مــا خُلِـقَ الثُّـريـا والثَّرى حــاشـا ولا مــاضي ولا مستقبـلُ

يـا مَن بيُمـنِ قدومـهِ وجـهُ الثَرى متكـــــرّمٌ. مُتمجّـــــدٌ. متهلّــلُ

ظلّـت بكَ الأبصـارُ خــاشعـةً كما كلَّ [1] النجـاشي منطقـاً أو هـرقلُ

فالعرشُ حيثُ رأى الثَّرى لكَ موطأً يـا ليتَ شِعـري كيـفَ لا يتهبلُ [2]

فـأمــرْ بما شئـتَ الـزمــانَ فـإنّــهُ عبــدٌ يطيــعُ لما تَشــاءُ ويفعــلُ

أنتَ الـذي جُبتَ السماواتِ العُلى في ليلـــةِ الأسرا كبــدرٍ يكمــلُ

هــذا الهلالُ مثـالُ نَعلـكَ في السما في عــالمِ الملكــوتِ بــاتَ يُمثـلُ

لـولاكَ مــا أحـدٌ تــدثَّـرَ بـالتُقـى يـــا أيُّها المدَّثّـــر المتــــزمّـلُ

هلَّلـتَ حيـث لا خــلاءُ ولا مــلا علَّمــتَ سكــانَ السماءِ فهلّلــوا

تُــوتـىٰ غـــداً بلــواءِ حمدٍ لم تــزلْ رســلُ الإلٰــهِ بظلّـــهِ تَتظلّــلُ

أنــتَ المدينـــةُ للعلــومِ وبـــابها المأتيُّ منــهُ ... المرتضـى والمدخـلُ

١ـ كلَّ: عجز.

٢ـ يتهبل: يفقد مشاعره من الاعجاب.

هـو شـافـعٌ يـومَ الحسـابِ مشفَّـعٌ ... هــو مــوئلٌ للخــاطئينَ مُعــوَّلُ

يــا مَخْزَنَ الأسرارِ والحِكَــمِ التــي ... معشــارهــا بعقــولنـا لا يُعقـلُ

قَدْ غالني صَــرفُ الزمانِ وليس لي ... غــوثٌ يُسـاعــدني عليـهِ ومَعقِـلُ

مــا لي إليــكَ وسيلـــةٌ تُجدى بها ... فــإليــكَ لا أدري بماذا أســأَلُ

والمزنُ دونَ نــداكَ تــؤتـى نعمــةً ... والبحـرُ عنـدَ نـوالِ كفِّـكَ جـدولُ

مـا مِــدحَتي إلاّ كــرِجـلِ جَـرادةٍ ... قـدراً وحــاشـا أن تليقـكَ أرجـلُ

لكنّهــا منّــي إليـكَ هـــديّــةٌ ... وأراكَ مِــنْ مثلي الهدايــا تَقبـلُ

صَلّــى عليـكَ وآلِكَ الــرحمٰنُ مـا ... لاحَ الثُّــريــا والسِّماكُ الأعــزلُ

موشح في ذكر النبي ﷺ
وابنته الطاهرة والأئمة الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ

[الكامل]

يــا صَحــبُ إنّ محمــداً خيرُ الــورىٰ　　صلُّـــوا عليـــهِ وسلِّمـــوا تَسليما
وعليــــاً الكــــرارُ في غَــــزواتِــــهِ　　يَحكـي ليوثَ الغـابِ في فَتكـاتِـهِ
سـلْ وقعـــةَ الصفِّين عـنْ حَملاتِـــهِ　　واسـأل حُنَينـاً عــن غُــزاهُ وخيبرا
صلُّـــوا عليـــهِ وسلِّمـــوا تَسليما

صلُّــوا على الــزهــراءِ بضعــة أحمدِ　　وَرَدَتْ مـن العليــاءِ أحلى مــوردِ
لـــولا الـــوصيُّ المرتضى لم تعقــدِ　　فتـــزوجـتْ ربَّ المعــالي حيـــدرا
صلُّـــوا عليـــهِ وسلِّمـــوا تَسليما

وأبـــو محمّـــدِ الـــزكي المجتبـى　　فخـرُ الأئمـةِ زيـنُ أصحـابِ العَبـا
اللهُ طـــاعتَـــهُ علينـــا أوجبــا　　أفعــالُــهُ للخيرِ كــانـتْ مصــدرا
صلُّـــوا عليـــهِ وسلِّمـــوا تَسليما

ثــمّ الحسينُ أسيرُ كــربٍ والبَــلا أضحى بأرضِ الكربـلاءَ مـرمّلا
وجــوادهُ ملــويَّ سرجٍ أقبــلا ينعى الطّـريحَ بفيضِ دمعٍ أحمرا
صلُّــوا عليــهِ وسلِّمــوا تَسليما

والعـابدُ السجادُ مصباحُ الـدجى في نعتــهِ سحبان كـان ملجلجـا
قــد نـوّرَ الـدنيا بـوجـهِ أبلجـا أكـرمْ بـوجـهِ كـالـدراري أزهــرا
صلُّــوا عليــهِ وسلِّمــوا تَسليما

والعــابــدُ السجــادُ والي الخشَّعِ فخــــرُ المصلّينَ الجوادُ الأرفــعُ
أدمى المحيّـا للطفـوفِ بمــدمعِ لا زال محزونـاً على خطـبٍ جـرى
صلُّــوا عليــهِ وسلِّمــوا تَسليما

ومحمــدٌ بــدرُ الــرشــادِ البـاقـرُ تَـرنـو إليــهِ مسـاجـدٌ ومنـابـرُ
هــو في الخلائقِ بـالمكـارمِ فـاخـرُ تلقى الأنـامُ حَصىً وذلكَ جـوهـرا
صلُّــوا عليــهِ وسلِّمــوا تَسليما

والصـادقُ الأيقـانُ مصبـاحُ الـدُّجى لا زالَ للــدينِ القـويـمِ مُـروّجـا
أضحى بـهِ وجــهُ الشريعـةِ أبلجـا لــــولاهُ أعــــلامُ الهدى لَمَ تُنشرا
صلُّــوا عليــهِ وسلِّمــوا تَسليما

والجوهرُ المخزونِ موسى الكاظمُ | موسى الكليمِ لهُ قرينٌ دائمُ
هو في البريةِ يوم حشرٍ حاكمُ | يَعطي ويمنعُ من اتاهُ الكوثرا

صلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسليما

وعليٌّ المدفونِ في طوسِ الرضا | والآيةُ الكبرى الإمامُ المرتضى
يَرضى بما يجري عليهِ مِنَ القَضا | ويحبُّ ما شاءَ الإلهُ وقدَّرا

صلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسليما

مِنْ حجةِ الباري محمدِ التقي | نَرجو انفتاحَ كلّ بابٍ مغلقِ
لولا مفاتِحُ جودهِ لم نرزقِ | من يمنهِ وحنانِهِ رُزقَ الورى

صلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسليما

والآيةُ الكبرى محمدِ النقي | كمْ فيهِ مِنْ معنى رقيقٍ مُغلقِ
عَنْ وصفهِ قدْ كلَّ فهمُ المفلقِ | للهِ مَنْ أعيى العقولَ وحيَّرا

صلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسليما

وعليٌّ الهادي أبو الحسنِ الزكي | غوثُ العفاةِ وملجأُ المتمسكِ
هو مفزعٌ للخائفِ المستمسكِ | هيهاتَ أن يَرضى إذا خطبٌ عَرا

صلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسليما

وأبـو محمـدِ الـزكـيِّ العسكـري ورثَ الفخـارَ مـن النبـيِّ الأطهـرِ
والشبلُ يحكـي الليـثَ عنـدَ المخبرِ مَـنْ ذا يبـاري آلَ أحمد مفخـرا
صلُّـوا عليـهِ وسلِّمـوا تَسليما

والقـائمُ المهـديُّ آيـةُ رحمةٍ الغـائبُ المرجـى لـرفـعِ ملمـةٍ
منـهُ الأديـبُ رجى السبـوغَ لنعمـةٍ في النشـأتينِ وكـان سـؤلا أحقـرا
صلُّـوا عليـهِ وسلِّمـوا تَسليما

في مدح الإمام عليّ -عليه السلام-

[بحر الخفيف]

يا نَديميَّ عاطياني المُداما ... رُبَّ داءٍ تَشفيه أيدي النّدامىٰ

هاتيا من بناتِ فِكرٍ عَروساً ... زوّجتْ منْ بني السحابِ رِهاما [1]

هي شمسٌ قبلَ المزاجِ وبدرٌ ... بيدهِ قد تضمَّنتْ أنجاما

تَصقلُ اللُّبَّ تَشرحُ الصدرَ تُغني ... سَقمَ الروحِ تُسمنُ الأجساما

قد حكى لونَها لهيبَ جحيمٍ ... وهي كانتْ لشاربيها سَلاما

مُرّة الطعمِ. وهي حلوٌ فتُطفي ... - وهي نارٌ - مِنَ الصدورِ أواما [2]

فوقها قد بدتْ فقاقيعُ بيضٌ ... مِنْ دِمقسِ الحريرِ تَحكي الخياما

هيَ ياقوتةٌ فحلَّتْ عليها ... مِنْ جُمانٍ كفُّ الشمالِ نظاما

في زُجاجٍ كأنّهُ الكوكبُ الدريُّ ... نوراً جلا سناهُ الظَّلاما

١ـ الرهام: رذاذ المطر الخفيف.

٢ـ الأوام: شدة العطش.

أسقمتني الغبوقُ [١] منها وأضْنتْ ... فاسقياني الصبوحَ تَشفي السُّقاما

فـــدواءُ الخمارِ [٢] كـــالـــداءِ خمرٌ ... يـــا لـداءٍ أضحـتْ دواءَ النِّدامـــا

هي تحكـي الشقيقَ صرفـاً ومـزجـاً ... نـرجساً ظلَّـهُ حبـابٌ تسـامـى

عتقـتْ. فهيَ مِـنْ سـوالـفِ عصرٍ ... حـدّثتنـا لــو استطـاعـتْ كـلامـا

قـد وعى سمعُهـا أحـاديـثَ نـوحٍ ... ورأتْ بـالعيـونِ حـامـاً وسـامـا [٣]

هـي مقتـولـةٌ بماءٍ ولـو لم يُطفئـو ... هـــا بـــهِ لشبّـتْ فـــدامـــا [٤]

تُـــذهـبُ الهمَّ حين تجلـــو وتـأتي ... بسرورٍ مـــا دامـتِ الـــروحُ دامـــا

لـو حَسا مِنْ كـؤوسها الهَرِمُ المحـ ... ـــدودبُ الظهرِ لاستحـالَ غُلامـا

طـافَ سـاقٍ بكأسِهـا وهـو يحكي ... خَيـــزرانـــاً إذا تثنّـــى قِـــوامـــا

يُقتـلُ العـــاشـقُ المعنّـى بلحـظٍ ... وبلحـظٍ سـواهُ يُحيـي العِظـامـــا

خمَّر اللهُ طينَـــــهُ بـــــرحيـــقٍ ... جعـلَ المسـكَ للـــرحيقِ خِتـامـــا

١ـ (الغبوق): ما يشرب في العشيّ وفي مقابله (الصبوح) وهو ما يشرب عند الصباح.

٢ـ الخمار: هو الصداع الذي يحدث للمعتاد من عدم شربه للخمرة. فهو مرض ولكنّه يداوى بالخمرة.

٣ـ حام وسام: أبناء نوح.

٤ـ الفدام: الملتهب كالجمر.

قد حَكى الصبحَ خدُّهُ والدياجي صدغُهُ واستقلَّ بدراً تَماما

أودعَ اللهُ فيهِ كلَّ جمالٍ حيّرَ العقلَ. هيَّمَ الأوهاما

ماسَ دَلاً ورقَّ نُطقاً فَمِنْ هذينِ فاقَ الغصونَ والآراما [١]

ونَضا مِن جفونِهِ سيفُ لحظٍ كان أمضى مِنَ الحسامِ صِراما

يَخْجَلُ الاقحوانُ والآسُ منهُ الفرعُ والثغرُ بهجةً وابتساما

فاقتنعنا بالطَّيفِ منهُ وحاشا أنْ نُلاقيهِ يقظةً أو مناما

إنْ يكُ الوصلُ زادَ للحبِّ نقصاً فَلِمَ ازدادَ زائروهُ غَراما

فَتَراه يشبُّ قُرباً وبُعداً في حنايا الضلوعِ مِنّا ضِراما

يا خليلَيَّ لا تَلوما خَليلاً ربَّ واعٍ يَعُدُّ هجراً مَلاما

إنّما العاذلُ والخليُّ بوادٍ وبوادٍ ملء قلبٍ هياما

بأبي أنت أيُّها الريمُ عَطفاً لأسيرٍ ألقى إليكَ الزِّماما

أمِنَ العدلِ أنْ تُحلّل قَتلي وتَرى لي مُباحَ وصلٍ حَراما؟

١ـ الآرام: أُصول الشجر.

فَتحكّـم عليَّ أمـراً ونَهيـاً ... لستُ أعصي في حبّك الأحكاما

اتخذتَ الفـؤادَ منّـي مقـامـاً ... أينما كنـتَ رحلـةً أو مُقـامـا

لسـتُ أنسـى واللهِ أيـامَ أُنـسٍ ... إنْ نسيـتُ العهـودَ والأيّـامـا

كـمْ لنـا معهـدٌ بـوادي ثُمامٍ ... يـا سقـى اللهُ تـربَـهُ والثُّمامـا (١)

كلّما هبّتِ الصَّبـا منـهُ هـاجـتْ ... لـوعتـي في الحشـا وزادتْ غَـرامـا

لم يكـن بعـدكَ العَـرارُ عَـراراً ... بـربـاهُ ولا الخَزامـىٰ خَـزامـىٰ (٢)

يـا رعـى اللهُ ليلـةً بـتُّ فيهـا ... سـاهـراً. والأنـامُ خَـرّوا نِيـامـا

كنـتُ طَـوراً أمـصُّ خمرةَ ثغـرٍ ... ومِـنَ الخمـرِ تـارةً ذقـتُ جـامـا

أسكـراني معـاً. ولكـنَّ فـرقـاً ... بين سكـريهما بلُبّـي دوامـا

فَخلـونـا ومـا خَشينـا رقيبـاً ... أو حسـوداً أو طـارِقـاً نَمّـاما

والـدُّجـى مسـدلٌ علينـا حِجـاباً ... مِـنْ جـلابيبـه ومُـرخٍ ظَـلامـا

١ـ الثمام: نبت ضعيف له خوص.

٢ـ العرار: نبت نـاعم له ريح طيبـة. والخزامى نبت بـري طيب الريـح، وقد قيل: (أطيـب من نَفَس النعامى بين أوراق الخزامى).

كنتُ وحدي. وخلّتي والثُّريا ... ثالثٌ دوننا أبى أنْ يَناما
وظهيري مِنَ القَنا سَمهريٌّ ... أسمرٌ دلّ للنفوسِ الحِماما
ومعي صارمٌ يُباري قضاءً ... مثلُ رأي الأميرِ كفلُ اليتامىٰ
ذلكَ البدرُ كوكبُ السعدِ طودُ ... المجدِ مِنْ كفّهِ استقلَّ الغَماما
أريحيٌّ يُعانقُ البيضَ شَوقا ... ويرى السمرَ وقعَها أحلاما
قيَّدَ المارقينَ. فكَّ الأسارا ... أنقذَ اللائذينَ أردى الخِصاما
ظنّ يومُ الوغى صليلَ سيوفٍ ... نغمةَ الورق والزئيرِ بناما
يُسكِنُ الجورَ. ينصبُ العدلَ طبعاً ... يخفضُ الكفرَ. يرفعُ الإسلاما
قد حَوى العلمَ والسَّماحةَ والـ ... ـعَلياءَ والمكرَماتِ والإقداما
وتَربّى في حِجرِ عقلٍ رضيعا ... وتَردّىٰ ببُرْدِ مجدٍ فِطاما
إنّهُ والتُقى رضيعا لُبانٍ ... وُلِدا مِنْ أبٍ تقيٍّ تؤاما
يا أميراً يسودُ كلَّ أميرٍ ... وكريماً يفوقُ قَوماً كِراما
هاكَ نَظماً يُريكَ عقدَ اللآلي ... والثُّريا تَلألؤاً وانتظاما

راقَ لفظـاً. ورقَّ معنىً وطـارتْ بـالخوافي ورقـاؤهُ والقـدامى

يسكبُ العـذبَ منطقي بيـدَ أنّي جـرَّعتني أيـدي الصروفِ سِهامـا

ولسـاني يـومَ الـرهـانِ مجلّ وبنـاني يجلـل الأقـلامـا

أرتجي منكَ في الاطـالـةِ عُـذراً فلعمـري (الكـلامُ جـرَّ الكـلاما)

إنْ بـدأتُ بهزلِ شعـرٍ نسيبـاً قـد جعلتُ الختـامَ أسمى خِتـامـا

مـا تَردى الـرياضُ سُنـدسَ خضرٍ وجـلا الـزهـرُ في الـربيعِ لِثـامـا

عِشتَ في الـدهـرِ مـائسـاً بفخـارِ وتعـاليـتَ شـوكـةً واحتشـامـا

هذه المقطوعة الشعرية
يتشوّق فيها إلى النجف ومن سكن النجف
والقبر الذي شرّف النجف وهو قبر عليّ -عليه السلام-

[بحرُ البسيط]

يـا سَيّـداً فـاقَ أربـابَ النُّهى شَـرفاً ... وسـادَ أهـلَ المعـالي الغُـرِّ والشُّـرَفا
لم أنسَ عَهـدَكَ بالـوادي المقدَّسِ يـا ... لهَفـي على العَهـدِ والـوادي ومـا سَلفـا
فإنْ عفـا ذلكَ الـوادي فَفي خَلَـدي ... مغنـىً لـهُ عـامـرُ الأرجـاءِ ليسَ عَفـا
فَـلامحت زعـزعُ الأريـاحِ سـاحتَـهُ ... ولا عـدا المزنُ عنهـا كُلّما وَكَفـا
قَدْ فاضَ جَفنـاي حتى جفَّ دمعُهما ... بعد النوى عَنْ صُحَيبٍ أُسكنوا النَجفا
إنْ أتلفَ النـاسُ في حبِّ المها عُمُـراً ... فـإنَّ عُمـري غـدا في حُبِّهـم تَلَفـا
يـا راكبيْ نـاقـةٍ وجنـاءَ نـاشطـةٍ ... عـوجـا بأرضِ غـريٍّ سـاعـةٍ وقِفـا

كَـمْ لائمٍ لامَنـي في حـبِّ تُــربتِــهِ   فيــا بغيـــة تــراب غيرهـــا وعَفــا

ثمّ اسـألا عن رِباهـا قبرَ حيدرةِ الــ   ـكرارِ مَـنْ هوَ في التنـزيلِ قد وُصِفـا

فـأتحفـاهُ سَــلامـي خـاضِعَينِ وهــا   مــا لي ســواهُ وقَــدْ أرسلتُــهُ تُحفــا

عليكَ منّـي سـلامي مـا حييتُ فهـا   وادي السـلام يبــاهي مــروةً وصفـا

في مدح الإمام الطاهر عليّ بن موسى الرضا

-عليه السلام-

[الطويل]

أبـــا حســـنٍ في ذاتِـكَ العقـلُ حيرانُ
فيـاليـتَ شعـري مـا لـوصفِـكَ عنـوانُ

لَعمــركَ أنّي في ثَنــائِكَ عــاجِــزٌ
وهــا أنــا أقــوى النــاسِ قــولاً ولسّــانُ

وصيتُـــكَ التقــــوى وشيمتُـــكَ الهدى
وعـــادتُـكَ الجدوى وفعلُـكَ إحســـانُ

ومــــا الــرّســلُ في الانســـانِ إلاّ أعينٌ
وأنــتَ لتلـكَ الأعينِ القـــدسِ انســـانُ

وفيضـكَ مـــا الغبراءُ ميـــدانُ جــريــهِ
لـــهُ عـــرصـــةٌ خضراءُ مجرىً وميـــدانُ

خُلِقــتَ مِــنَ النـــــورِ الإلهي حَيــثُ لا
ظـــلامٌ وامكـــــانٌ ونـــورٌ وأكـــــوانُ

غَــدوتَ لــذاتِ الــواجبِ الحقِّ مُظهِــراً
فما سرّ أنْ يحوي وجــــودَكَ امكـــــانُ

على الملأ القُـــدسي فُضّلتُمـــوا. وهـــا
لشيعتِكُــم فَضــلٌ عَلَيهــم ورُجحـــانُ

وأرواحُكُــمْ نـــورٌ بسيــطٌ حقيقــــةً
تُشخــــصُ مِنكــمْ للتمائزِ أبــــدانُ

تكثّـــرتِ الأسماءُ والـــذاتُ واحــــدٌ
وليْ مِــنْ كتـــابِ اللهِ في القـــولِ بُــرهـــانُ

فـــإنَّ كتــــابَ اللهِ آيٌ وسُـــــورةٌ
ووَحـــيٌ وتَنـــزيــلٌ وذِكـــرٌ وقـــرآنُ

رَجا ــ يا بنَ موسـى ـ قربَ هــارونَ مَضجَعاً
لأجلِــكَ هـــارونٌ ومـــوسـى وعِمْـــرانُ

ولا فضلَ للــرجسِ الــذي أنـتَ جـارهُ

كما أنّ أرجـــاســـاً لأحمدَ جــيرانُ

لقــد أمَّ بيـــتَ اللهِ ـ بـالشقِّ ـ أنفــسٌ

ولِيْ قبركَ البيـــتُ الحرامُ وأركـــانُ

وإنْ نحــروا هَــديــاً مِـنَ النـوقِ في مِنـىً

فهــا دونـكَ الأرواحُ هـــديٌ وقُــربــانُ

قَصدنــاكَ لا الـرِّضـوانَ عنـدَ سـلامِنا

فــانّــكَ في دارِ الســلامِ لَــرضـوانُ

وزُرنــــاكَ لا للحـــورِ بــلْ لــكَ إنّما

لـــزوّاركَ الـــولــدانُ والحورُ غلمانُ

أبــا الحســنِ الــراضي بكــلِّ فجيعــةِ

لقــدْ هــاجَ في قلبي بــذِكـركَ أحـزانُ

لقــد كــانَ قلبـي قبـلَ ذِكـركَ لــؤلـؤاً

ولكنّــهُ في رزئكَ اليــوم مــرجــانُ

قُتلـــتَ بســـمٍّ في ديـــارِ مُضيعـــةٍ
غــريبــاً ولم يَنــدبــكَ وِلْــدٌ واخــوانُ

تَفتَّـــتِ الأكبـــادُ مِنــكَ وبُضِّعَــتْ
وفي وجهكَ الــوضّــاحِ للسُّــمِّ ألــوانُ

تخطُّ بـــرجليــكَ الترابَ وتَلتـــوي
كـأنّـكَ سليـمٌ [1] والحشـا منـكَ حـرانُ

بَـــدا لــكَ قبرٌ قبـلَ نُـــوحٍ ممُهَّـــدٌ
ومـــا هَـــدَّهُ ريحٌ ورجـفٌ وطـــوفـــانُ

وقـــدْ فـــاضَ رزقُ الحوتِ في الماءِ منكـمُ
لـــذا لاحَ في مثـــواكَ مـــاءٌ وحيتـــانُ

وِمْـنُ سُنـدسٍ خضرٍ وطُــوبـى وكَـوثـرٍ
لنعشِـكَ تــابــوتٌ وغُسـلٌ وأكفـــانُ

١ـ سليم هنا بمعنى: من لدغته الحية.

فــواعجبــاً مِـنْ حضرةٍ قَــدْ ثَــوى بها
خــزانـــةُ أسرارٍ. ونــورٌ. وبــرهــانُ

ووا عجبــاً مِـنْ أرضِ طــوسٍ جَـرى بها
رَحيـــــقٌ وتَسنيــــــمٌ ورَوحٌ وريحانُ

أبـــا حســنٍ وابــنَ الــزكـي محمــدٍ
ومَــنْ هــو للــزوّارِ في الحشرِ دَيّــانُ

رجـــوتُ بتسليمــي رضــاءَك انّـــهُ
رضـــاكَ بتسليمــي مِــنَ اللهِ رضــوانُ

عليــكَ ســلامُ اللهِ مــا حَـجَّ مُــحْرِمٌ
ورامَ ضَريحاً منــكَ رجــلٌ ورُكبـــانُ

في رثاء النبي الأكرم ﷺ

[الطويل]

مُصـــابي صَحيـحٌ والسلـــوّ عليـلُ
وجُهـــدي خَفيـفٌ والهمـــومُ ثقيـلُ

ودَمعـــي طليـــقٌ والفـــؤادُ مقيّـــدٌ
وبـــاعـي قَصيرٌ والسُّهـــادُ طـــويـلُ

وبينَ ضُلـوعـي الـوجـدُ جمَّتْ شـؤونـه
وشـــارُ الأسـى في الـــواجـديـنِ غليـلُ

لقـــدْ ودّعَ الـــدُّنيـــا الـــزَّكي محمــدٌ
فـأودعَ حُـزنـاً في القُلـــوبِ يَطـــولُ

نبـــيٌّ بـــــهِ أسرارُ غيـــبٍ تكشّفــتْ
سراجٌ مُضيءٌ لـــــلأنـــــامِ دليـــلُ

بحضرتِـــهِ لاذَ النبيّـــونَ خُضّعـــاً
وكـــلُّ وصيٍّ في فنـــــاهُ دَخيـــلُ

قَضى نحبُــهُ. والــدَّهــرُ يــوم رحيلــهِ
لــــهُ مــدمــعٌ يحكــي الغمامَ هطـــولُ

بـهِ اغبرّتِ الــدُّنيا وصــاحتْ ريــاضُها
وبُسَّـــتْ رواسيهـــا ورّجّـــت سهـــولُ

حَـــوىٰ شخصـــهُ قبرٌ وأنجـــمُ قـــدرِهِ
يـــدومُ سنـــاهـــا مـــا لهنَّ أُفـــولُ

أُصيبـتْ ثَنـــايـــاهُ وشُـــجَّ جبينُـــهُ
على شيبـــهِ منـــهُ الـــدمـــاءُ تسيـــلُ

وإنْ أنـــسَ لم أنـــسَ السقيفـــةَ أهلهـــا
وكـــلٌّ إلى مـــــا أضمـــــروهُ يَميـــلُ

قَـــدْ اجتمعـــوا فيهـــا ونعـــشُ نبيّهـــمْ
لقـــىً بين أيـــــدي الأكـــــرمينَ ذليـــلُ

في رثاء الإمام أمير المؤمنين

ـ عليه السلام ـ

[الطويل]

بقلبيَ وَجدٌ أضمرتْهُ الأضالِعُ
وهيهاتَ أن تُطفي لَظاها المدامِعُ

إذا ما أكفَّ الدمعُ بالكفِّ تنثني
تلطخُ منها بالأكفِّ الأصابعُ

سَهرتُ الليالي والعناءُ مُصاحبي
إذا ما استقرّتْ للرقودِ المضاجِعُ

أُكابُدُ حُزناً صادِعاً لتجلّدي
أجلْ. كلُّ حزنٍ للتجلّدِ صادِعُ

ولي زفراتٌ صاعداتٌ كأنّها
ليعقوبَ في الأحشاءِ منّي ودائعُ

وإنّ شِعاري الصبرَ في كلِّ طخيةٍ
ولكنّني في ذلكَ الرزءِ جازعُ

أأسلـــو وأُضحــي للمــرادي بـــاسِماً
مـــرادٌ بمـــنْ في قَتلِـــهِ الكـــونُ دامـــعُ

هَـوى سيفُـــهُ الماضي الغِـراريـنِ ســاجِـداً
على أُمّ رأسِ المرتضـــى وهـــــو راكِـــعُ

وكـــانَ هـــو السيــفُ الإلهي لم يَــزلْ
بـــهِ أحمدٌ عـــنْ كـلِّ شرٍّ يُـــدافِـــعُ

فيـــا لهفَ شيـبِ بـــالعبيـطِ مُخضَّـبِ
ورأسٍ عليـــهِ مُـــرهَـفُ البيـضِ واقِـــعُ

لـــهُ جبهـــةٌ للهِ طـــالَ سجـــودُهـــا
شُمـــوسُ الهدى والـــرشـدُ منهـــا طُـــوالِعُ

وكيـــفَ سُلـــــوّي والسماواتُ أطبقـــتْ
على الأرضِ وانهدَّت جبـــالٌ فـــوارعُ

في رثاء الإمام الطاهر موسى بن جعفر

ـ عليه السلام ـ

[بحر الكامل]

عجباً لحلمِ الواحدِ القهّارِ	وَأَناتِهِ لجهالَةِ الأشرارِ
كَيفَ القَرارُ لأرضِهِ وسمائِهِ	وبَنو البتولِ مُشَرّدوا الكُفّارِ
لَهفي لموسى الكاظمِ ابنِ الصّادقِ	شِبلِ النبيِّ خَليفةِ الأبرارِ
أمرَ اللعينُ ابنُ اللعينِ بأخذِهِ	غضباً عليهِ بروضةِ المختارِ
جرّوهُ عَنْ قُرب النبيِّ ومجدِهِ	حينَ الصلاةِ مُناجياً للباري
نادى بقلبٍ مكمدٍ يا جدّنا	يا للفضيحةِ مِنْ يَدِ الفُجارِ
وأُقيمَ بينَ يدي رشيدٍ ظالمٍ	مُتحرِّكاً شفتاهُ بالأذكارِ
شتمَ اللعينُ لبغضهِ وعنادِهِ	سبحانَ. ما أجرى على الأطهارِ

الحسينيات

القصيدة الأُولىٰ

في هلال محرم الحرام

[الطويل]

لقـــدْ حـلَّ عـــاشـــورا وحَـلَّ المحـــرّمُ
فَحَـــلَّ رُقـــــادٌ للعُيــــــونِ مُحَرَّمُ

لِيَ اللهُ إنْ أنجـدتُ فـالـوجـدُ مُنجـدٌ
بقلبـــي. وإنِ اتهمـــتُ فــــالهمُّ مُتهـــمُ

ومــــا ســـاغَ لي مِـــنْ مَشرَبِ الماءِ مشربٌ
ولا طــابَ لي ممّــا تشتهـي النفسُ مطعـمُ

تقمّصَـتِ الــدنيــا حِـداداً مُحرمــاً
لغــايتِهـــا القُصـوى التـي هــيَ أقـدمُ

هِـــلالٌ حَكـى العَضـبَ الصقيـلَ مُجرّداً
يبضّـــعُ أحشـــاءَ الأنــــامِ ويُكْلِـــمُ

هـــلالٌ فـــرى أفـــلاذَ مهجـــةِ أحمدٍ
وخلّى عليّـــاً فـــاضَ مِنْ عَينـــهِ الـــدمُ

هــلالٌ رمــى أهـلَ الحجـــازِ بفجعــةٍ
أُصيــبَ بها البطحـــاءُ وحجْــرٌ وزمـــزمُ

هــلالٌ بـــهِ خَـــدَّ المعـــالي خـــدودهـــا
وشـــقَّ جيـــوبـــاً كـــلُّ مجدٍ يعظـــمُ

بنفسي طَـــريـــحٌ في الفـــلاةِ كـــأنّـــهُ
كتـــابٌ مُبينٌ بـــالـــدمـــاءِ مُتَـــرجمُ

بـــأهلي وبي ملقـــىً ثَـــلاثـــاً على العَـــرا
على جسمِـــهِ يَعـــدو جـــوادٌ مُطهّـــمُ

يُنـــادي بـــأعلى صَـــوتِـــهِ: وا محمـــدا
أمـــا بينَ ذيّـــاك العَـــرمْـــرمِ مُسلـــمُ

أبـــاحُـــوا حَـــريمـي واستحلّـــوا دَمي وقـــدْ
تقاصَـــرَ منّـــي للتَّـــدافعِ معصَـــمُ

القصيدة الثانية أيضاً
في هلال محرم الحرام

[بحر الكامل]

هَـلَّ المحـرمُ والقلـوبُ نيـامُ ... أفما درتْ إنّ المنـامَ حَـرامُ
لاحَ الهلالُ كـأنّـهُ سَهـمٌ هَـوىٰ ... أو سُـلَّ مِـنْ كَبَـدِ السماءِ حُسـامُ
يعـزي قلـوبَ المسلمينَ وينثني ... غـرضـاً لـهُ الايقـانُ والإسـلامُ
حَـلَّ المصـابُ على الأنـامِ وطَبَّـ ... ـقَ الأيـامَ ـ كالليلِ المُجنِّ ـ ظلامُ
قَعـدتْ حَقـائقُ كـلّ شيءٍ مـأتماً ... فكـأنّـهُ للحشرِ بـاحَ قيـامُ
وَتهدّمـتْ أركـانُ غُـرٍّ مكـارمٍ ... أعلـتْ بنـاهـا مِـنْ نـزارٍ كـرامُ
وَتنـاثـرتْ زَهرُ النجـومِ على الثرى ... واختـلَّ للفلـكِ الأثيرِ نِظـامُ

وَتفتتتْ كَبــدُ الهدايــةِ والتقـى ... ومِـنَ الشَـريعةِ نُكّسـتْ أعـلامُ

لم أنسَ سبطَ الطُّهـرِ إذْ ركبَ الفلا ... فـاقتـادهُ نَحـو العـراقِ حِمامُ

قَـد أَحدقَ الأصحـابُ طـرّاً حولـهُ ... كـالبـدرِ حينَ تحفّـهُ الأنجـامُ

ساقـوا الخيولَ إلى الخطـوبِ كأنّهمْ ... صُقُـرُ الملاحـمِ والجنـودُ حَمامُ

سـاروا بِـداراً والمنـايـا خَلفَهـمْ ... وَمَشى أمـامَ النـائبـاتِ إمـامُ

القصيدة الثالثة
في مصائب العترة النبوية

[بحر الكامل]

لهفي على مَغنىً بطيبةَ قَد عَفا لم يبقَ مِنْ أيامِهِ إلاّ العَفا
أقوَتْ معالِمُه وأوحشَ رَبعُهُ وعفَتْ رباهُ فضلَّ قاعاً صَفْصَفا
أخنتْ عليهِ النائباتُ كأنّهُ ما كان للوحي المنَزَّلِ موقِفا
أو لم يكنْ ميكالُ لاثمُ تربِهِ؟ أو لم يكنْ جبريلُ فيهِ مُرفرِفا؟
أينَ الوصيُّ يَرى منازِلَ أُنسِهِ خرَّت معالمها؟ وأينَ المصطفى؟
أينَ البتولُ تَرى حُسيناً راسياً تحتَ السنابكِ فوقَهُ دمٌّ طفا
أغسالُهُ دمُهُ العَبيطُ وقطنُـ ـهُ الشيبُ الخضيبُ وقبرهُ وجهُ الصَّفا

مَـنْ يُبلغَـنَّ الطهـرَ أنّ حُسينَـهُ ... مُلقـى على الـرَّمضـاءِ محزوزُ القَفـا

نُسـوانُـهُ سِيقـتْ كـأسرى ديلـمٍ ... ورجـالُـهُ ذُبِّحـتْ بـأضغـانِ الجفـا

بَعثَ الطغـاةُ إلى الحجازِ صَحـائِفاً ... لتُضيـعَ عِترةَ أحمدٍ والمُصحفـا

أخفوا ضَغائنَ في الحشـى (بدريةً) ... حتى بَدتْ بالطـفِّ مِنْ ظُلَمِ الخفا

فَسعـى الإمـامُ إلى مـزارِ (محمـدٍ) ... لـوداعِـهِ . مُتَـأسِّفـاً مُتَلهِّفـا

القصيدة الرابعة

في الرؤيا التي رآها الحسين -عليه السلام- في منامه عند قبر جده ﷺ

[بحر الكامل]

فَهنـالَكَ اختلستْـهُ خَفقـةُ والِـهِ　　فـرأى مصـائبَـهُ وشـدةَ حـالِـهِ

وَرأى. يحزُّ وريــدَهُ بِيمينــهِ　　شِمـرٌ. ويقبـضُ شيبَـهُ بشمالِـهِ

وَيَلـوكُ في قُـربِ الفـراتِ لسـانَهُ　　عَطَشـاً. ويُمنعُ عـن ورودِ زلالِـهِ

ويَـزيـدُ يَنكـثُ ثغـرَهُ بقضيبـهِ　　ليـزيـدَ في تَبريحِ قَلـبِ عيـالِـهِ

وَرأى يَشيـلُ الـرأسَ منـهُ هـديـةً　　لبنـي الـزِّنـا شمـرٌ على عسّـالـهِ

ورأى أخـاهُ مُلَطّخـاً بـدمـائِهِ　　بـالطـفِّ دونَ النهـرِ فـوقَ رمـالِـهِ

ورأى وَحيـداً شِبلَـهُ. وَيـرومـهُ　　عشرونَ ألـف محاربٍ لقتـالـهِ

وَرأى الـرضيـعَ رَمـاهُ فـوقَ أكفّـهِ ... سَهـمٌ. ألا تبّـتْ يـدا نبّـالِـهِ

وَرأى العَليـلَ مُقيّـداً بِسـلاسِـلٍ ... يجري دمٌ. ويسيـلُ مِـنْ أغـلالِـهِ

وهَـوانَ عترتِـهِ وهَتكَ حَـريمـهِ ... وضِـرامَ خيمتِـهِ وذلـةَ آلـهِ

فـإذا تنبّـهَ ثـمَّ ودَّعَ جـدَّهُ ... وأرادَ جمّالاً لشـدِّ رحـالِـهِ

ذاعَ الحديثُ فضجَّ يثربُ واغتدتْ ... سكـانُها تبكي على تـرحـالِـهِ

القصيدة الخامسة

في رحيله -عليه السلام- من يثرب إلى مكة المكرمة

[الكامل]

تَـركَتْ ضَعـائنُ بـالحجازِ ديـارَهـا ... وَحـدا القَضاءُ إلى العـراقِ قطارَهـا

رُجّـتْ مـدينـةُ أحمدٍ يـوم النـوىٰ ... وعَـرىٰ ظـلامٌ ليلَهـا ونهارَهـا

وتقمَّصَـتْ سكـانُها ثـوبَ الأسـى ... مِنْ بعدهم. وغدا العـويلُ شِعارَها

خَبّـوا بنـار البينِ مهجتَهُـم فهـا ... قـدْ ظَلَّ أدمعهـم تَبيـخُ أوارهـا

غـابوا فغـابَ مِنَ الحجـازِ مَفاخـرٌ ... غُـرٌّ تـلازمُ صِيـدَهـا ونـزارَهـا

لم أنسَ تلـكَ الظاعنـاتِ إذا سرتْ ... أرخـتْ عليهـنَّ العُلىٰ أستـارَهـا

وأقَلهـنَّ مطيـةٌ شَـدنيّـةٌ (١) ... وجنـاءُ يُعصمهـا الإلـهُ عثـارَهـا

١ـ شدنية: أي الضبي عندما يقوى ويستغني عن أُمّه، ويقال لجميع ذوات الظلف والخف والحافر.

وأحـاطَ أُسـدٌ مِـنْ بنـي مُضَـرٍ بها   غُلْبٌ. فَـواتكُ. أنشبـتْ أظفارَهـا

فَجـرى عَليهنَّ القَضـاءُ (فـزينبٌ)   سُبيـتْ. وشِمـرٌ في البـلادِ أدارَهـا

وَ (سُكينـةٌ) جابَـتْ منـازلَ فدفـدٍ   عـنْ فـدفـدٍ. بلـدانَها وقفـارَهـا

سَلبـوا عِنـاداً (أُمَّ كلثـومٍ) فهـا   أخذوا اللباسَ. وشَنْفَها [1]. وخمارَها

واللهِ. بـالإسـلامِ جـاءتْ ثلمـةٌ   تَذري الـرياحُ إلى النشـورِ غُبارَهـا

١ـ الشَنْف: ما عُلّق في الأُذن أو أعلاها من الحلي. وجمعها شُنوف وأشناف.

القصيدة السادسة

الأعداء يتهيئون لحرب الحسين -عليه السلام-

[الكامل]

نـادى الإمـامُ إلى الطفـوفِ رشـادُهُ ... فـأجـابَـهُ وهَـدى الأنـامَ مـرادُهُ

يا ليـتَ حزبَ اللهِ مـا شَبّوا الـوغى ... معَ فـاجـرٍ بـالطـفِ لاحَ عنـادُهُ

قَتلـوا الحسينَ وجـاهَـدوهُ كـأنّما ... فـرْضٌ عليهـم قَتلُـهُ وجهـادُهُ

حَشَـدوا عليـهِ وبُضِّعَـت أشـلاؤهُ ... إِرْبـاً فـارباً بـالظبى حسّـادُهُ

عـادوه بـالخيلِ العتـاقِ ورُضّضَـتْ ... جثمانـهُ بِحَـوافِـرٍ عُـوّادُهُ

يـا لهفَ جسـمٍ غـادروهُ مُضَـرَّجاً ... بـدمٍ أبـاحَ يـزيـدُهُ وزيـادُهُ

تـركـوهُ مُلقـىً بـالعـراء ثـلاثـةً ... مِـنْ غيرِ أن شُقَّـتْ لـه ألحادُهُ

أَغسالُهُ دَمُهُ. وتربةُ كربلا ... كافُورُهُ. ورماحُهمْ أعوادُهُ

واللهِ لا أنسى أوامَ فُؤادِهِ ... عَطشاً. وأوشَكَ أنْ يذوبَ فؤادُهُ

والماءُ يَصدِرُ عنهُ أطيارُ الفَلا ... معلولةً [1] ووحوشهُ وُرّادُهُ

لا هنّأ اللهُ الفراتَ لشاربٍ ... يَوماً. ورُدَّ بخيبةٍ رُوّادُهُ

١ـ العلُّ والعَلَلُ: الشرب الثاني حتى الارتواء. أمّا الشرب الأوّل فهو: النّهل.

القصيدة السابعة
في رثاء أبي الفضل العباس

[الكامل]

مـــا راقَنـي في الكـونِ نَفحــةُ آسٍ	حـاشا. وهـلْ طـابَ الأريجُ لآسِ
لا أنظـــرنّ إلى شَقـــائقِ روضــةٍ	وإلى نضـــارة غُصنِهـــا الميـــاسِ
أمشي بـأرجـاءِ الفـــلا نَشـوان مـنْ	كأسِ الأسىٰ. لا مِنْ رحيقِ الكاسِ
فـالـوجـدُ في قلبي كبحـــرٍ هـائجٍ	والحزنُ في بــــالي كَطـــــودٍ راسي
وعَـرَت فُـؤاديَ لـوعـةٌ لا في المهى	بـلْ في جــريـحٍ مـــالــهُ مِـنْ آسِ
فـضّ الإلـهُ فمي لــو أتى بـاسـمٌ	مِنْ بعـد فَقـدِ أخي العُلى العباسِ
قَمـــرُ البنينِ الهاشميـــةِ. قطـبُ دا	ئرةِ الصبـاحةِ. كـوكبُ الأغـلاسِ
غيـثُ النَّـدى فيّاضُ عـامٍ مجدبٍ	ليـثُ الـوغـى فتّـاكُ يــومِ البـاسِ

لــولا مَشيئــةُ ربِّــهِ أردى الــورىٰ ... يـومَ الطفـوفِ. ولم يـدعْ مِنْ نـاسِ

لاحـتْ صَفــائعُ منــهُ لاهُــوتيــةٌ ... عجـزَ النُّهـى عنْ دَركِهــا بقيـاسِ

لا غَــزْوَ إنّ لــهُ هُــويــةَ حيــدرٍ ... مَسَّــتْ بـــذاتِ اللهِ أيّ مســـاسِ

أرأيتَ مَـنْ قُطعتْ يَـداهُ مُقـاتِـلاً؟ ... أسمِعتَ قَبضَ السيفِ بالأضراسِ؟

مُترسٌ بــالكفِّ مِـنْ وقـع الظُّبـى ... والكـفُّ جُنّــةُ فـاقِــدِ الأتــراسِ

لم أنسَــهُ إذْ مــا تَفَــرَّق كفُّــهُ ... مِـنْ عـاتِقيـهِ. وجسمُـهُ مِـنْ راسِ

أضحـى بغيرِ يــدٍ يُفـرِّقُ عَسكــرا ... ويكــرّهُـم كــالضيغـمِ الفــرّاسِ

مــا كُنــتُ أُحصي رزءَه. ولــو انّما ... بحـرٌ مِـدادي. والفــلا قُـرطـاسي

القصيدة الثامنة

في رثاء عليّ الأكبر

[الكامل]

كَبُـرَ المصـابُ على النبـيِّ الأطهـرِ ... في قتـلِ بضعتِـهِ عليّ الأكبرِ

الهاشمـيِّ العـرقِ شُبـهِ محمـدٍ ... نُطقـاً وأخـلاقـاً وخِلْقَـةِ منظـرِ

يحكي مُعنبرُ جعـدِهِ ظُلَـمَ الـدجى ... وجبينُـهُ بَلَـجَ الصبـاحِ المسفِـرِ

بسـوى مـواردَ مِـنْ محامـدَ لم يـردْ ... وبغيرِ صفـوِ للعلى لم يَصـدُرِ

اللهُ أكبرُ كَـمْ لَـهُ مِـنْ فَتكـةٍ ... يـومَ الطفـوفِ وَوَقعـةٍ لم تُنكَـرِ

أبـدى على الأشهـادِ منطِـقَ أحمدٍ ... وأقـامَ في الأحـزابِ سَطـوَةَ حَيـدرِ

وإذا القَتـامُ عَـرى النهـارَ ظـلامُـهُ ... وكسـاهُ ظُهـراً طَيلسـانُ الـدَيجرِ

وَاشتـدَ نـارُ الحربِ بينَ كَتـائبِ ... واكتنَّ لمعُ البيـضِ تحتَ العِثْيَـرِ [١]

١ـ العِثْيَرُ: العجاج الساطع. (لسان العرب: مادة «عثر»).

والنـاسُ بينَ مُضـارِبٍ ومُطـاعِـنٍ بمهنّـدٍ مـاضِ الغِـرارِ وسَمهـري
أضحـى يكـرّهـمُ بـوجـهٍ مُقبـلٍ غَضبـاً ويُـردي كلَّ وغـدٍ مُـدبـرِ
وغَـدا يفـرُّ القَـومُ مِـنْ حملاتِـهِ فَـرَّ الثَّعـالبِ مِـنْ حَصـورٍ قَسـورِ
ظـاهى علياً. والكـواشِحُ مـرحبـاً وتجسَّمـتْ بـالطـفِ وَقعـةُ خيبرِ
فـإذا بِهم حـاطُـوهُ كُـلُّ مُصـافِـحٍ قـاسي الفـؤادِ بـأبيضٍ أو أسمـرِ
نبـذوهُ عُـريـانـاً على وَجـهِ العَـرا يـا لهفَ منبـوذٍ عَـرى لم يُقبرِ
لم أنسَـهُ فـوقَ الـرمـالِ مُضَـرّجاً بـدمٍ يفـوحُ شـذاهُ نفـحَ العَنبرِ
عـادوهُ بـالبترِ الصِّفـاحِ ورَضَّضُـوا أشـلاءَهُ بـالعـاديـاتِ الضُّمَّـرِ
وبنـاتُ أحمدِ محدقـاتُ بنعشِـهِ مثلُ النجـومِ الزهـرِ حولَ المشتري
فلتَبـكِ أجفـانٌ عليـهِ فهـا إذا مـاضنّ جفـنٌ بـالبكـا لم يعـذرِ
أتَضِـنُ عَينٌ بـالمصـابِ بـدمعِهـا وتَخضَّبـتْ كَفـاهُ مِنْ دَمِـهِ الطَّـري

القصيدة التاسعة

في رثاء القاسم بن الحسن -عليه السلام-

[الكامل]

قَسَمَ الإلٰهُ الرزءَ بينَ أعاظِمِ ... لا رزأَ أعظمُ مِنْ مُصابِ (القاسمِ)

مُضريٌّ عِرقٍ. مِنْ ذراري غالبٍ ... حَسَنيٌّ خُلقٍ مِنْ سلالةِ هاشِمِ

قَتّالُ أبطالٍ غَداةَ كريهةٍ ... فتاكُ أُسدٍ في الوغى وضَراغِمِ

غُصنٌ نَضيرٌ مِنْ أُصولِ ولايةٍ ... ثمرٌ جنيٌّ مِنْ فروعِ مَكارِمِ

لَمْ أنسَهُ مُذ خَرَّ عن ظَهرِ الجوادِ ... على الثَّرى بأسنّةٍ ومَخاذمِ

وَعَدَتْ عَليهِ العادياتُ ورَضَّضتْ ... بحَوافرٍ جُثمانَهُ ومناسِمِ

نادى حُسيناً عَمَّهُ مُتَشكياً ... مِنْ طَعنِ عسّالٍ وضَربةِ صارِمِ

فأتاهُ وهو إذاً يعالِجُ نفسَهُ ... ويَسيلُ منهُ دمٌ كرشحِ غمائِمِ

تَبكيــهِ سُكـــانُ السَّماواتِ العُلىٰ ... وينـوحُ مــا في الأرضِ نـوحَ حمائِمِ

وتَعُــجُّ رَبــاتُ الخمارِ كــآبــةً ... وَيضُـــــجُّ أهــــلُ عَمائمٍ وتَمائِمِ

قـالَ الحسينُ: بُنَـيَّ وابن أخـيّ مـا ... لكَ فـاحِصاً عَفَـرَ الثَّرى بقـوادِمِ

خَضَبَتْ يداكَ وَشَيبتي. فمحاسِني ... مِـنْ أدمُعـي ويَـداكَ مِـنْ مَجرى دمِ

قُـمْ يـــا بنـيَّ إلى خيـامِ سَـــريّةٍ ... قـمْ يـا بُنـيَّ إلى المقـامِ الفـاطِمـي

قُـمْ يـا سليـلَ أخي قَـــدْ أوجَعتنـا ... وكَسَـوتَنـا في العِـرسِ ثـوبَ مـآتمِ

واللهِ قَـدْ قَصمـتْ رَزيَـةُ (قـاسِـمٍ) ... ظَهــرَ الإمـامِ. فبـالــرزء قـاصِـمِ

القصيدة العاشرة
في رثاء عليّ الأصغر

[الكامل]

بِيضُ الأسنّـــةِ في السَّما لم تُشهَــرِ   إلاّ وذكّـــرتِ ابـن ستــةَ أشهـــرِ
لاحَ الهلالُ كـأنّــهُ سهــمُ الــردىٰ   أصمى هِـلالاً مِـنْ سلالـةِ حَيـدرِ
قمــراً أضــاءَ دجىً وقَبْـلَ تمامِــهِ   قَـدْ غـابَ عَنْ أُفقِ العُـلا والمفخَـرِ
مَـنْ ذا رأى رمـي الهلالِ بـأسهـمٍ؟   أو مَنْ وعى وقعَ الظُّبىٰ بالمشتَـري؟
اللهُ أكبرُ كَـمْ بِنـــا مِــنْ نكبـــةٍ   نكبـــاءَ حَلَّـت في عليِّ الأصغَـــرِ
جَعلـوا بِـلا غَرضٍ لسـودِ نَـوائبٍ   مِنْ جِسمـهِ غَـرضـاً بياض المنحـرِ
أودى فــأقعـــدَ في المآتـمِ مَعشراً   وأقـــامَ حَشراً بعـــــدهُ في مَعشرِ
البيـتُ حُـرِّم صَيْدُهُ. مـــالي أرى   قد حُـلَّ صيدَ ابن الصَّــفا والمشعَرِ

ذَبَحوا بسهمٍ هَذيَ أركانِ الهُدى والهَدْي يُنحرَ بالقَنا والمشفَرِ

وقَضى بجَنبِ النهرِ ظَمآنُ الحشا حتّى تَروّى مِنْ رَحيقِ الكَوثَرِ

ألقى إلى الجوِّ الحسينُ دِماءَهُ فاحمرَّ بالشَّفَقَينِ وجهُ الأخضرِ

لَبّى نِداءَ السِّبطِ لمّا أنْ رأى الأصحابَ بينَ مُضرّجٍ ومُعَفّرِ

والسِّبطُ ينظرُ تارةً ليمينِهِ يَدعو الحماةَ. وتارَةً للأيسرِ

لا عندهُ عونٌ يُعينُ بأبيضٍ لا عندهُ فضلٌ يُغيثُ بأسمَرِ[1]

١ـ الأبيض: يقصد به السيف. والأسمر: يقصد به الرمح.

أيضاً في رثاء عليّ الأصغر

أنسى البريـــةَ كـلَّ رُزءٍ أكبرِ ... ذِكـرى عليّ بـنِ الحسينِ الأصغـرِ
جَعلـوا بِـلا غـرضٍ لحمـرِ منيـةٍ ... مِنْ جسمـهِ غَرضـاً بياضِ الحنجـرِ
بـأبي هِـلالٌ غـابَ عِنـدَ طلــوعـهِ ... فأهـالَ أنجُمَ. أدمعي مِنْ مَحجـري
قمـرٌ عَـراهُ الخسفُ كَمْ بِصـدورِنـا ... نـارُ الأسـى صَـدَعـتْ لهذا النيّـرِ
والبيـتُ حُـرِّمَ صَيـدُهُ مـا لي أرى ... قَـدْ حَلَّ قتـلُ بني الصَّفـا والمَشعَـرِ
رامـوا بِسَهـمٍ هَـدَّ أركـانَ الهدىٰ ... والهديُ يُنحـرُ بـالقنـا والمشفَـرِ
أودى بِحجـرِ السبطِ ضَمآن الحشـا ... فسقـاهُ كفُّ الجدِّ مـاءَ الكـوثَـرِ
ألقـىٰ الحسينُ إلى الهواءِ نَجيعَـــهُ ... فـاحْمَرَّ بـالشَّفَقينِ وَجْـهُ الأخضرِ
ونظمـتُ غُـرَّ فـرائدي في رزئِهِ ... مـا للعيـون عقيقُهـا لم يُنثَـرِ (١)

١ـ نقل هذه الآبيات الواعظ الخياباني في وقائعه ج٢ ص ٥٧٣.

القصيدة الحادية عشرة

في بني هاشم الذين قتلوا مع الحسين -عليه السلام-

[الكامل]

لَهفي على فُرسانِ يَومِ اغبرِ ... الصَّائرين رهانَ يومِ أَحمرِ

لَهَفي على علويةِ الأعراقِ مِنْ ... صَرعى شبيرٍ في الطُّفوفِ وشُبَّرِ

لَهفي على أشبالِ لَيثٍ غالبٍ ... مِنْ آلِ حَيدرٍ والعقيلِ وجَعفرِ

ساقُوا إلى الهيجاءِ أشهبَ ناصِعاً ... فلووهُ مكتسياً بثوبٍ أشقَرِ

لَبسوا بأرضِ الطَّفِّ حُمراً وارتَدوا ... مِنْ سُندسٍ ُخضراً غداةَ المحشرِ

باعُوا بَمرضاةِ الإلهِ نُفوسَهُم ... وشروا بها قُربَ النبيِّ الأطهَرِ

رامُوا الجهادَ وقَدْ تَثاقَلَ جسمُهُمْ ... مِنْ جَوشَنٍ. ورؤوسُهُمْ مِنْ مِغْفَرِ

فَتَجرَّدوا بعدَ الرَّدى وتَقمَّصوا ... بِدمائِهِم. وتنقَّبوا بالعِثْيَرِ

سـاروا إلى أرضِ الجنـانِ وغـادَروا ... سبـطَ النبـيِّ على المفـازِ المقفَـرِ

شَـربوا بِشاطي النهرِ كاساتَ الظما ... وهُمو سُقـاةُ الـواردينَ بكـوثَـرِ

مِـنْ مبلـغٍ عنـي الإمـامَ الغـا ... ئبَ المهـديّ آلَ اللهِ وابـن العَسكـرِ

يـا غيرةَ اللهِ المؤمَّـل سيفـه ... في ثـارِ فتيـانِ الإمـامِ الأزهَـرِ

حَتى متـى والسيلُ قـدْ بلغَ الـزّبى ... وإلى مَ تُخفـى في البريـةِ فـاظهَـرِ

عجبـاً لحلمِـكَ في بنـاتِ محمـدٍ ... سِيقتْ على عَجفِ النياقِ الضُّمَّرِ

والهاشميـونَ الأطـائِبُ أصبَحـوا ... في الطَّـفِّ بينَ مُقيّـدٍ ومُعفَّـرِ

يـا آيـةَ اللهِ المغيَّـب في الـوَرى ... قُمْ وانتقـمْ واحكُمْ بِسيفـكَ واقْهَـرِ

أفَما رأيـتَ بنـي أُميّـةَ مـا بـدا ... مِنهـمْ عَليكُـم مِـنْ عِنـادٍ مُضمَـرِ

يـا شـافـعَ العـاصينَ يـومَ قيـامـةٍ ... أرجـو الشفاعـةَ مِنكَ يـومَ المحشرِ

القصيدة الثانية عشرة
في أصحاب الحسين -عليه السلام-

[الكامل]

حُـــزني كثيرٌ والعَـــزاءُ قَليــلُ   صَبري يَسَيرٌ والمصـــابُ جليــلُ

دمعــي طليــقٌ والفـــؤادُ مقيَّــدٌ   رزئي صحيــحٌ والسُّلـــوُّ عَليــلُ

في مُهجتــي شُعَــلٌ يَطيرُ شَرارُهـــا   وعليـــهِ في شُهُــبِ النجــومِ دَليـلُ

إنْ عــزَّ صبري في النَّـوائبِ نـاضِبـاً   فَعــزيـــزُ دمعــي فـــائضٌ وذَليـلُ

يـا راكبَ الشَّـدَنيـةَ الـوجنـاءَ عُجْ   بــالطَّــفِ. والعبراتُ مِنـكَ تَسيـلُ

واسألْ عَـنِ الصيدِ الكـرامِ طُلـولَهَا   أفهـــلْ تُجيبـــكَ أرســمٌ وطُلـــولُ؟

أينَ النجـومُ الآفـلاتُ بـأرضِهـا؟   ولكـــلِّ نجـــمٍ في السَّماءِ أُفـــولُ

وأُبــاةُ ضيـمٍ مِنْ بنـي عمــرو العُلى ... عنْ نيـلِ سـاحتِهـا الخطـوبُ تميلُ

وأُســودُ فَتـكٍ غـابُها سمــرُ القَنــا ... والــزئرُ قَعقعـــةُ الظبـى وصَقيـلُ

وفَـــوارسٌ متـنُ الخيـــولِ مبيتهُـم ... ولَهم ضِـــلالُ السَّمهـــري مقيـلُ

أيـــنَ الحماةُ حماةُ آلِ محمـــــــدٍ ... بـالطـفِّ؟ أينْ خيــولُهم وكهـولُ؟

صرعى بـلا غسـلٍ على وجـهِ الفَـلا ... رضّتهُـمُ بـــالحافـــرات خيـــول

أجســادَهُـم تَلهــو بها ريحُ الصَّبــا ... والــرأسَ عَنهـم لاعبتــهُ شَمــولُ

أينَ (الحبيبُ) ابنُ المظاهرِ مِنْ قَضى ... وعليـــهِ ضُمـرُ العــاديــاتِ تجولُ

أينَ (ابن عوسجة) طـريحَ سباسبٍ ... مِـنْ كـلِّ جــارحـةٍ. دمــاهُ تسيـلُ

أين (الـرياحـيُّ) الذي تَسفي عليـهِ ... مِـنَ الــريــاحِ دبــورُهــا وقبــولُ

أيــنَ الحواريـــونَ مِـــنْ أنصـــارهِ ... كــلٌّ صريـعٌ في العـــرا وجَـديـلُ

أين ابن (قين) مَنْ غدا غرضَ الردى ... أيـن (ابـن حــرّ) ذو العُلى وجميـلُ

أيـنَ العبيـدُ السـودُ حمرُ دمـائِهِـم ... صُبغَـتْ بها الحمـراءُ وهـي هُطـولُ

قُتلـوا بأرضِ الطَّـفِّ لكنْ بَعـدَهُـم ... لي مـا حييـتُ أسـىً لهم وعَـويـلُ

تَبكـي عليهـم مُقلتـايَ كـآبـةً ... أبـداً. ولي بينَ الضّلـوعِ غليـلُ

تَبكـي جُفـوني لا جفـونُ عـواذلي ... يـا ليتَ شعـري مـا يقـولُ عَـذولُ؟ (١)

١ـ عذول: مبالغة في عاذل وهو اللائم.

القصيدة الثالثة عشر

في ذكر المصائب التي وقعت على أهل البيت بعد مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ

[الكامل]

لِلــوَجْــدِ رَبــعٌ في الحشــا مــألــوفُ
ولــهُ فــؤادي مَــربَــعٌ ومَصيــفُ

قَلبــي بــهِ جَمرُ الغَضــا مُتَلَهِّــبٌ
والعينُ مــاءُ قليبهــا مَنــزوفُ

آنســتُ ورقــاءَ الحمامِ لِنــوحِهــا
مــا لي ســوى أهــلُ النيــاحِ أليــفُ

مــا ذاقَ جفنــي مــرةً طعـمُ الكَــرى [1]
حــاشــا. وهــلْ ذاقَ الكــرى مَطــروفُ

قــاسيتُ مــن نُــوَبِ الــزمــان شَــدائداً
الموتُ سهــلٌ دونَها وحتــوفُ

١ـ الكرى: النوم.

مـــالي وللـــدهـــرِ الملث غمامـــهُ
تنهـــلُّ منـــــهُ حـــــوادثٌ وصروفُ

الـــدهـــرُ ذو غِيَـــر بِمُـــرّ مـــذاقُهـــا
وأمـــرُّهـــا للمسلمينَ (طُفـــوفُ)

غَـــرَسَ القضـــاءُ بأرضِ طَـفّ نخلـــةً
منهـــا لهم ثمـــرُ الأسـىٰ مَقطـــوفُ

ليـتَ السَّماءَ تميـلُ عَـنْ أفـــلاكِهـــا
والأرضَ ينسفهـــا البلىٰ ورجـــوفُ

أَتُضيءُ شمـــسٌ بعـــدَ آل محمـــدٍ
وشمـــوسُهـم قَـــدْ غـــالهنّ كُســـوفُ

أم هـــلْ يلـــوحُ النجـمُ وهـــي شتـــائتٌ
كبنـــاتِ نعـــشٍ في البـــلادِ تَطـــوفُ

تُفـــرى نحـــورُ سبـــاسـبِ بـــركـــائبِ
عَجفـــاءَ يعثـــرهـــا السُّـــرى ووقـــوفُ

لَفحَـتْ بحـــرِّ الهاجـــراتِ وجـــوهَهـــا
شمـــسٌ. وحُـــرّ وجـــوهِهـــا مكســـوفُ

نُهبتْ مقــانعُهــا وعــزّ شفــوفُهــا
واغبرَّ منهــا تــالِــدٌ وطَــريــفُ

إن أنــسَ لا أنســى العليــلَ مُصفَّــداً
في جسمـــهِ مِثــلُ الهلالِ شُفــوفُ

يَشكــو السرى ويضــجُّ مِــنْ طــيّ الفــلا
ضَعفــاً. ولكــنْ ســاقَــهُ تَعنيــفُ

القصيدة الرابعة عشرة

في قتلى الطفوف

[البسيط]

لهفـــي على أنجُـــمٍ مِـــنْ آلِ يـــــاسين
خَــرّتْ ببعــضِ الفَـــلا مِـــنْ غيرِ تكفينِ

هـــانَـتْ بنـــاتُ رســولِ اللهِ وانتُهكـتْ
كـــأنّهنَّ أُســــــــارىٰ التركِ والصينِ

مَنبــوذةً كـــانـت تمشّـــي بـــالعــراءِ ولا
ممّـــــــا أظلّتهـــــــمُ أوراقُ يقطينِ

بيـــوتَهمْ قـــد أغـــارتها اللئــامُ وكَـمْ
تبرٍ بها مـــسَّ تيجـــانُ السَّــــلاطينِ

يـــا تُـــربَ أرضٍ حكـى نفـحُ العبيرِ لقــدْ
مَــزجـتْ مِـنْ طِيبهـم مِسكـاً بمعجــونِ

انتهت الحسينيات

التخاميس

تخميس قصيدة الفرزدق

في مدح

علي بن الحسين

- عليهما السلام -

التي ارتجلها أمام

هشام بن عبد الملك

ويتبعها تخاميس أُخر

نأتي على ذكرها مسلسلة

التخميس لقصيدة الفرزدق

[البسيط]

يــا ســائلاً يُنكــرُ السُّجــاد رفعتَــهُ عنـدي بيـانٌ إذا مـا رمتَ مـدحتـهُ
واللهُ قـــد عَــرَّفَ الأشيــاءَ رتبتَــهُ (هـذا الذي تعـرف البطحاءُ وطأتـهُ
والبيــتُ يعـــرفـــهُ والحِلُّ والحرمُ)

هـذا ابن صِيـدٍ عَلَـوْ خُلقـاً بِفضلهمُ ويلتجـــى الملأُ الأعلىٰ بظلّهـــمُ
لم يخلــق اللهُ أنـــــواراً كمثلهـــمُ (هـذا ابـنُ خيرِ عبيـدِ اللهِ كلهـمُ [١]
هـذا التقـيُّ النقيُّ الطـاهـرُ العلـمُ)

هـذا مِـنَ السّــادةِ الغـرّا فضــائلُهـا لفضلِـهِ العُـربُ قَـدْ دانتْ قبـائلُهـا
لـــهُ المكـــارمُ لا تَخفـى دلائلُهـــا (إذا رأتــهُ قـريـشٌ قـالَ قـائلُهــا
إلى مكــارمِ هـــذا ينتهـي الكـرمُ)

قـــد أودع اللهُ سرّاً في مـــلاحتِـــهِ فنـالَ يـوسفُ بعضـاً مِنْ صبـاحتِـهِ
وقـــد تطّبـق كـــونٌ مـن سماحتِـــهِ (يكــادَ يُمسكــه عِـرفـانَ راحتِـهِ
ركـنُ الحطيـمِ إذا مـا جـاءَ يَستلـمُ)

١ـ المعروف: هذا ابن خير عباد الله كلّهم.

عَـن دركِ عليـائِهِ الأفهــامُ قـد بُهرتْ وَمِـنْ محيّـاهُ أنـوارُ الهدى ظَهـرتْ

إنْ كنتَ جـاهلَ مَـنْ أعـراقهُ طَهـرتْ (ينمـى إلى ذروةِ العـزِّ التـي قصرتْ

عنْ نيلهـا عَـرَبُ الإسـلامِ والعجـمُ)

في وجهـــهِ غـــرّةٌ يجلى بها غَسَــقُ أضـاءَ مِنْ نورهـا الأصبـاحُ والشفقُ

يفـــوحُ منـــهُ. كما في كفّــهِ خلــق (في كفّــــهِ خيـــزرانٌ ريحهُ عبــقُ

مِـنْ كـفّ أروعِ في عـرنينـه شمـمُ)

قــد استعــارتْ جمالَ الحقِّ طلعتُــهُ وطــاولَ العـرشُ والكـرسيُّ رفعتــهُ

قَدْ طابَ مِنْ شـامخِ الأصلابِ منعتهُ (مشتقــةٌ مِـنْ رســولِ اللهِ نبعتـــهُ

طــابتْ عنـاصرهُ والخيـمُ والشيـمُ)

هـذا عِمادُ التُّقـى إنْ كنـتَ جـاهلَـهُ هـذا الــذي دانَ كلُّ الأوصيــاءِ لـهُ

هــذا تَملَّـكَ عَـنْ طــه فضــائلَـهُ (هـذا ابنُ فـاطمةَ إنْ كنـتَ جاهلـهُ

بجـــدّهِ أنبيــاءُ اللهِ قـــد خُتِمـــوا)

قـلْ للحســودِ عُـلاهُ كيـفَ يكتمــهُ أمــا وعـى حَجَـراً أمسـى يكلّمُــهُ

لقـد حبــا الفخـرَ بيتَ اللهِ مقــدمُـهُ (لو يعلـمُ الركنُ مَـنْ قد جـاءَ يلثمهُ

لخرّ يلثـمُ منــهُ مـــا وطى القــدمُ)

هم معـدنُ الخيرِ إنْ لاحظتَ شيمتَهُم بيُمنِهِــمْ شرّفَ الـــرحمْنُ أُمّتَهُــمْ

قــد خَـــمَّرَ الله بـالتقــوى أرومتهـمْ (إن عُـدَّ أهلُ التُّقـى كـانـوا أئمتهُمْ

أو قيـلَ مَنْ خير خلـقِ اللهِ قيلْ هُـمُ)

يـا مُنكِـراً عَميـت عينـاً بصـائره		لا زالَ كتمانُ نـورٍ مِـنْ شعـائرِهِ

سـلْ عنـهُ جبريـلَ يخُبر عَـنْ سرائرهِ		(وليس قـولـكَ: مَنْ هـذا؟ بضـائِرِهِ

العُربُ تعـرفُ مَنْ أنكـرتَ والعجمُ)

هـذاكَ واحـدُ دهــرٍ في تَـزَهُّـدِهِ		وأصـدقُ النـاسِ انجـازاً لِـمَوعِدِهِ

يفيضُ غمـرُ النـدىٰ للـوفـدِ مِنْ يـدهِ		(مـا قـال لا قـطُّ إلاّ في تشهـدِّهِ

لـولا التشهـدُ كـانـتْ لاؤهُ نعـمُ)

اللهُ ألبسَـهُ جلبـابَ هيبتِـهِ		لـديـهُ يخجلُ قسٌّ في خطـابتِـهِ

يخشـى الإلـه. ويخُشى مـن صـلابتـهِ		(يُغضي حياءً. ويُغضـى مِنْ مهابتِـهِ

فـلا يُكلّـمُ إلاّ حينَ يَبتسـمُ)

هـذا إمـامُ الهدى لاحتْ شـواهـدُهُ		يُصلى بنـارِ جحيـمٍ مَـنْ يعـانـدُهُ

نَجلُ الشهيـدِ الذي طـابتْ مشاهـدُهُ		(هـذا عليٌّ رسـولُ اللهِ والـدُهُ

أمسـتْ بنـورِ هـداهُ تهـتـدي الأُمـمُ)

أقـامَ للـديـنِ أعـواداً بحكمتِـهِ		أزالَ أهـواءَ بِـدَعٍ عِنْ شَـريعتِهِ

داجيُ العَمى يَنجلي عَنْ صبـحِ طلعتِهِ		(ينشقُّ نـورُ الهدىٰ عـن نُـورِ غـرّتـهِ

كالشمس ينجـابُ عن إشراقها الظُّلمُ)

قـد اكتسى مِنْ لبـاسِ القُدسِ أجملَـهُ		إنْ يُـذكَـرُ الخيرُ هـذا كـانَ أَوّلَـهُ

فكـلُّ شيء سِـوى الـرحمنُ ذُلّ لـهُ		(اللهُ شرّفـهُ قِـدَمـاً وفضّلَـهُ

جـرى بـذاكَ لـهُ في لـوحـهِ القَلـمُ)

يفيضُ للعالمِ القدسيِّ نائِلُهُ ولا يُخيِّبُ في النشآتِ سائلُهُ
هو الذي ربُّهُ ينشي فضائلَهُ (مَنْ جدهِ دانَ فضلُ الأنبياءِ لهُ
وفضلُ أُمّتهِ دانتْ لهُ الأُممُ)

بِهِ عَلَتْ رايةُ الإسلامِ وارتفعتْ والأنبياءُ غَداً في سيبِهِ[1] طَمعتْ
وكلَّ شيءٍ أيادي كفّهِ وسعتْ (عمّ البريةَ بالاحسانِ فانقشعتْ
عنها الغوايةُ والاملاقُ والعدمُ)

في عالمِ القدسِ قَدْ شاعتْ مفاخِرُهُ تطيبُ شيمتُهُ تحلو عناصرُهُ
يفوحُ مِنْ خُلقِهِ في الكونِ عاطِرُهُ (سهلُ الخليقةِ لا تُخشى بوادِرُهُ
يَزينهُ اثنانُ حسنُ الخلقِ والشيمُ)

لهُ يدانٌ غيوثُ المزنِ فرعها أحاطَ بالعرشِ والكرسي وسعُهما
يحكي إلاهيةَ الأفعالِ صِنعُها (كلتا يديهِ غياثٌ عمَّ نفعُهما
تستُرُ كفانَ ولا يعروهما عدمُ)

١ـ السيب: العطاء.

وهذه القصيدة التي قال عنها:

إنّها قصيدة رضوية مولودية رجبية. وإنّ الأصل والتخميس لصاحب الديوان .

[البسيط]

لا تَعجبوا مِنْ ضِرام الجِسمِ واللَّهبِ والقلبُ يومَ النَّوى كالجسمِ ذو تعبِ
فكمْ لحرقةِ أشياءٍ مِنَ السببِ قدْ ألهبَ الشوقُ جسمي وهوَ ذو وصبِ
فيا لجسمِ بنارِ الشوقِ مُلتهبِ

إنّ الذي كنتُ أرجو وصلَهُ هَجرا فباتَ منّي قليبُ الدمعِ منفجرا
على الثّرى فاضَ جفني لوعةً وجرى يكادُ يُغرقُ غربُ العينِ وجهَ الثّرىٰ
فما لجمرِ الحشا لم يَخبُ بالغربِ

لقد تَولى شبابي والعِنانُ لوى وصاحَ روضُ عِذاري بعدهُ وذوىٰ
يزادُ قلبي ـ وإن حلّ المشيبُ ـ جوى أضاءَ في حبّهِ فؤادي وشبَّ هوى
لكنّما في فؤادي الحبُّ لم يَشبِ

يــزولُ مـــا كـــانَ في المرآةِ مُــرتسما وكـلُّ شيءٍ بمـرِّ الـدهـر قـدْ رسما
ألا بِتُربـــةِ اقـــدامِ لـــهُ قسما يغيبُ عـن خَلدِ المرء الشخـوصُ فما
لشخصـهِ عَنْ مـرايـا القلـبِ لم يغُبِ

إنّ الذي في حجـورِ الحسنِ قـد كملا تملَّـكَ القلـبَ منّـي جـارَ أو عــدلا
وما لمشيبٍ يـزيحُ الشوقَ مـذ حَصلا قـد جاوزَ العمـرُ حـدَّ الأربعينَ ولا
أرى تقلّـلَ شـــوقــي كثـرةَ الحقـبِ

فكم لتلـكَ العيونِ السـودِ مِـنْ حيلِ تعلّلـتْ لــذوي الأشـــواقِ والعِلـلِ
تـروم سفـكَ دم العشـاق بـــالـدلـلِ فـديتـه من عليل الطـرف عـن غيلِ
مخضـبِ الكـفّ مِنْ قـــاني دمٍ سربِ

يسـلُّ مِـنْ جفنـهِ عَضَبـــا فيعملـــهُ ومَـــنْ لما فيـــهِ يُستشفـى مقتَّلـــهُ
أرهـــاصُ عيسـى مسيـحُ اللهِ يفعلـــهُ يحيـى معنّى الحشـــا حينـاً ويقتلـــهُ
حينـــاً بـالحاظــه أو ريقـه العـــذبِ

وربَّ ليـلٍ كســـاني درعُ غيهَبـــهِ [1] طـــرقتُـــهُ وهـــو فـــردٌ في مطنّبـــهِ
أصبحتُ نشـوانَ مِـنْ أقـداحِ غبقبـهِ إن أنسَ لم أنسَ ليـلاً قد سكـرتُ بهِ
لا من كؤوسِ الطِّلا بل من طلا الغببِ

١ـ الغيهب: الظلام.

ومـذْ بخمـرِ الكَرى حـراسُـهُ سَكـروا　　وفي السماواتِ غـارَ الأنجـمُ الـزُّهُـرُ
والبـدرُ في طَيلسـانِ الـدُّجـى مستترٌ　　وافيتُــهُ وظــلامُ الليـلِ معتكــرُ
مـرخٍ علينـا جـلابيبـاً من الحُجـبِ

ما أطيبَ الـوصلِ للأحبابِ يـوم نوىٰ　　ينامُ في القلبِ يومَ الـوصلِ جمرُ هوى
ومـذْ خلـوتُ بـهِ سراً بجنـبِ طِـوى　　عــانقتُــهُ فتمازجنـا لفـرط جــوىً
تمازج ابـنَ سحــابٍ بـابنـةِ العنـبِ

وفيتُـهُ وهـو يَخشـى طـارقـاً سَهِـرا　　وكـانَ في القلـبِ ينـزو قلبُــهُ ذعِـرا
ومـا ســوى القلبُ واشٍ ينبـئ الخبرا　　والحيُّ كانوا سُكارى من غَبوقِ كرى
لا مِـنْ سميرٍ ولا صــاحٍ ومــرتقـبِ

وإنّما مهجتــي في الحبِّ تـــالفــــةٌ　　جـداً. ومــا صرفتهـا عنـهُ صــارفـةٌ
عجبـت مـن أنّها للـوصـلِ عـاكفــةٌ　　وحـولــهُ من أُبــاةِ الضيمِ طــائفـةٌ
تـرتـاعُ منهـا أُسـودُ الفتكِ والـوثـبِ

كم ناسخٍ في السُّرى أضحى يخادعني　　وبـاتَ يُـذعـرني أُسـداً تُصـارعنـي
وليـس في الحي مقـــدامٌ يُبــارعنـي　　جـاوزتُهم ومعي سيـفٌ يُضـاجعني
ولي فـــؤادٌ لــدى الهيجـــاءِ لم يَهَبِ

إنّي كمــيٌّ قِــراع الهام سنّتُـــهُ   جنـانـهُ عنـدَ وقـعِ البيضِ جنتـهُ
وصــارمي طــالَ بـالأغمادِ محنتُـهُ   وصـاحِبي لــدنٌ تمضي أسنتـهُ
كـرأي ليثِ الـوغى المولـود في رجبِ

صعبُ العـريكـةِ مِقـدامٌ بـلا رهـبِ   مـاضي العـزيمـةِ كـرّارٌ بِـلا هـربِ
سيـفُ الإلٰـهِ عليٌّ القـدرِ والـرُّتَـبِ   سهـمُ الـردى أسـدُ اللهِ الهجـومُ مبـ
ـيدُ الناكثينَ شديدُ البطشِ والغضبِ

هـو الذي كفّـهُ في الكـون جـاد. ومَنْ   لم يبطلِ الصدقاتِ الفـائضاتِ بِمَنْ
مَـنْ في جِبلتــهِ المجـدُ الأثيـلُ كمـنْ   شمسُ العلى فخـرُ آباءِ الكـرامِ ومَنْ
بـهِ يُبـاهـي ذراري عبـد مُطَّلـبِ

وَفَضَّـلَ الله أُمّ الـــروحِ في شيـــمِ   على نســاءِ جميـعِ الخلـقِ والأُمـمِ
وحينما ولـــدتــــهُ وهــي ذاتُ دمِ   قـد أخـرجتْ أُمّ روحِ اللهِ مِـنْ حـرمِ
في وضعــهِ حيث لم تطهــرْ ولم تطـبِ

هـاتيكَ صـدّيقـةٌ عذراءُ قَـدْ طهـرتْ   عن مسِّ أذيالها أيدي الورى قصرتْ
عن مقدسٍ أخرجتْ لما المخاضَ رأتْ   لكنّما أُمّـه بـالبيـتِ قـد أُمـرتْ
في طلقهـا فـاتَـتْ مقضيـة الأربِ

مَنْ ذا غـدا مهدُهُ مِنْ بعـدِ ما وضِعـا   جهــراً إلى عــالمِ الأسرارِ مُــرتفعــا
هنـالك الصـوتُ بـالتهليـلِ مُـرتفعـا   من ذا الـذي قـرأ التنـزيلَ مـرتضِعـا
وحَـلَّ عنـهُ القماطَ الأدمَ وهـو صبـي

مَـنْ ذا الـذي كـبَّ في ميـلادهِ الصنما   مَن ذا الـذي مِنْ لـدنْ ربّ السما وسما
مَنْ ذا الـذي بجميعِ الـوحي قـد عَلما   ســـوى عليّ أمير المؤمنينَ إمــــا
مِ المتقينَ غيــاثِ العجــمِ والعــربِ

أبـدى كــرامـاتِ قـدسٍ في تَـولّـدهِ   إذ لا تمايـــزَ بينَ الأمـسِ أو غـــدِهِ
وحيّـــرَ النـــاسَ في إنشـــا تشهـــدهِ   هــامَ الملــوكُ. وكلّـوا عنـدَ مــولـدِهِ
وانهدَّ طـاقُ العمىٰ كـالحائطِ الخربِ

قـد عطَّـرَ الأرضَ والأمـلاكَ شيمتُـهُ   أجـلُّ مِـنْ عـــالمِ الأكــوانِ همّتـــهُ
مشتقـــةٌ مِـــنْ رســـولِ الله لحمتـــهُ   هـــو الـوصي الــذي تَنمىٰ أرومتــهُ
إلى النبـيّ الـزكـيّ الطـاهـرِ النسـبِ

هـــو الـــذي بـاتَ جبريـلٌ يكـــالمهُ   في المهـدِ والمصطفى الهادي ينـادمـهُ
ومَـــن لماه وكفّيــــهِ مطــــاعمـــــهُ   فلحمـهُ لحمــهُ. منـهُ الـدمــا دمـهُ
ومنهما لفّـتِ الأعصـابُ بـــالعصـبِ

تفيضُ غمـرَ افـاضـاتِ أنـاملُـهُ للخلـقِ في كـلّ عصرٍ فـازَ آملـهُ
مـا هاطلَ السحـبِ تسكاباً يشاكلـهُ هـو الذي فـاضَ في الأعصـارِ نائلهُ
هـو الـذي كفّه أنـدى مـن السحبِ

مهلا ـ عـدمتُكَ ـ يا منْ كنـتَ مادحهُ نَظماً ونثـراً ولا تـدري فضـائِحـهُ
أريـكَ يـومَ تـرومَ المدحِ قـادحَـهُ مـاذا تقـولُ ولا يُحصي مـدائحـهُ
نظـمٌ ونثـرٌ مْن الأشعـارِ والخطـبِ

أكـرمْ بعقـدِ مـديـحٍ فيـه منتظـمِ كالنجمِ ـ لا كبنـاتِ النعشِ ـ ملتئمِ
أنشـدتُـهُ بلسـانِ ألكَـنٍ عجمـي نظمـتُ فيـهِ مـديحاً صيـغَ من كلـمِ
أبهى من الدرِّ بل أصفـى من الذهـبِ

مِنْ مُـرتقى الشعرِ أرقى اليـومَ أصعبَهُ لكن أرى مشربَ الأخـلافِ أعـذبـهُ
أخذتُ مِنْ بعضٍ من عاصرتُ مذهبَهُ لـو أن وعـاهُ ابـنُ عبـادٍ لأطـربـهُ
وطـارَ منهُ الحجى مِـنْ خفّةِ الطـربِ

قـد اكتسى مِـنْ لبـاسِ الحسنِ أجملَـهُ وبَينـتْ ألسـنُ التخميـسِ مجملـهُ
لـو حسَّـهُ الفـاضـلُ الطـائي لفضَّلـهُ ولـو رآه ابـنُ معتـزٍّ لـذّلَ لـهُ [١]
وبـاتَ يـذعـنُ انّي فـارسُ الأدبِ

١ـ عبد الله بن المعتز: شاعر عباسي معروف بجودة التشبيهات.

كـم فيــهِ مِـنْ دررٍ بيضـاءَ فــاخــرةٍ   تنظّمـتْ كـالـدّراري الغـرِ زاهـرةٍ
بـهِ مـدحـتُ عليـاً بَعْـلَ طـاهــرةٍ   أنشـأتُــهُ طـامِعـاً في أجـرِ آخــرةٍ
لا طــالبـاً أجــرة في دارِ مُنقلـبِ

لا أبتغــي لمديحي ذاكَ مـــوهِبـــةَ   في الـدهرِ مِـنْ أهلهِ حـاشا ولا هبـةَ
استغنينَ بهذا السمـــطِ متربـــــةَ   وإنّ إذِ اليسرُ بينَ النـــاسِ منقبـــةَ
والفقـــرُ بينهـــم أردى مِـــنْ الجربِ

يـا ويلَ نفسي لـو أنّ النـارَ تفحمنـي   غـداً. وخــازنُها بـالغـلّ يُشخصنـي
مــاذا أقـولُ إذا مــا بـاتَ يغمصنـي   لم أكتســبْ لغــــدٍ زاداً يُخلّصنـــي
إلاّ ثنـــاهُ وهـــــذا خيرُ مكتســـبِ

حــاشا وهـلْ تُحرقُ العـاصينَ ضارمـةٌ   وشـافعـي الطهـرُ وابنـاهُ وفــاطمـةٌ
وكــفُّ حيـــدر للنيرانِ قـــاسمــــةٌ   عليــهِ أزكـى صـلاةٍ وهـي دائمــةٌ
مـا أشرقَ الفلـكُ الـدوّارُ بـالشُّهُـبِ

وهذه ثلاثة أبيات
لعبد الباقي العمري
وقد خمّسها جماعة من الأُدباء
أحدهم صاحب هذا الديوان.
والأبيات هي:

[الكامل]

إنّ الأثيرَ على تقـــــادُمِ عهـــــدِهِ
لِغـــــدوِّه ورواحِـــــهِ المتعـــــدّدِ

مـــــا كـــــرّرَ الأعـــــوامَ في دورانِـــــهِ
وبـــــدَورةِ الأيـــــامِ لم تتجـــــدّدِ

ألا ليشهـــــدَ عشرَ كـــــلِّ محرّمِ
بـــــالطـــفِّ مـــأتـــمَ آل بيـــتِ محمّـــدِ

التخميس الأوّل
لصاحب الديوان

[الكامل]

لا تَحَسبــنَ اللهَ مُخلــفَ وعــــدِهِ أوليسَ بــالانجــازِ كــافي عبـدِهِ
لا والــذي نطـقَ البريـقُ بحمــدهِ (إنّ الأثيرَ على تقــادُمِ عهــــدِهِ
لغـــدوِّهِ ورواحِـــهِ المتعـــدّدِ)

لم ينسَ عــزمــاً أنّــهُ بجنــانــهِ إذ لم يقــمْ إلاّ على أوثــانِـــهِ
ورأى الــزوالَ. ولا زوالَ لحانــــهِ (مــا كــرّر الأعــوامَ في دورانِــهِ
وبـــدورةِ الأيــــامِ لم تتجـــدّدِ)

يــا ســائلاً عَنْ سرٍّ ذاكَ المبهــمِ لقـد استقمتَ على الطـريقِ الأقـومِ
إن كنـتَ صـاحب سرّنــا قُل واكتـمِ (ألا ليشهــــدَ عشرَ كــلِّ محرّمِ
بــالطـفِّ مـأتــمَ آلِ بيـتِ محمّــدِ)

التخميس الثاني

[الكامل]

للأديب المكرم الشيخ عبد الرحمٰن المدرّس الخراساني ـ سلّمه الله تعالى ـ :

مَـنْ فـازَ (فطـرسُ) حينَ لاذَ بمهـدهِ　　　شُقّـت جيـوبُ العـالمينَ لفقـدهِ
هيهـات يُنسـى ذكـرهُ مِـنْ مجدهِ　　　(إنّ الأثيرَ على تقـادمِ عهـدِهِ
لغـدوِّه ورواحِـهِ المتعـدّدِ)

يجري جمالُ القطـرِ مـن أجفـانِـهِ　　　ويسيـحُ دمـعُ العينِ مـن أعنـانـهِ
فانـظرْ تـراهُ في علـوّ مكـانِـهِ　　　(مـا كـرّر الأعـوامَ في دورانِـهِ
وبـدورةِ الأيّـامِ لم تتجـدّدِ)

إلاّ ليلثـمَ منـهُ تُـربَ المقـدمِ　　　ويخرّ لـلأذقـانِ ثـمَّ وللفـمِ
بـلْ مـا سعـى سعيُ المجدِّ المقـدمِ　　　(ألا ليشهـدَ عشرَ كـلِّ محرّمِ
بـالطفِّ مـأتـمَ آل بيـتِ محمّـدِ)

التخميس الثالث

[الكامل]

للأديب الأريب الشيخ داود الخراساني ـ سلّمه الله ـ قال:

قــد سُـلَّ نصـلُ محرمٍ مِـن غمــدِهِ يفـري قلـوبَ الطـاهـراتِ بحـدِّهِ
كيـفَ التجلّـد والعـزا مـن بعـدِهِ (إنّ الأثيرَ على تقــادمِ عهــدِهِ
لغـــدوِّهِ ورواحِــهِ المتعــدِّدِ)

لمّارأى بـالعينِ مِـنْ حـدثـانـهِ رأسَ الحسينِ بـدا بـرأسِ سنـانِـهِ
والشلـوَ منــه مقطّعـاً بسنـانـهِ (مـا كـرّرَ الأعـوامَ في دورانِــهِ
وبـــدورةِ الأيـــامِ لم تتجــدَّدِ)

ودمــوعــهُ مـن عينــهِ لم يُسجـمِ وبكـــاؤه في رعـــدِهِ لم يصرمِ
وهِيبــهُ في بـــرقـــه لم يضرمِ (ألا ليشهـــدَ عشرَ كـــلِّ محرّمِ
بـالطفِّ مـأتـمَ آلِ بيـتِ محمّـدِ)

التخميس الرابع [١]

[الكامل]

كبرَ الأثيرُ وشـــابَ عقـربُ قَـــودِهِ   واحـدَوْدَبَتْ كـالقـوسِ بـانـة قـدهِ
متقـــادمٌ يغــدو يــروحُ بجــدّهِ   (إنّ الأثيرَ على تقـــادُمِ عهـــدهِ
لغــــدوِّه ورواحــــهِ المتعـــدّدِ)

لم يسبـحِ القمـــران في ايـــوانــهِ   لم يـأتِ بـالنـاهيـدِ أو كيـوانــهِ
مــا عــاد أشهــرَهُ على حـدثـانِــهِ   (مــا كــرّر الأعــوامَ في دورانِــهِ
وبــــدورةِ الأيــــامِ لم تتجــدَّدِ)

ألا ليقعـــدَ في الطفـــوفِ بمـأتــمِ   ويقــومَ فيهــا بـــالحدادِ الأسحـمِ
بـل ليس ينظـرُ مَـنْ منـاظـراً بكـمِ   (ألا ليشهـــــدَ عشرَ كـــلِّ محرّمِ
بـــالطـفِ مـأتــمِ آلِ بيـتِ محمّــدِ)

١ـ لم نقف على صاحبه فهل هو للناظم أو لغيره.

ومن تخاميسه. والأصل لعبد الباقي العمري

[بحر الخفيف]

يـا أخـا المصطفـى تعـاليـتَ جـاهـا   بمـواخـاتِـكَ ابنَ عمّـكَ بـاهـا
ولـكَ الطهـرُ بنتُـهُ قـد جـلاّهـا   يـا أبـا الأوصيـاءِ أنـت لِطـاهـا
صهـرهُ وابـنُ عمّـه وأخـوهُ

بـارَكَ اللهُ فيـكَ خلقـاً وأمـرا   وعـن الـوصـفِ جلَّ شـأنـكَ قـدرا
سرُّ معنـاك حيَّـر النـاسَ طُـرّا   إنّ للهِ في معـانيـكَ سِرّا
أكثـرُ العـالمينَ مـا علمـوهُ

أنـتَ نـورٌ محضٌ بغير ارتيـابِ   مُـدعٍ في شـوامـخِ الأصـلابِ
كيـف بـاريـك آدم في انتسـابِ   خلـقَ اللهُ آدمـاً مِـنْ تـرابِ
فهـو ابـن لـه وأنـتَ أبـوهُ

المدائح

في مدح أحد العلماء الأعلام

[الطويل]

أقـرّتْ ــ شفـاكَ اللهُ ــ طلعتُـكَ الغـرّا
عيــونَ بنـي العليـــاءِ يـــا لهُمُ البُشرا

بمقـــدمـكَ الميمـــونِ طيّبـتَ أرضَنـــا
وعطَّـرتْ مِـنْ أقطـارِهـا السهلَ والـوعـرا

جَلــوتَ عـنِ الــديـنِ المبينِ ظُـلامـــةً
فلقـتَ لعمـــري مِـنْ سنـاكَ لـــهُ فجـرا

فــإنّــكَ بـــدرٌ والأفـــاضـــلُ أنجـمُ
طلعـتَ فغشّـى نـوركَ الأنجـمَ الــزُّهـرا

نعـمْ. أنـتَ بـــدرٌ في الأفـاضـلِ طلعـةً
وأكثـــرهـــم علماً وأوفـــرهـــم أجـــرا

وأعلى الـــورى كعبـــاً وأبسطهـــم يـــداً
وأعظمهـــم شـــأنـــاً وأرفعهـــم قَـــدرا

تَفيـضُ مِـنَ العشرِ الألــوفِ لـــواحـــدٍ
فهيهـــاتَ أن يحكـــي الغمامُ لـــه عُشرا

وتجدي جِيـــادُ الخيــلِ مُستحييـــا كما
تعــاطى عتــاقُ النــوقِ مُبتغيــاً عِــذرا

يطيرُ إليـكَ العـــالِمونَ استفـــاضـــةً
كــأنّ لهم عشـــاً ببـــابــكَ أو وَكـــراً

فأنــتَ الــذي علّــى المعــالي رواقـــها
عليـــهِ. وأرخـى مـن جــلابيبهـا سِترا

رُزِقــتَ نعيــمَ النشــأتينِ كفـــاءةً
فطـوبى لكَ الـدنيا وطـوبى لكَ الأُخرى

تــردّيـتَ بُــرداً مــذْ جنيتَ مضــاعَفــاً
ستلبس يـومَ الــديـنِ مِنْ سنـدسٍ خُضراً

فــأنـتَ خُضـمّ العلـمِ لا غـرو أن تمجَ
وأيّ خُضَــمٌ فـــــارقَ المدَّ والجَزرا

فكـمْ مِــنْ لئـالٍ في خَــزائِنِـكَ اختفتْ
وكـم روضُ فضـلٍ من قـواميسكَ اخضرّا

أحَلْـتَ فنـــونَ الفَضـلِ وهـي فلـــزةً
بــاكسيركَ الصـــافي حَقيقهـــا تِبرا

تَميــسُ كطـــــودِ الحلـــمِ للهِ أكبر
وتسري كبــدرِ التَّــمّ سبحــانَ مَــنْ أسرا

لمجـــــدكَ قصرٌ في السماءِ مشيّـــــدٌ
بــهِ انحطَّ عـن قــدريهما النثرُ والشعــرى

فلــو أنْ حـوى (معشــارَ مــانلتَـهُ) امــرؤٌ
لقــالَ بــأنّي في الـــورى الآيـــةُ الكبرى

عـــذوليَّ كِفّــا عــن مَــلامــي إنَّ لي
لــو أنصفتما في مـــديحِتِـــهِ عُــذرا

هـو النـورُ لـو يَحكـي الجديـدان [1] وجهَـهُ
لما لمتُ دَهــريــا إذا عبـــدَ الـــدَّهــرا

إذا مــا اختبرنــا علمَــهُ لم نُحـطْ بــهِ
هــو البحــرُ حــاشـا أن نحيطَ بــه خِبرا

محاسنُـــهُ كثــرٌ لإنْ كنـتَ مُحصيــا
حصـى عــالـجٍ. أعــدُ محاسنَـهُ الكثـرا

١ـ الجديدان: الليل والنهار.

ومــــا أنكــرتُــــهُ النــاسُ إلاّ تَعنتـــاً
لأنّ التُّقـى قـــد كــانَ عنــدهـم نكــرا

لَعمــري وإن أفنـى النَّـدى جـلَّ مــالِــهِ
لـهُ الــذكـرُ بـاقٍ عــاشَ مِنْ بعــدهِ عُمـرا

مِــنَ العـــدلِ إن تحيــي ودهـــرٌ يجورُ بي
كــأنّ لــــهُ عنـــدي بقتلتـــهِ وِتـــرا

لقــدْ هنـتُ في تبريـــز قــدراً وســؤددا
وطـرفُ السُّهـى قـد كـانَ ينظـرني شَـزْرا [١]

فيـــاويــلَ دهـــرٍ خَطبــــهُ يستفــــزّني
وقــلْ لـــهُ. إنْ قلــتَ: يــا ويلــهُ دَهــرا

وأشكــــرُ للــــرحمٰنِ في كــلِّ حـــالـــةٍ
ومثليَ للـــــرحمٰنِ فليُعمـــلِ الشُّكــــرا

١ ـ النظر الشزر: النظر بطرف العين.

وقال أيضاً يمدح أحد السادة الأجلاء

[الطويل]

وَ فــدتَ فطــابـتْ مِـنْ وفــودِكَ أوطــانُ
وأورَقَــتْ الأغصـــانُ والأيــكُ والبـــانُ

مَـــــلأتَ ببشرٍ شرقَ أرضٍ وغـــــربَها
فلــم يخلُ مـــن بُشرٍ مكـــانٌ وأكـــوانُ

قـــد انهدَّ مِـنْ مسراكَ طـــاقُ ضــلالـــةٍ
كما انهدَّ مـــن ميـــلادِ جـــدّكَ طيقـــانُ

إذا غِبـتَ عـــادتْ عَـنْ قلـوبٍ بشـــائرٌ
ومـذ عُــدتَ غـابـتْ عـن ضمائرَ أشجـانُ

تـــأمّ بشـــقِّ النفـــسِ بيتـــاً وركنـــهُ
وأنـــت ليَ. البيـــتُ الحرامُ وأركـــانُ

دعِ الهَدْيَ والقـــربـــانَ عنـك بمشعـــرٍ
فنفسي هَـــديٌ في مِنـــاكَ وقـــربـــانُ

فهـــا أنـــتَ لـــــلانســـــانِ عينٌ بصيرةٌ
ومـــا كـــلُّ عينٍ قـــد تجسَّـــم انســـانُ

بِـكَ افتخـــرَ الســـاداتُ مـن آلِ هـــاشـمِ
كما بـــالنبـيِّ الطهـــرِ يفخـــرُ عـــدنـــانُ

لقَــــد نطـق التـــوراةُ قـــدمـــاً بفضلكـمُ
وانجيـلُ عيســى والـــزبـــورُ وفـــرقـــانُ

كَستـك يـــدُ العليـــاءِ بـــردَ جـــلالـــةٍ
وطبعُـكَ عـن ثـــوبِ الـــرذالـــةِ عُـــريـــانُ

كـــأنّـــكَ والعليـــاءُ والمجـــدُ والتقـــى
تـــوامٌ ــ ولِـــدتُـم مِنْ كـــريـــمٍ ــ واخـــوانُ

وإذ ظـــاهـــرُ الأشيـــاءِ عنـــوانُ بـــاطـنٍ
فســؤددكَ الـــوضّـــاحُ للمجـــدِ عنـــوانُ

سجيّتُـــكَ التقـــوى وشيمتُـــكَ الهدى
وعـــادتـكَ الجدوى وفعلُـكَ احســـانُ

ومَجّدَكَ (الطُهـــــرانُ) مـــن خيرِ مَعشرٍ
فما زادكَ السلطـــانُ مجداً و (طهـــرانُ)

تَـــرفَّعـتَ في أهـلِ المعـــالي كـأنّما
محطُّ معـــاليــكَ السِّماكُ وكيـــوانُ

فـأنـتَ (ايـاسٌ) في الشهـامـةِ والـذكَـا
وفي العلـمِ لقمانٌ. وفي الـــزهــدِ سلمانُ

أبـــوك لـــو أنْ أمســى كسلمان قــاضيــا
فــأنــتَ لَعمـــري في القضـــاءِ سليمانُ

وجــــدواك مــــا الغبراءُ ميـــدانُ سيرهِ
لـــه قبـبُ السيّــارةِ السبـعِ ميـــدانُ

فأنـتَ الكـريمُ ابـنُ الكـريمِ، أخـو التُّقـى
أبـو الفضـلِ قــد ربّـاكَ علـمٌ وايقــانُ

ولم يستطـعْ كتمانَ فضلِـكَ حـــاقـــدٌ
وهـلْ ضَــرَّ ضـوءَ الشمسِ حقـدٌ وكتمانُ

فــديتُكَ يــا بـنَ الطُّهـرِ هــاشمٍ والــذي
قــد انكـبَّ اجـلالاً لـــهُ اليـومَ أذقــانُ

لقــد صرتُ في تـوصيـفِ ذاتِـكَ (بـاقـلا)
وانّي (قـسٌ) في المقـــالِ و (سحبــــانُ)

فــإنْ أنكــرَ الحسّــادُ فضلي فــإنّما
نتــائجُ أفكــاري لَفضليَ بــرهــانُ

وإنْ صغَّــرت (تبريــزُ) شــأنَ مبرّزٍ
ولكــنَّ لــهُ في غيرهــا الكثــرُ والشــانُ

فــدونكَ أبيــاتــاً بَنتْهــا قــريحتــي
وفضلي أُصــولٌ والفصــاحــةُ حيطــانُ

وعــشْ سالماً في الــدهــرِ مــا فــاض زمــزمٌ
ومــا أَمَّ بيــتَ اللهِ رَجْــلٌ ورُكبــانُ

وله أيضاً

مادحاً

[بحر الوافر]

أُنــــاديَ الصحــبَ إذ ركبــوا جيــــادا
رُويـــــداً راجــــلاً أثــــرَ الجيــــادِ

فقــالــوا: أيـنَ مَـنْ ركـبَ المطــايــا
مِـــن الحافي المهـــرول في البــــوادي

فقلــتُ لأمــــلأنَّ حــديــثَ أمــري
إلى نجـلِ (القـــوامِ) أخِ الـــرشــــادِ

فهــا هــو صــاحــبُ الـديـوانِ عَـدلاً
ومَــنْ لم يَحكــم إلاّ بـــــالسَّــــدادِ

أميرٌ عـــنْ أبيـــــهِ عَــنْ جُـــــدودٍ
روى أخبــــــارَ مجدٍ بــــــاستنــــــادِ

فقــالــــوا رُبَّ مَــنْ يعطــي نــــوالاً
ســــوى خيــلٍ إذا بســطَ الأيـــــادي

فقلـــتُ هـــــو الجوادُ فليـــس يُجدي
لمنْ يَـــرجـــو نـــداهُ ســـوى جـــوادِ

وقال مادحاً
أحد علماء عصره

[الخفيف]

يــا خُضَمّــاً تفيـضُ منــه الأيــادي
وجَـــواداً أزرى بِـــوكــفِ العهـــادِ

أنـــتَ أهـــلٌ لأن أُفـــدّيــكَ أهلي
وســـواهــم. وذا قليـلُ العـــدادِ

قَـد كفـى مُعجـزاً لـكَ اليـوم أنْ نلـتَ
بما لم يصـــلْ إلى الأجـــــدادِ

إنَّ للهِ فيــك معنـــىً بَـــديعـــاً
عجـــزتْ عـن بيـــانِـــهِ كـلُّ ضـــادِ

أنـــتَ بَـــرقٌ سَقـى بســافِـحِ دَمـعٍ
مِـنْ غمامِ الجفـــونِ جـــدبَ الفُـــؤادِ

مُـــذ تَنـــادى يـومـــاً لنَــدبِ شَهيـدِ
قـــامَ للشـــاهـــديـنَ يـــومَ التنـــادِ

تُـــدخـلُ النـــاسَ في الجنـــانِ بـذكـــرٍ
يُـــذكـيَ نـــارَ الجنـــانِ والأكبـــادِ

ذِكــــرُ مَـــنْ راحَ في الطفـــوفِ قَتيـــلاً
وغَــــــدا في العَــــرا بــــــلا إلحادِ

ســـوفَ تَلقى بشـــارةَ السّبـطِ يَـــومـــاً
ليـــــــــــسَ بُشرى في المالِ والأولادِ

يـــا أمـــيراً سَمـــا السَّـــماواتِ مَجـــداً
مـــا لبـــاديـــهِ غـــاربُ الأوتـــادِ

بحـــــرُ جـــــودٍ منـــــهُ الجداولُ تَجري
وِردَ فيـــضٍ قَـــدْ ســـاغَ للـــورّادِ

كـــاظـمُ الغيـظِ أكـــرمُ النـاسِ جيـــلاً
مِـــنْ سَليـــلِ الأطـــــائِبِ الأمجادِ

وقال يتغزّل
وهي من محاسن أشعاره

[الطويل]

لـكَ اللهُ هــل تُطفـي دمــوعٌ ســوافـحُ
تبــاريـحَ شـوقٍ أضمــرتْــهُ الجوانـحُ

أو ينسلي يــومَ النــوى عَـنْ غَــرامــه
معنّـى الحشـا مِـنْ طَـرفـهِ الـوجـدُ لائِحُ

كــأنَّ جفــوني لم يُكَفكــفْ غَمامُهــا
ولا نــاظــري يــومــاً رَكـايــاهُ نـازحُ

فكيــفَ ولي إذْ فــارقتنــي أُميمــةٌ
دمــوعٌ جـرتْ مِــنْ فيضهِـنّ الأبــاطـحُ

ألا ظَعنــــــــــتْ أسماءُ والخودُ دونها
كـواكـبُ حـولَ البــدرِ زهـرٌ لـوامـحُ

كـأنّ قَنـا حــراسهـا الـذيـلُ غـابـةً
بها مِــنْ أُبــاةِ الضيـمِ أُســدٌ صـوائحُ

تُقيـمُ إذا قــامـتْ على قيــامــةٍ
فَينشرني مـن نَشرِهــا المسـكُ نــافِـحُ

تَــروحُ وتَغـدو والقلـوبُ رِكــابها
تُنــادي رويــداً أيـنَ غــادٌ ورائحُ؟

تصــدّ بقــدٍ مــائسِ العَطـفِ نــاعـمٍ
رشيــقٍ كغصــنٍ رنَّحتــهُ الــروائحُ

وخــدٍّ يُــريـكَ الصبـحَ والليـلُ أليـلٌ
وصــدغٍ يُــريـكَ الليـلَ والصبـحُ واضـحُ

ألا خَلّيــاني ـــ يــا نَصيحيّي ـــ والجوى
فهيهــاتَ أن تُشفـي جـوايَ النصــائحُ

ولا تَشمِتــا بيَ اليـومَ مِنْ لَــوعـةِ المهــا
ألا ربَّ يـــوم كــانَ منهــنَّ صــالـحُ

فللّـــهِ بــالأكـــوارِ وقفتنــا ضُحــىً
وللشــوقِ في صَــدري زنــادٌ قــوادحُ

فكــمْ لي على تلـكَ المواقــفِ لهفــةٌ
وإنْ رسمتهــنَّ الــريــاحُ اللــوافِـحُ

فــإنِ تكــن الجرعــا [١] محطَّ رحــالها
فيـا لا عـدى [٢] الجرعـا مِنَ المزْنِ سـافـحُ

وإن تـكُ بــالفيحــا لها مِــنْ مســارحٍ
فيــا حبّــذا الفيحــا وتلـكَ المســارحُ

لقــد فــاضَ يــوم البينِ جفنـي كـأنّــهُ
فيــوضُ يــدي عبــد الحسينِ النــواضـحُ

١ـ الجرعاء: اسم محلّ، حذفت الهمزة لضرورة الشعر.

٢ـ «لا عدى» : أي لا يتجاوز المزن السافح الجرعا.

وقال مادحاً ومفتخراً

[بحر الخفيف]

قــامَ طَبعـي لنظمِ عَقْــدِ اللئــالي ... ببنـــانِ الأبكـــارِ مِـنْ أفكـــاري

بعـدُ أني استعنتُ بـالفيـضِ منكم ... واستعـرتُ العُلى وصـدقَ الـدثـارِ

بـــأبي أنتـــم ونفسي أفيضـــوا ... استنــرْ كــالنجــومِ في الأنظــارِ

لـــو نَظـرتُـم إلى السُّهـى بـرضــاءٍ ... قــامَ يغشـى البيضـاءَ بــالأنــوارِ

مَلـكَ الكــلُّ منكـم بعـضَ معنـى ... في مطـــاويـــهِ كـمْ مــن الأسرارِ

أنتـــمُ بينَ أهـــلِ المعـــــالي ... كبـــدورٍ تـــدورُ بينَ الـــدراري

لا تخالُـــوا (تبريـــز) دار اغترابٍ ... لعُـــلاكـم مــواطـنٌ في الـديــارِ

وتجاريـــبَ في التغـــرّبِ لا زا ... لَـتْ بها تكتفـي أُولــوا الأبصــارِ

لســتُ يـومَ الـرهــانِ إلاّ المجلّــي ... غير أنّي الـــرهينُ لـــلأعســـارِ

ليس بِـدعـــاً إنّي تجرّدتُ مِـنْ رأ ـــ سِ الخطــايــا كـأحمدِ المختـــارِ

إنّما المالُ زينـــــةٌ في كتـــابِ ـــ اللهِ وهـي الشعـــارُ لـــلأبكـــارِ

لم يُـزِنّي اللبــاسُ غير لباسِ الـــ ـــفضلِ إذْ فيهِ حليـتي وافتخـــاري

قـد فَتحتُ أبـوابَ علمٍ على الجهّـــ ـــالِ والـدهـرُ مُغْلِـقٌ بـابَ داري

إن تَخَفَّيْـتُ في الـــزوايـــا فـإنّي ـــ كسهيــلٍ يلـــوحُ في الأسحـــارِ

وقال مهنّئاً

[الكامل]

حُييتَ بالأعيادِ يا مَنْ يَرتقَي   أعلى سنامِ المجدِ سيّدنا التقي

قد فُقتَ أربابَ المعارفِ كلّها   فعُرِفتَ فيهمْ بالأديبِ المفلقِ

أنتَ الذي طبّقتَ بالفخرِ السما   وبنفحةِ الأخلاقِ وجهَ الفيلقِ

تَغذو بقوتِ العلمِ حُلواً مثلما   مِنْ بَردِ سِلسالِ الفضائلِ تَستقي

يَسرنُو إليكَ الراكبونَ مجدةً   لكنّما عنفتْ خفافُ الأينقِ

المجدُ عشرةُ أسهمٍ فلواحدِ   نالَ الورىٰ. وملكتَ سائرَ ما بَقي

وقال مادحاً

[الخفيف]

يــا كـــريماً تفيض مِنــهُ الأيــادي ... وجَـــواداً يـــزري بقسِ أيـــادِ [1]

إنْ تكـنْ تَنكـرُ انسجـامَ سحـابٍ ... أو أوارَ النيرانِ ذاتُ التقـــــادِ

فتكلّــفُ بقبــضِ كــفٍّ بسيــط ... وبســـــدِّ الخُضَــمٍّ للـــــورادِ

مـــا ابتغينــا منـك النّـــوالَ كثيراً ... والكثــرُ، لــــديـك قُـلُّ العــدادِ

ليس لي صـامـتٌ ولا نـاطـقٌ بـلْ ... دون ذيـنِ لـــديَّ خـــرط القَتـــادِ

فجـــزاكَ الإلـــهُ عنـــي جـــزاءً ... حَسُنــاً نَجتـــدي بـــهِ في المعـــادِ

---

١ ـ أيادِ: أي قبيلة أياد بن نزار بن مَعَد.

وقال أيضاً متغزّلاً

[البسيط]

يا عـاذلي في الهوى دَعني وأشجاني | سَلْ عَنْ جـواه الحشا فأمـرْ بسُلواني
وكيـفَ يصغي محبٌّ لـومَ شـانئِـهِ | بِـوجـدهِ كـلّ يـومٍ فهـو في شـأنِ
حَسَا مُـدامَ الهوى مِنْ كأسِ مُقلتِـهِ | فمالَ عطفـاهُ شـوقـاً ميـلَ نَشـوانِ
مـا ذاقَ طَعـمَ رقـادٍ طَـرفُـهُ شَغفـاً | فَطـرفُـهُ ـ سَهِـراً ـ والنجمُ إلفـانُ
يَشكـو إلى طـرفِهِ الـوسنـانِ محنتَـهُ | للهِ مِـنْ سـاهـرٍ يَشكـو لِـوسنـانِ [1]
يعقـوبَ بينِ بنـىٰ مـا بين أضلعـهِ | في يـوسفـي المحيّـا (بيـتَ أحـزانِ)
كعندمٍ[2] أو دمٍ تنهـلُ مقلتُـهُ | بـذائبِ القلـبِ مِـنْ تلـويـحِ نيرانِ
فيـا لِقلـبِ بنـارِ الشَّـوقِ مُضطَـرمٍ | ويـا لجفـنٍ يـذوبُ القلبُ هتّـانِ
ثـلاثـةٌ شهـدتْ أنّي قتيل هـوىً | جَمرُ الحشا، وضَنا جسمي، وأشجاني

---

١ ـ الوَسَن: النعاس.

٢ ـ العندم: نبات أحمر يصبغ ويقال له : دم الاخوين.

وصَـدّقَتها عـدولٌ منـهُ أربعـةٌ خصرٌ، وردفٌ، وأعطافٌ، وعينانِ [١]

يـا مَن أراقَ دَمي بـالسودِ مِـنْ مُقلٍ اللهُ اللهُ في سفـكِ الـدمِ القـاني

روحـي فِـدا بـابلِي راحَ في غَنَجٍ حينـاً أمـاتَ. وبـالأحيـانِ أحيـاني

إذا رآني رَمـاني سَهـمُ مقلتِـهِ شكـوايَ مِنْ مُقلتـي لا مقلـة الجاني

لو كانَ يَصمـي فؤادي غيرُ أسهمِها لقلتُ (تَبتْ يدا) مَنْ ظَلَّ أصماني [٢]

طـالِعٌ بخـديـهِ خطـاً قـد فُتنتُ بـهِ يُعَنـونُ الشرحُ منّـي أي عنـوانِ

تجمَّـعَ الحسـنُ طـرّاً في شمائِلـهِ كـأنّها لـوحُ ديـوانٍ لسلطـانِ

حُلـوٌ مناهِلُـهُ، عـذبٌ مـوارِدُهُ جلّـتْ محاسنُـه عَـنْ وصـفِ انسـانِ

مـزنُ الفنـونِ بعيثُ الفضـلِ روّضـهُ حتى غدا روضُ فضلٍ ذاتُ أفنانِ [٣]

تـراهُ بينَ الـدواويـنِ التي سطعـتْ أنـوارُهـا قمـراً في سمـطِ مَـرجـانِ [٤]

١ـ الخصر: وسط الانسان. وهو المستدق فوق الوركين. و أعطاف: جمع العِطْف وهو: الإبط. وعطف كل شيء: جانبه.

٢ـ أصماه: قتله. و لعل الأنسب: من كان أصماني.

٣ـ الفنن: الغصن.

٤ـ السمط: الجانب. يقال: يمشي بين السماطين. أي بين الجانبين.

فَلَـو على بشرٍ أبيـاتُــهُ نَـزلـتْ | لقــالَ: إنّي نبــيٌّ وهــيَ فُــرقــاني
فـراحَ أسلـوبُـهُ ضـافٍ يـروحُ بـهِ | نُـدمـانُ نـاديـهِ في رَوحٍ وريحانِ
تملّأ الكــونُ في امــلائِهِ عَجبــا | حتــى غـــدا الملأُ الأعلى بحيرانِ
روضٌ تفـرّدَ في امـلاءِ سـاحتِـهِ | ورْقُ القـوافي بـاسجـاعٍ وألحانِ [١]
الثـابـتُ المجـدِ والسيـارُ مـدحتِـهِ | ما بينَ شرقٍ وغربٍ سيرَ (كيوان) [٢]
العيلـمُ العَلَـمُ العـلّامُ ذو حسـبٍ | زاهٍ. وذو نسـبٍ زاكٍ كعــدنــان
في النَّظمِ والنثـرِ لا زالـتْ قـريحتُـهُ | الـوقّادُ تَـزري بحسانٍ وسحبـانِ [٣]
وبِكـرُ أفكـارهِ لـو وجهها بـرَّزَتْ | لخرّ مِــنْ عجــبٍ كـلٌّ لأذقـــانِ
يهُزّه المدحُ كـي يُعطـي ويـوم ثنـاً | يهتــزُّ خيفـةَ أن يُعطـى بـاحسـانِ
يميـسُ في بُـردِ مجدٍ مُــذْ تعلّقـهِ | وفي تجرّدهِ يُلفــى بعــريـــانِ
بـاقٍ على عهـدهِ في كـلِّ مـأثـرةٍ | لكــنْ كليَّــهُ في ربِّــهِ فــانِ

١ـ الورْقُ: طائر صغير حسن الصوت.

٢ـ كيوان: نجم في السماء.

٣ـ سحبـان وائل: خطيب العرب أدرك الإسلام وأسلم عَمَّـر كثيراً. قيل: إنّه كـان إذا خطب لا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ.

لله مطـــويٌّ سرٍّ في طـــوّيتــــهِ ... يجلُّ معنــاهُ عَــنْ ادراكِ أذهـــانِ

يـدو عُــلاهُ وإنْ حسّـادُهُ كتَمـتْ ... وكيـفَ يخفـى سنـا شمـسٍ بكتمانِ

لـو فضّلوهُ على الأخيـارِ مِـنْ عجمٍ ... لقلـتُ زيـدوا عليهـم آلُ قحطـانِ

تحكَّـمَ الخلقُ حتـى قـالَ قـائِلُهـم ... تعلّـمَ الحكـمَ هـــذا مِـنْ سليمانِ

ومُـذ أتى بـاليـدِ البيضـاءِ معجـزةً ... مِنْ شِعـرِهِ خلتهُ موسى بـنَ عِمرانِ

فَـردُ الـورىٰ مـالـهُ ثـانٍ ولا شبـهٍ ... وَقَـلَّ فيـــهِ ثنـاءً: مــالـــهُ ثـاني

أبــدى لمدحـي روّيـاً في طليعتِــهِ ... يـزري بنــابغـةٍ في مَــدح نُعمانِ [١]

في الكونِ لا زالَ مـذكوراً فضـائلُهُ ... ما جاوبَ الألفُ ألفـاً فوقَ أغصـانِ

١ـ النابغة الذبياني: شاعر جاهلي كبير.

وله مادحاً

[الطويل]

قَطعتُ الفيافي مهمهاً بعد مهمهٍ
إلى أنْ أنختُ النضو [1] في ساحلِ البحرِ

إمامٌ ببحرِ العلمِ قَدْ كان سابحاً
وكوكب مجدٍ سابحٍ في سما القدرِ

ألا أيّها المولى الذي عمَّ جودُهُ
على الخلقِ إنْ ضنَّ الغمامةُ بالقطرِ

قَد احتالَ في فقري الزمانُ بصرفهِ
إلى أن بكتْ عينُ الزمانِ على فقري

فلم يبقَ لي إلاّ نوالكَ حيلةٌ
ولو لم أنلهُ غالتي حيلُ الدهرِ

١ـ النضو : الجمل الذي أضناه التعب من المسير. وغرضه من البحر هو بحر العلم.

وقال متغزّلاً ، ومتحمّساً، ومادحاً
لبعض أصدقائه

[البسيط]

أجـرى الفـراقُ دمـوعي مـن مـآقيهـا
دمـاً وقـد بلغـتْ روحـي تـراقيهـا

يـاليتنـي لم أرم حـبَّ المهـا شَغفـاً
ولم أقـاسِ الليـالي في تَنـائيهـا

تَحلـوا الصبـابـةُ للعشـاقِ إنْ خفيـتْ
ولم تكـن رُقبـاءُ الـوصـلِ تُفشيهـا

وكيـفَ ذا و أوارُ القلـبِ يُظهـرهـا
والقلـبُ يكتُمهـا والـدمعُ يُبـديها

لي غـادةٌ تقتـلُ الأرواحَ في غَنَـجٍ
طـوراً. وطـوراً بلحـظِ العينِ تُحييهـا

تَـرمـي فُـؤادي بسهـمٍ مِـنْ نَـواظـرهـا
شكـواي مِـنْ مهجتـي لا سهـمُ راميهـا

ثــلاثــةٌ شهـــدتْ أنّي قتيـلُ هـــوى
خصرٌ وردفٌ وسهــمُ الجفــنِ يَــرميهـــا

كـــأنّ جفنـــي لم يُنْـــــزَحْ قليبهما
يـــومَ الإقـــامـــةِ في (تبريــــز) تَمويها

فـــلا كـــريـمٌ بها تُــرجـى مـــواهبـــهُ
ولا (دبيرٌ) يَـــرى في العيـش تَــرفيهـــا

وانّنـــي رجـــلٌ لا العلـــمُ ينكـــرني
شرحـــاً وبسطـــاً وايـــراداً وتَـــوجيهـــا

ولي قـــلائدُ أشعـــــارٍ منضّـــدة
اغـــرٌ مـــن جبهـــةِ الشُّعـــرى لآليهـــا

ســاغَتْ مــواردهـا طـابَتْ مصادرهـا
راقــتْ محاسنُهـــا دقّــتْ معـــانيهـــا

لأخبرنّ حماةَ الـــديـــنِ مُشتكيـــاً
شرحَ المقـــاســـاةِ تَصريحاً وتنبيهـــا

هـــو الـــوزيـــرُ الـــذي مِنْ حسنِ نيتـه
طـــابـــتْ أواهـــلُ أرضٍ أو بَـــواديها

ملـــكٌ خبيرٌ بصيرٌ ســـــاهــــرٌ فطـــنٌ
عـــدلٌ رؤوفٌ عطــــوفٌ جــلَّ تشبيهـــا

هـــو الجوادُ الـــذي مـــا رُدَّ ســـائلُــــهُ
حـــاشـــا ولـــو رامَ منـــهُ النفسَ يُعطيهـــا

لـــو شَـبَّ نـــارُ الـوغـى والبيـضُ نـــائبـةٌ
بـــرأيـــهِ الصـــارمِ الـــوضـــاحِ يُطفيهـــا

غَـــوثُ الخلائقِ مِـنْ عُـــرْبٍ ومِـنْ عَجـمِ
غيـــثُ المهالـــكِ دانيهـــا وقـــاصيهـــا

حَـــوى المكـــــارمَ طُـــرّاً لم يَـــذرْ لفَتـــىً
يـــأتي بمكــــــرمـــــةٍ إلاّ يُـــدانيهـــــا

فلـــــو رآهُ ابـــنُ عبّـــــادٍ لنـــاولـــــهُ
دَســـتَ الــــوزارةِ تَعظيماً وتَنـــــزِيها

وقهـــــرمـــانُ البراري والبحـــــارِ ويـــــا
نجـــمَ الــــوزارةِ يـــــا أسنـــى دَراريها

لَـــو حمّلـــوا متنُ شُـــمٍ مـــا أكـــابـــدهُ
مِـــنْ الشـــــدائدِ لانهدّتْ رواسيهـــــا

لم أدّخــــرْ للشقـــا داراً ولا لغـــــدِ
كـأنّنــي تــارِكُ الـــدنيــا ومــا فيهــا

أرومُ أرضـاً سِــوى (تبريــزَ) مِـنْ نــوبٍ
تُــذيــبُ لـــو نــزلـتْ رضـــوى أدانيهــا

لا زالَ منشـــورةً أعـــلامُ شـــوكتكـم
مـــا دامـت الـــروضُ تَسقيهــا غـــواديها

وقال متغزلاً ومادحاً وهي من جيد شعره

[الطويل]

سَقى اللهُ ليلاً بالحِمى طابَ لي عصرا
فيا لم يزلْ للمعصراتِ بهِ مَجرَى

بذكري لأريافِهِ الخضرِ معهدٌ
حنادسهُ بيضٌ، جرت أدمعي حمرا

إذ أراح جفنايَ استراحا عن البكا
يناديهما قلبي: (قِفا نبكيَ مِنْ ذكرى)

كأنّيَ لم أنزحْ ركيةً عندَمَ
ولا ناظري أنهارهُ عِنْ دمِ أجرى

فكيفَ ويومُ البينِ فاضتْ مدامعي
أسىً. وغرامي زندهُ قدح الصدرا

فللّهِ للتوديعِ منّا وُقَيْفَةٌ
بجنب منىً والركبُ تأمرُ بي: صَبرا

وهلْ يستطيبُ الصبرُ والصبرُ كاسمهِ
فتىً كان حلو العيشِ مِنْ رشقهِ الثغرا

تَــــرديـــتُ في حبّـــي بسترِ تجلّـــــدِ
ولكــنَّ كـــفَّ البينِ قـــــد هتــكَ السترا

إذا لاحَ بـــرقٌ مِــنْ عُـــذيـبِ وبـــارقِ
فـــــزادَ على جَمر الهوى في الحشـــــا جَمرا

فــواللهِ لي مِـنْ لــوعــةِ الــوجـدِ والجوى
لهيـبُ الغضــا لم تطفـــهِ مقلـــةٌ عبرا

عفـــا اللهُ حيّـــاً بـــالحمـى وأُميمـــةً
ولا عشـتَ يـا وادي الحمى مــوحشـاً قفـرا

فكـم عشتُ ـــ محسـوداً بـهِ ـــ رائقَ الهنـا
وكـم ظلّـتِ الأحـداقُ تنظــرني حَسْــرا

خَلــوتُ بها ليـــلاً ولا نُكــرَ عنــدنـــا
نعـمْ كـانَ معــروفُ التقـى عنـدنـا نُكـرا

حكتْ حينَ قـامـتْ نـاعمَ الغصـنِ قـامـةً
وليـثَ الشرى فتكـاً وظبـيَ الفــلا نحـرا

تَبرقعـــتِ الأصـــــداغُ والخدُّ مشرقٌ
كـأنْ فلقَــتْ مِـنْ ليـلِ بُـــرقعهـا فجــرا

ومــا أنــسَ لا أنسى التــلاقــي كـأنّني
غَــداةَ ئذٍ مـــاءً قــد اختلــطَ الخمــرا

فبتنــا ولــلأجفــانِ سكــرٌ مِـنَ الكـرى
ولكــنّ لي مِـــنْ خمرِ مقلتهـــا سُكـــرا

خلَيلي كُفّـــا عَـــنْ مـــلامـــي إنّ لي
ـــ لـو انصفتماني ـــ في صبــابتهـا عُــذرا

وكيـفَ تصغـي هجــرَ لاحِ مســامعي
كــأنَّ بها وقـــراً إذا سمعــتْ هُجـــرا

ويـــومَ وداعِ الـــوصـلِ قـــالـتْ أُميمـــةٌ
وقـــد علقــتْ ذيلي تعـــاتبنــي هَجــرا

تَجوب الفيـــافي سبسبــاً بعـــد سبســبِ
وتقطـعُ مِـنْ أقطـارِهـــا السهـلَ والـوعــرا

فقلـــت ذرينـــي والمسيرَ فـــــانّما
هـلالُ الـدجى لـولا السرى. لم يصرْ بَـدرا

سـأطـوي قفــارَ البيــدِ شرقــاً ومغـربــا
وأركــبُ مِــنْ أهـــوالها البحـــرَ والبرّا

لأمنيـــــةٍ يمّمتهـــــا أو منيــــةٍ
فـإنْ لم تـكُ الأُولى فيـا حبّــذا الأُخــرى

فَــانْ مسّنـــا ضرٌّ مِـنْ الـــدهـــرِ إنّما
لنـا مِـنْ أُبـاةِ الضيـمِ مَـنْ يكشـفُ الضرّا

أليـس نـــزيـلُ (الـــريّ) نجـمَ سعـــادةٍ
(علي بــن مسعـــودٍ) يُسهّــلُ لي أمـــرا

بلى. فَهــو الفــردُ الــذي كــان جــامعــاً
جَميــعَ المزايـــا والمنــاقــبَ والفَخـــرا

أجـلُّ الـــورى فضـــلاً وأنـــداهـمُ يَــدا
وأرفعهــمْ كعبــاً وأبـــرعهُـمْ قَـــدرا

يَفيـضُ مِــنَ العشرِ الألــوفِ لــواحـــدٍ
فهيهـــاتَ أن يحكـــي الغمامُ لـــه عُشرا

محاسنـــهُ كثــرٌ. فــإنْ كنــتَ مُحصيـــاً
(حصـا عــالـجٍ) أعـدُدْ محاسنَـهُ الكُثــرا

يجودُ جيـــادُ الخيــلِ مُستعـــذبـــاً بها
يُعــاطـي عتــاقَ النــوقِ محتسبــاً نَــزرا

لأخـــلاقـــهِ نشرٌ يفـــوحُ. بـــهِ انطـــوى
لـــــواءُ عــــرارٍ. لا يُــــرى بعــــدهُ نَشرا

أقـــلُّ مــــزايـــاهُ علــــومٌ تكثَّـــرتْ
وأخفـى سجـــايـــاهُ: وقـــارٌ بَـــدا جَهـــرا

لـــو أنّ امـرئاً يحظـى بـأصغـرِ مـا حـوى
لقـــالَ: بـــأنّي في الــــورى آيـــةٌ كبرى

لـــهُ المكـــرمـــاتُ الغُـــرِّ أوهـتْ بنـــورهـــا
قِـــوى ظُلَـــمِ الأيـــامِ. كـــالشُّهـــبِ الغـــرّا

لعليـــــائِهِ مَعنـــىً عنـــــا قيصرٌ لــــهُ
قصــــوراً. كما دانَ انكســـــاراً لـــهُ كسرى

إذا حضرتْـــهُ الـــوفـــدُ أبـــدى بشـــاشـــةً
فلـــم يعبسِ ألاّ عنـــدمـــا يـــزمعـــوا السفـــرا

يهيـجُ لـــو أن يحكـي الجديـــدان وجهـــهُ
لما لمتَ دهـــريـــاً إذا عبـــدَ الـــدهـــرا

فلَـم يجمعـــوا الأغنـــامَ إلاّ لـــذبحهـــا
ولا إِبـــــلاً إلاّ لأضيــــافِـــهِ نَحـــرا

لَعَمـري وإنْ أفنى النـدى جُـلَّ مـالِـهِ
لـهُ الـذكرُ باقٍ عـاشَ مِنْ بَعـدِهِ عُمرا

إذا مـا اختبرنـا علمَـهُ لم نُحِـطْ بـهِ
هـو البحـرُ حـاشـا أنْ يحيطَ بـهِ خُبرا

فَـديتُـكَ يـا ظَهـرَ المَعـالي ومَـنْ لـهُ
تَخضَّعـتِ الأفـلاكُ محنيـةً ظَهـرا

مِـنَ العَـدلِ أنْ تحيىٰ. ودهـرٌ يجورُ بيَ
كـأنَّ لـهُ عنـدي بمقتلـةٍ وِتـرا [1]

ويلقـى سـوائي أهلَـهُ كـلّ بكـرةٍ
وتلقينـي الأيـامُ في غـربـةٍ عَصرا

إلى مَ تخلينـي أُقـاسي شَـدائداً
تكَـادَ شُـمَّ المشمخـراتِ والصخـرا

فـأنّي بأرضِ الـري ـ لا سـاغَ ريُّـها ـ
أرى لكسـوري مِـنْ لـدنـكَ لها جبرا

١ـ وِتر: ثأر.

ويُجهـــلُ في طهـــرانَ علمـــي وإنّنـــي
فقيـــهٌ أُصـــوليٌّ يَـــرى الـــرملَ والجفـــرا

وأشكـــرُ الـــرحمنَ مِـــنْ كـــلِّ حـــالـــةٍ
ومثليَ للـــــرحمنِ فليُعمِـــلِ الشكـــــرا

ألا أنّ لـــــلأبكـــارِ مَهـــراً فـــابتغـــي
لفكـــري قَبـــولاً منـــكَ لا صلـــةٌ مَهـــرا

فَـــدونـــكَ نَظماً لستُ أقفـــو حطيئـــةً
ولا بـــن دريـــدٍ في الـــروّي ولا بِشرا

فَلســـتُ بِمـــدّاحٍ ولكـــنَّ قـــريحتـــي
تُحســـنُ في أوصـــافِـــكَ النظـــمَ والنَّثـــرا

ولا بـــأديـــبٍ يَـــأخـــذُ الشعـــرَ صنعـــةً
ولكنّني صـــدر الأُولى تصنـــعُ الشعـــرا

سلِمتَ مِنَ الأسقـــامِ مـــا هَبتِ الصّبـــا
وأضحـــكَ قطـــرُ المزنِ مِـــنْ مـــزنـــهِ قَطـــرا

وله في مدح بعض زعماء عصره

[البسيط]

في كفِّــهِ الــدهــرُ قــد ألقى ازمّتَــهُ
فما لنــا بعــدُ نَخشى فتكــةَ الــدهــر

يــا نــاصرَ الــدينِ والــدنيــا وكهفهما
عــونُ اللهيـفِ. أمــانُ الخائفِ الــذَّعَــرِ

خُبِّرتُ إنّــكَ ربُّ الخيرِ مِــنْ نعــمٍ
وفي عيــانِــكَ مــا يُغني عَــنِ الخبرِ

لكــنْ كفــى قصيرٌ مِــنْ فــوائِدهــا
كبــارِهــا. وبها رُبِّيــتُ مِــنْ صغــري

جُــدْ لي بسيــبٍ جسيــمٍ أستطيــعُ بــهِ
على أداءِ ديــونٍ شــادَهــا عُسري

لا زالَ أعــلامُ نصرٍ منــكَ خــافقــةً
مــا دامَ يتلــو الليــالي واضــحُ السَّحَــرِ

وقال متغزّلاً

[الطويل]

ألا لبسـتْ سلمـىٰ حـداد محرمٍ   فحلّـتْ بقلبـي وانتضـتْ لثبـاتي
بـدتْ سـاقُها البيضـاءُ تحت سـوادهِ   كماءِ حيـاةٍ لاحَ في الظُّلماتِ

وله أيضاً بهذا المعنى

سرُّ حيـاتي تقمَّصتْ طيلسـانـا   حين رأتنـي مـدانيـاً لمماتي
قلتْ لها لِـمَ لبستِ سـوداً فقـالتْ   مـاءُ حيـاةٍ يكـونُ في الظلماتِ

وهكذا نظمه مرة ثالثة

[السريع]

قَـدْ أسـدل الصـدغُ على وجهـهِ   ذو شغـبٍ يُـردي ويحيـي الـرفـاتِ
سـألتُـهُ عـن سرِّهِ قـالَ لي   يسرّ في الظلماءِ مـاءُ الحيـاةِ

وله

هذا الشعر أطلق عليه أُدباء الأندلس اسم الزَجَل وهو الشعر الشعبي.

قـد ذابَ مِـنْ الفـراقِ لحمي ودمـي　　　واشتــدَّ مِـنَ الشـــوقِ إليكـم ألمي
كـمْ أكتبُ قصّتـي بـــدمعي ودمـي　　　كمْ أصبرُ يـا ليـتَ وجـودي عـدمي

وله أيضاً

الجسـمُ بيـــابِ حبّكــم مطـــروحُ　　　والقلـبُ بسيـفِ هجـــركـمُ مجروحُ
والعينُ لشـــدةِ البكـــا مـــذبـــوحُ　　　يـا قـوم على الشهيـدِ نُوحـوا نُـوحـوا

وله

ألا يا ريحَ إنْ تَمرزْ على وادي أحبّائي　　　فبلّغهـم تحيّـاتي ونبّئهـم بـأشـواقـي

المراثي

قال راثياً أحد العلماء الأفذاذ

[بحر الكامل]

أرأيتَ في الإسلامِ ما صَنعَ القضا   أسمعتَ ركنَ الدينِ كيفَ تَقوَّضا

أعلمتَ أنَّ النجمَ خَرَّ على الثرى   أعرفتَ أنّ المشمَخرَّ تَنقّضا [١]

في الدينِ ثُلِّتْ ثُلمةٌ ماسدَّها   شيءٌ فسدَّ غبارُها جوَّ الفضا

ومنازلُ العليا خلَتْ، ومعالمُ التقوى عَفَتْ، وعبابَ علمٍ غُيّضا [٢]

اليومُ قدْ فقدَ العلومُ كفيلها   واليومُ أضحتْ أُمّ مجدٍ مُجهضا

واليومُ شملُ المجدِ صارَ مُبدّدا   واليومُ ماتَ العلمُ والتقوى قضى

ومدارسُ الإسلامِ أقفرَ ربعُها   مستوحشُ العرصاتِ مغبرُ الفَضا

ورياضُ فضلٍ قد ذَوتْ أزهارُها   وبها التفكرُ للأنامِ قَدِ انقضى

لا غروَ إنْ بكتِ السماءُ بعَنْدَمٍ   والأرضُ أسبلَ دمعها فتفيّضا

١ـ المشمخر: الجبل العالي.

٢ـ العباب: البحر. وغيّضا: أي زال واضمحل.

في رزءِ شيخِ المسلمين أخا التُّقى — نجلِ الرّشادِ أبي المعالي المرتضى

كهفِ الورى طودِ العُلى علمِ الهدى — سهمِ الشريعةِ والحسامِ المنتضى

لله رزءٌ ليس يأتي مثلُهُ — كفُّ الردى فيما يجيءُ كما مضى

خطبٌ أفاضَ مِنَ الدموعِ مَدامعا — حمراً وأودع في الحشا جمرَ الفضا

جَلَلٌ كسا ثوبَ الحدادِ مُحمداً — خيرَ الورى ودهى عليَّ المرتضى

أمسى لَعمْرُ أبي الثُّريا والثَّرى — للمَّةِ سختْ علينا معرضا

لبسَ الشريعةَ في المصابِ مَلابساً — سوداً وكانَ الشرعُ أنصعَ أبيضا

يا صاحبيَّ فَمنْ يعيرُ جفونَه — أبكي بها أوْ مَنْ يكون المقرِضا

ما كنتُ أرضى أن أكونَ فدا امرئٍ — لكنّني للشيخِ أعطيتُ الرضا

قد كانَ لي شيخاً وكمْ واجهتُهُ — ما لي أراهُ اليومَ عني مُعرضا؟

فلنا سلوٌ بالعميدِ وبالذي — هامُ الفراقدِ عَنْ عُلاه تَخفَّضا

(الباقرُ) العلمِ العظيمُ ومَنْ حكى — أخفى مناقبِهِ شِهاباً قد أضا

لو حمّلوا ظهرَ الجبالِ وقارَهُ — لتكأدَ الحملُ الجبالَ وانقضا

وكذاكَ نسلو (بالجوادِ) أخى التُّقى ... قــرمٌ يبـاري رأيــهُ حكمَ القضــا
ورثَ الفضـائلَ مِنْ أبيـهِ وكـمْ لـهُ ... مجدٌ لــه بــاتَ الثُّــريـا منهضـا
يمضي مضيَ أسنـــــــةِ محدودةٍ ... آراءه الغَــــرا كبرقٍ أومضــــا
أمحضتُ في قلبـي الخلـوصَ لأجلـهِ ... لما وجـــدتُ ودادَهُ متمحّضــــا
يــا قبرَ مَـنْ تــركَ الخلائقَ بعـدَهُ ... تبكي عليهِ. سقاكَ شـؤبوبَ الرضا
لقصرتُ في تقـــريضِـــهِ ورثـــائِهِ ... وأنــا الــمُسَّلمُ راثيـاً ومقـرّضـا
فلـو استطعتُ جعلتُ اجـلالاً لـهُ ... نظمـي الأغـرَ مُـذَهَّبـاً ومُفَضّضـا

في رثاء أحد العلماء الأعلام

[البسيط]

عينُ الخلائقِ تَــذري مِــنْ مــآقيهــا
دمــاً ونير فُحشــاهــا في تَــراقيهــا

ومفــرداتُ المعــالي بَعــد مــا انتظمتْ
تشتّتــتْ في الثَّــرى ينــدبــنَ حــاويها

هــلْ قــامَ بينَ الــورى يــوم النشــورِ فهم
منشــورةَ الشعــرِ قــامتْ مِنْ مغــانيهــا

أبصــارُهــا خــاشعــات في فجــائِعهــا
تفجّــرتْ مِــنْ مــواقيهــا مجاريها

أم فَجْعَــةُ النَّــدبِ غــوثُ الخلــقِ واحــدهــا
غيــثُ النــدى طــاهــرُ الأعــراقِ زاكيهــا

سمــيُّ خيرِ الــورى بحــرُ المعــارفِ مَنْ
لــه يــدٌ عمّــتِ الغبرا أيــاديها

أبي عليّ الــذي غَشَــتْ مــآتمهُ
وجــهَ السبــاسبِ فــاغبرّتْ فيــافيهــا

للهِ خطــبٌ دهـــى العليـــا فخلّفهـــا
على الحشـــا يـدُهـــا تبكـي لكـــافيهـــا

أصـــابَ في بصرِ التقـــوى أذىً وقـــذى
ولسعــــــةً في العلى لم يـــــرج راقيهـــــا

ومـــذ قضـى نحبـــهُ الأحكـــامُ حـــاسرةً
ظلّـــتْ أوامـــرهـــا تنعـى نـــواهيهـــا

عـــرتْ حمى الشرعـــةِ الغـــراءِ نـــاكبـــةً
آثـــارهـــا يـــوم شـــدَّ الـــرحـل حـــاميهـــا

لا غـــروَ إن نتـــفَ الـــدنيـــا ذوائبَهـــا
في رزءِ مـن تـــركَ الـــدنيـــا ومـــا فيهـــا

عـــلاّمـــةُ العلماءِ الغـــرِّ أزهـــرهـــا
فضـــــلاً. نعـــمْ هـــــو بـــــدرٌ في دراريها

لـــهُ المكـــارمُ طُـــرّاً لا نـــرى أحـــداً
أتـــى بمكـــــرمـــــةٍ إلاّ بيـــاقيهـــــا

أحيـى الشريعـةَ بـلْ سقـى الطـريقـةَ بـلْ
أبـــدا حقـــائقَ مـــا دقـتْ معـــانيهـــا

رقـــى بســـــاعــــدِهِ العليـــــاءَ ذروتها
مِـــنَ القــــديــمِ فيـــــا للهِ راقيهـــــا
ونعشَــــهُ ليتَ شعـــري كيــفَ نــاولَـــهُ
الأيـــدي وفيـــهِ مِـــنَ الأطـــوادِ راسيهـــا
للهِ تـــــربٌ ثــــرىً وارى بــــهِ جســـــدا
لـــــه المآثـــــر حـــــاشـــــا أنْ يُــــواريها
فيــــا لعينِ أُنـــــاسٍ في رزيتهــــــا
لا عينُ إلاّ وقــــد تبكـــي أُنـــــاسيهـــــا

وقال راثياً كريمة أحد العلماء الأفذاذ

[بحر الكامل]

ما للخلائقِ بالعويلِ تُنادي ... هلْ قامَ في الآفاقِ يومُ تنادِ
هلْ صَرَّ صَورُ اسرافيلَ أمْ ... هل عادَ في الأكوانِ صَرصَر عادِ
أمْ هلْ تناثرتِ النجومُ على الثَّرى ... أمْ هلْ غدتْ كالوردِ سبعُ شدادِ
الناسُ بينَ لواطمٍ ذرفوا دماً ... ونوائحٍ لبسوا ثيابَ حدادِ
وبنو العلى فاضتْ دموعُ جفونهم ... متوقدُ الأحشاءِ والأكبادِ
ما كنتُ أدري هلْ (لعشر محرمٍ) ... حَلَّ المصابُ بمعشرِ الأمجادِ
أم غابَ قرةُ عينهم وتستَّرتْ ... بسرادقاتِ جنادلِ الألحادِ
كانتْ لوالدها المذهبِ آيةً ... لهفي عليها قَدْ عفتْ ببعادِ
قد كانَ اخوتُها سلالةَ أحمدٍ ... تطفي بمنظرها غليلُ فؤادِ
غابتْ فغابَ سرورُهم وتقمَّصَتْ ... أيامُهُم كالليلِ ثوبَ سوادِ

ظعَنَتْ وأحسنُ زادها التقوى نعمْ | إنَّ التقى للحشرِ خيرُ الـزادِ
وترحَّلَتْ. والمكرمات وراءَها | تهمي الدموعَ كثاكلِ الأحفادِ
فالعيشُ أصبحَ مرَّ طعمٍ بعدها | للحبرِ مجتهدِ الورى وجَوادِ
نجلا أكارم طَبَّقوا وجهَ الثَّرى | بفضائلٍ جلَّتْ عن التعدادِ
ورثوا المكارمَ إخوةً عِنْ إخوةٍ | عَنْ والدٍ عَنْ سالفِ الأجدادِ
يا (باقرَ العلمِ) الغفيرِ ومَنْ لهُ | ألقى المعالي الغُرّ فضلَ قيادِ
الكافلُ الأيتامِ والعلاّمةُ القمـ | ـقامِ، خير مقاصدِ الوفّادِ
إنْ قستَهُ بسواهُ تعرفُ قدرَهُ | إذ تُعرفُ الأشياءُ بالأضدادِ
سُلُواً بيوسف سيدِ العلماءِ مَنْ | فاقَ البريةَ بالتُّقى ورشادِ
وسقى ثرَى جدثٍ تضمَّنَ جسمَها | قطرُ الحيا أبداً ودرَّ عِهادِ[1]

---

١ ـ العهاد: المطر الذي ينزل مرةً بعد أُخرى.

وله راثياً

[الطويل]

فَمنْ لـكَ في ملكِ المليكِ مُسـاعـدُ　　إذا بـانَ في الدنيـا مِنَ الملـكِ ساعـدُ
فَجـدْ بعقيقِ الـدمعِ بعـد جُمانـهِ　　فكمْ لكَ في سفحِ الدموعِ مُساعدُ
ينوحُ عليـهِ الظَّبـيُ في سيـبِ الفَـلا　　وتبكـي عليـهِ الضـاريـاتُ اللّـوابـدُ
وتنـدبُ أيتـامُ المعـالي وراءه　　كما نـدبتْ مـولى كفيـلاً ولائدُ
تحنُّ عليـه السمـرُ وهـيَ تعـوَّجَـت　　وتـرنـو إليـه البيـضُ وهـيَ غَـوامـدُ
يُجاوبُ نـوحَ الحاسـدينَ أخلّـةٌ　　فسيّـانَ في البلـوى خَليـلٌ وحـاسـدُ
قُـلِ اختلَّ نظـمُ الجدِّ مِـنْ بعـدِ أحمدِ　　فـلا نـاظـمٌ يُلقى ولا بعـدُ مـاجـدُ
يُـذيـبُ حشـا الجلمـودِ واقـدُ رُزئِهِ　　ولله رزءٌ ذابَ منـهُ الجلامـدُ
دعـاهُ الفنـا مسترشـداً فـأجـابـهُ　　كـذا فليجـبْ داعـي المنيّـةِ راشـدُ
وكـم قلَّـدَ العـافينَ سيبـاً فعلَّقـتْ　　لـهُ اليـومَ ممـا يشتهيـهِ قَـلائدُ

فـواعجباً مِـنْ فـاتِكٍ زارهُ الـردىٰ ... ومِـنْ زأرهِ كـادتْ تـرجُ المآسـدُ

ومِنْ بحرِ جُودٍ غيضَ في الرمسِ غُمرُهُ ... وقد ضاقَ مِنْ جدوى يـديهِ الفَدافِدُ

هَلِ البَـدرُ في قلـب الثُّريـا مكـانـهُ ... فياليتَ شعري في الثَّرى كيفَ راقدُ

يحقُّ لـهُ أنْ يفتـدي النعـشُ نعشَـهُ ... وتبكـي بنـاتٌ حـولـهُ والفـراقـدُ

لقـد طَلَـتْ هـامَ النجـمِ طبعـاً وإنّما ... تُقاصَـرَ مني عَنْ رثـاهُ القصـائدُ

غـدوتُ على رغـمِ الحواسـدِ مُنشـداً ... ولسـت أُبـالي مـا تـراهُ الحواسـدُ

لـهُ في حنـايـا أضلُعـي مـا أسِـرَّهُ ... ولي مِنْ دموعي الواضحاتِ شَواهدُ

رَثيـتُ ــ ولا أبغـي جـزاءً ــ تلهفـاً ... وهل راقَ ملهـوفـاً طـريـفٌ وتـالـدُ

بني المجـدِ في الأيامِ صبراً على القضـا ... فـلا أحـدٌ فيهـا سـوى اللهُ خـالـدُ

سقـى اللهُ بـالغفـرانِ تـربـةَ قبرِهِ ... وَ رَوَّتْ ثَـراهُ الغـاديـاتِ الـرواعـدُ

وقال مسلّياً بعض أصدقائه وممازحاً له

[الكامل]

وافى غـــرابٌ بـــالنعــيِّ مُنـــادِ فـأقــامَ في الأشرافِ يـوم تنـادِ [١]

وافى فَبيّـــنَ بــاسمـــهِ ونعيبـــهِ معنـــى اغترابِ رهينــــةِ الالحادِ

لـــو أنّـــه مـــا رامَ نعيَ غــريبــةٍ فلما تقمّــصَ جسمـــهُ بحـــدادِ

لا سَـــرَّهُ الـــرحمٰنُ مِـنْ متشـــائمٍ ينعـى ويُخبر بـالنَّـوى وبــدادِ [٢]

ومنغِّـصٍ للعيشِ بعـد سبـوغِـهِ ومُحدثٍ بشتـــاتِ أهـــلِ ودادِ

للهـــاشميين الأكـــارمِ بعـــدهُ أمسى مـــآتـمُ سـائرِ الأعيـــادِ

فـالنـاسُ بـالأضحى تُسرّ قلـوبُهُم لكنّهـم أضحــوا شجـى (قـــوّادِ)

١ـ يوم التناد: يقصد يوم القيامة.

٢ـ النوى: البعد.

لا غـروَ ان يبكـي الثُّريـا والثَّرى ... بسيــولِ وادٍ أو هطــولِ غَــوادِ

في رزءِ مُشكــاةِ السيــادةِ والتُّقـى ... أُمُّ التقــيّ ابــنِ النبــيِّ الهادي

ســارتْ وأيتـامُ الفخــارِ وراءَهــا ... تَبكــي بكــاءَ فَــواقــدِ الأولادِ

بـالعيدِ قَدْ لبسـتْ بنـوها بعـدهـا ... بَـدَلَ الثيـابِ الحمـرِ ثَـوبَ سـوادِ

قَـدْ كنتُ أنشـدُ كلَّ عيـدٍ مِـدحـةً ... واليــومَ صـارَ رثــاؤهـا انشــادي

يــا سيّــداً حــازَ العُلى وبنطقــهِ ... أزرى بسحبــانٍ وقــسّ أيــادٍ(١)

فَـردُ الـورى في علمِـهِ. وشريكهـمْ ... في مــالِــهِ مِـنْ طــارفٍ وتَــلادِ

السيّــدُ العَـلاّم والمتبحّــرُ القمــ ... ــقامُ ربُّ قــريحةٍ وقّــادِ

الطـاهـرُ الأنسـابِ مَـنْ في وجهـهِ ... أثـرُ النجـابـةِ مِـنْ لــدى الميـلادِ

ورثَ المفــاخــرَ والمآثــرَ والــداً ... عَـنْ والـدٍ عَـنْ سـالـفِ الأجـدادِ

---

١ ـ سحبان وائل وقس بن ساعدة الأيادي: من كبار فصحاء العرب في الجاهلية.

فَـريـاضُ علمٍ منـهُ ذات نضـارةٍ ... وديـــارُ حلـمٍ منـــهُ ذات عمادِ

أبغضتُ نَظمَ الشعـرِ مُذْ زمـنٍ عَلا ... فـــاليـــومَ أُلْـــزَمَـــهُ عليّ ودادي

أروي ثنـاهُ ولا أخـــافُ عـــواذلي ... (إنّي بـــوادٍ والعَـذولِ بـــوادِ) (١)

إنْ كـانَ وردُ النـاسِ ذكـرَ مثـالـب ... فَقَـــدِ أتخذتُ مـــديحهُ أورادي

صبراً على الـرزءِ الأمـرِّ فكـمْ لـهُ ... ثَمَـرٌ لــذيـذُ الطعـمِ يـومَ حصـادِ

وسَقى ثرى جَدَثٍ تضمّنَ جسمَها ... قطـرُ الحيـا أبـداً وصـوبُ عهـادِ

حُشرَتْ مع الـزهـراءِ جـدّةِ ولِدِهـا ... ومـعَ النبـيِّ وآلـــهِ الأمجادِ

---

١ ـ العذول: مبالغة في العاذل وهو اللائم.

وله راثياً أيضاً وممازحاً

[الكامل]

وافى غُـــرابٌ بـــالنعـيِّ مُلَجْلجـــا
فغـــدا يجاوبُ بـــالنعيـبِ أُولي الحِجـىٰ
لَبـــسَ الحِدادَ تَلهّفــــاً ويقـــولُ في
صَيحـــــاتِـــــهِ: أيـــنَ الأميرُ المرتجىٰ؟
أيــنَ الفتــى المقــدامُ يــومَ كَـــريهةٍ؟
وضرامهـــا بين القُـــرُومِ تَـأجّجـــا
أيـنَ الــذي حـازَ المكــارمَ والمفــاخـرَ
والمحــــاســنَ والمعـــالي والحجــىٰ؟
أيـنَ الــذي أردى الكتــائبَ في الــوغـى؟
بصـدورِ لــدنٍ كــالأفــاعـي رجـرجـا
أيــنَ السعيـــدُ بـــدايـــةً ونهايـــةً؟
أيــن المعظَّـمُ عـــائشــاً ومشترجـــا
أعنـــي مُسمّـــى محمــــدٍ ووصيَّـــهِ
أكـــرمْ بـإســمِ مُفـــرداً ومُـــدرَّجـــا

لَهفـي على عَلَـمٍ تقمّـصَ سُنـدسـاً
خضراً وكـانَ ردا عـلاه مُـدبَّجـا

أضحـى يجاورُ قبرَ مـولاهُ الـذي
بجـوارِ هـودٍ كصـالـحِ التجـىٰ

ابنـي المكـارمَ سَلـوةً في رزءِ مـن
في النشأتَين مـن المهـالـكِ قَـد نَجـا

بـأبي العلى والفتـح ربّ نـوائلٍ
حتـى يقـول لـهُ العفـاةُ مفـرّجـا

مـا كنـتُ أنشـدُ مـدحـةً في غيرهِ
مُـذْ أعصرٍ بـلْ لا عتـابـاً أو هجـا

فكـأنّما حبـي لـهُ قَـدْ حثّنـي
لـرقيـقِ شعـرٍ مثلـهُ لـنْ يُنسجـا

يـا قبرَ مَـنْ تَـركَ العُلى تبكـي لـهُ
يسقيـكَ مـاءَ للفـؤادِ مُثلّجـا

المراسلات

بعض مراسلاته إلى بعض اخوانه

[الخفيف]

نـــايـــبَ الصـــدرِ يـــا رفيـــعَ المعـــالي
صـــــدرَ مجدٍ مـــــؤثَّـــلٌ متعـــــالي

دمـــعُ عينـــيَّ في فـــــراقِــكَ جـــارِ
وأوارُ الأشـــــواقِ في القَلْـــبِ صـــالِ

فـــالـــذي قَـــدْ هـــواكَ ليـــسَ صبـــوراً
والـــــذي بـــــانَ عنـــكَ ليـــسَ بِســـال

إنّ للهِ فيـــــــكَ سِرّاً خفيّـــــــــــــاً
في قلـــوبِ الـــورى شـــديـــدُ الفعـــالِ

أنـــتَ معنـــى الـــوفـــاءِ والصـــدقِ
والعليـــاءِ والمكـــرمـــاتِ والأفضـــالِ

بـــأبي أنـــتَ لي (بتبريـــــــــز) جمعٌ
مِـــنْ أداني أخِلَّـــــةِ والأعـــــالي

هُـــم يحبّـــونـــي خُلـــوصـــاً كحبّـــي
هـــمْ يـــوالـــونـــي صَفّـــاً وأوالي

إنّما أنـتَ واحــدُ الــدهـرِ صِـدقـاً

وهـــو الفــرقُ بينكـم والــرجــالِ

لا تُخلِ صِـــدقكـمُ أخــفَّ صفــاتِ

حسنـتْ والصفــاءُ أدنــى خِصــالِ

فَلعمــري الصّفـاءُ والصــدقُ في الشرعِ

أعـــزُّ الخصـــالِ والأفعـــالِ

أكثــرُ النــاسِ ذو فنـــونٍ وفضـلٍ

أكثــرُ النــاسِ سيّـــدٌ مُتعـــالي

قَـــدْ تَــردّى رداءَ علــمٍ جميـع

واكتســوا أبيضــا. وصُفــرَ النعــالِ

إنّما الصــدقُ في الأنــامِ عَــزيــزٌ

هـــو أحلى بجــدكــم مِــنْ زلالِ

مِـنْ أيــاسٍ لــديـكَ يــومَ ذكــاء

مِـنْ لــديـكَ الطــائيّ يــومَ نــوالِ

دُســتَ في الكــونِ رافــلاً بفخــارِ

عُشــتَ في الــدهــرِ ســالم الأحــوالِ

ومن مراسلاته إلى بعض أصدقائه

[الطويل]

لسكّـــانِ نجـــدٍ هـــاجَ في بـــاليَ الـــوجـــدُ
سقيت بمسكـــوبِ الهواطـلِ يـــا نجـــدُ

أُحـــبُّ قـــرى نجـــدٍ وأهـــوى ديـــارَهُ
وأنـــتَ مُـــرامي حيثُ أحببت يـــا دعـــدُ

فـــواعجبـــاً قَـــدْ صـــادَ قلبي شـــادنٌ
مِـنَ الحورِ والأُســـدُ اللـــوابـــدُ لي صيـــدُ

لَقـــدْ قـــالَ لي سعـــدٌ وقلبي مـــولـــعٌ
وجسمـيَ قـــد أضنى وأنحلـــهُ الجهـــدُ

أزادتْـــكَ نَقصـــاً كـــالأهلّـــةِ قُـــربـــةٌ
إلى اللهِ أم كـــالشـــنِّ أضعفـــكَ البعـــدُ

فـإنْ كـــانَ مِـنْ بعـــدٍ فيـــالـكَ شقـــوةً
وإن كـــانَ مـــن قـــربٍ فطـــوبى لـــكَ الـــزهـــدُ

فقلتُ لـــهُ هـــذا النحـــولُ مِـــنَ النّـــوى
فيـــا حبّـــذا تلـــكَ الشقـــاوة يـــا سَعـــدُ

ألا يـــا سمـــيَّ الحجـــةِ الغـــائبِ الـــذي
لـــهُ الفضـــلُ والعليـــاءُ والفخـــرُ والمجـــدُ

فـــديتُـــكَ لـــلأحبـــابِ فيـــكَ مـــذاهـــبٌ
شِتـــاتٌ ولي في حبّـــكَ المذهـــبُ الفـــردُ

فـــإنْ كـــانَ حـــبُّ النـــاسِ هـــزلاً فـــإنّما
لنـــا فيـــكَ حـــبٌّ راســـخٌ في الحشـــا جـــدُّ

لقـــدْ أرضعتنـــي الأُمُّ ألبـــانَ حبِّكـــم
ودلّـــتْ لـــهُ الآبـــا. وأرشـــدهُ الجدُّ

بـــودّكـــمْ قَـــد خَـــمّرَ اللهُ طينتـــي
ولـــولاكـــمُ مـــا كنـــتُ أعلـــمُ مـــا الـــودُّ

أحبّـــكَ مِـــن عهـــدٍ قـــديـــمٍ وعمـــرونـــا
إلى العشـــرِ لم يبلـــغْ فيـــا حبّـــذا العهـــدُ

فما لـــكَ تنســـاني وتنســـى معـــاهـــداً
بها البشـــرُ والأقبـــالُ واليُمـــنُ والسعـــدُ

فـإنْ لم يــذبْ يــومَ الفــراقِ بلــوعــةٍ
فــؤادي فــاعلـمْ أنَّــهُ صخـرة صلــدُ

وإنْ أنـسَ لا أنســى التقـيَّ أخــي التُّقـى
أبــو المجـدِ مَـنْ حُـرُّ المعــالي لـهُ عبـدُ

ولا بحــرَ فيـضٍ والنـدى المحسـنِ الـذي
قــلائدُ غـــرٍّ المكــرمـــاتِ لـــهُ عَقــدُ

ولا بـــدرَ أفـــلاكِ المفـــاخـــرِ جعفـــراً
ولا نجلَ شمـسِ الـدين مَـنْ نجمـهُ سعـدُ

ولا يــوســفَ الصــدّيـقِ أحســنَ إخــوةٍ
فتــىً لفظـــهُ قيـــدٌ. وأرواحنـــا صيـــدُ

فتـىً جنســـهُ العليـــاءُ والفضـلُ فصلـــهُ
ولم ينتقـضْ مِـنْ رسمــهِ العكـسُ والطــردُ

فتــىً كلّما عـــــرفتُـــــهُ زيـــــدَ حسرتي
فلـم أدرِ مَـــنْ عمـــروٌ. ولم أدر مَنْ زيـــدُ

فــديتُـكَ يـــا بـنَ الطهــرِ عطفــاً فـإنّنـي
غــريـبٌ. ومـــا عنــدي حبيـبٌ ولا ولــدُ

فجـــدْ لي بقـــرطـــاسٍ ومُـــنَّ بـــأسطـــرٍ
ولا يـــكُ اجهـــاداً لـــكَ الحلُّ والعقـــدُ

بقيـتَ ــ أبـا العليـاءِ ــ مـا سـارَ كـوكـبٌ
إلى الغـربِ مِـنْ شرقٍ ومـا سـافـرَ الـوقـدُ

وعشـتَ بحـقِّ الطهـرِ في مصـرَ سـؤددٍ
عـــزيـــزاً وهـــذا دعـــوة مـــا لها ردُّ

كتبـتُ إليـكَ الطـرسَ واليـوم سـادسٌ
وعشرون مِـنْ شهـرِ المنـاسـكِ إن عَـدّوا

ومن مراسلاته إلى بعض اخوانه بالمشهد الرضوي

[الكامل]

إنْ رمتَ رُكناً للفخارِ مُشيَّداً ... عرّجْ بطوسٍ وادعونَّ رشيدا
جبلَ الوقارِ أمينَ ديوانٍ ترى ... آراءَهُ في المعضلاتِ سَديدا
إنْ قلتَ في يومِ التظلّمِ مُنصفٌ ... كفٌّ القضاءِ غدا إليه مَديدا
الحائزُ القدحِ المعلّىٰ والذي ... ألقتْ إليه المكرماتُ قُيودا
أغنى الفقيرَ وعزَّ كلَّ ممنعٍ ... فكَّ الأسيرَ وأطلقَ المصفودا
هذا ودونكَ في الحسانِ فرائداً ... غرّاءَ تحكي لؤلؤاً مَنضودا
الروحُ منكَ وصورة منّي لها ... مُزجا كما امتزجَ الحليبُ قنودا
ما لاحَ في أُفقِ السماءِ كواكبٌ ... والورقُ أصبحَ ـ باكيا ـ غريدا
لا زالَ كفّكَ بالعزا مبسوطةً ... لا زالَ ظلّكَ في الثَّرى ممدودا

قصيدة يهنّئ بها بعض أصحابه

[الكامل]

بُشرى فَقَــدْ عـــادَ الـــزمـــانُ سعيـــدا
وغـــدا لَعمـــري كـلُّ يـــومٍ عيـــدا

وانشَـــقَّ عَـــنْ أُفـقِ الجلالـــةِ والعُلى
صبـحُ الـــوزارةِ صـــادقـــاً مسعـــودا

وأضـــاءَ مِنْ فلـكِ الحجى بـــدرَ الـدُّجى
سَتَـــرتْ بطلعتِـــهِ النجـــومُ خِـــدودا

وانســـلَّ مـن أُفِـقِ العـــدالـــةِ صـــارمٌ
يحكـي حســـامَ القـــائمِ المفهـــودا

يـــا ســـاقيـــاً يُحيـي العظـــامَ بـــوصلـهِ
ويميـــتُ أربـــابَ الغـــرامِ صُـــدودا

يَحكـي بـــدورَ التـــمِّ شكـــلاً و القنـــا
العسّـــالُ قـــداً. والجآذرُ جِيـــدا

ويُقيمُ فينا حيثُ قامَ قيامةً
ويحرّكُ الفتنَ العظامَ قُعودا

قُمْ راقصاً واطربْ بألحانِ الغنا
واجلِ ابنةَ العقودِ واضرب العودا

إنّا وجدنا ريحَ يوسفَ مِنْ صبا
فاقتْ بنفحتها النَّدى والعُودا

فأنا ابنُ (يامينَ) القريرةُ عينهُ
اللهُ أعلمُ مَنْ يكونُ يهودا

يا ساهرَ الأجفانِ في شَرَكِ الأسى
أيقظْ بأنباءِ السرورِ رُقودا

عَنْ طرةِ العَلياءِ أشرقَ جبهةَ
المولى الذي اتخذَ الكرامَ عبيدا

الصادقَ الطلقَ المحيّا والذي
ألقتْ إليهِ المكرماتُ قيودا

اللهُ أعلى قدرَهُ فبنى لهُ
قَصراً على هامِ السّماكِ مَشيدا

واختـــارهُ ظـلُّ الإلـــهِ مِـنَ الـــورى
فـأقـــامـــهُ بمقـــامِــهِ تَمجيـــدا

المجـــدُ فيـــهِ مقيّـــدٌ بمفـــاخـــرٍ
أعظـمْ بـــهِ الاطـــلاقَ والتقييـــدا

يـــا مَـــنْ يقـــولُ بكثـــرةٍ مهـــلاً فهـــا
هـــو واحـــدُ الصيـــدِ الكـــرامِ وجـــودا

حـــازَ المفـــاخِـــرَ وارثـــاً وتملّكـــت
يمنـــاهُ غُـــرَّ المكـــرمـــاتِ مَـــزيـــدا

جـــرَّ الملـــوكَ إلى الحروبِ عَـــرمـــرمـــاً
لكنّـــــهُ اتخذَ العقـــولَ جُنـــــودا

قَـــرْمٌ بـــواقِـــدِ رأيـــهِ يطفـــي الـــوغـى
ويـــروعُ مِـــنْ حِـــدّ اليراعِ أُســـودا

مَلَـكَ الـــرّقـــابَ وقـــادَ منهـــا أشـــوســاً
فـــكّ الأسيرَ وأطلـــقَ المصفـــــودا

يتحـــــرّكُ القلـــمُ المهيـــبُ بكفّـــــهِ
كـــالـــرُّقـــشِ يقتـــلُ بـــالسمامِ عَنيـــدا

يَـــزري بهطّـــالِ الغمامـــةِ كفُّـــهُ
لكنّـــهُ بـــالتبرِ يسكــبُ جُـــودا

يــا قــائماً بمقــامِ سُلطــانِ الــورى
مَــنْ بـــاتَ (تبريـــزٌ) بـــهِ محســـودا

يــا مَنْ بيُمـنِ قـدومِـهِ أضحى الثَّـرى
مُتكـــرّمـــاً، مُتمجّـــداً، مَسعـــودا

فـــالـدهـــرُ أشرقَ مِـنْ سنـــاهُ كـأنّـــهُ
قَـــدْ شَـقَّ مِـنْ صبـحِ الجمالِ عَمـــودا

ولأجـلِ مَقـــدَمِـــهِ الأنـــامُ تشكّـــراً
للهِ خَـــــرّوا رُكّعـــــاً وسُجـــــودا

وبِـــلادُ (آذربيجـــانَ) تَعطّـــرتْ
مِـــنْ خُلقـــهِ والعيـــشُ صـــارَ رغيـــدا

أشكـــــو إليـــكَ شـــــدائداً لـــــو
حمّلـــوهـــا جَلمـــداً لأذابـتِ الجَلمـــودا

أنفقـــتُ عُمـــري في اكتســـابِ وظيفـــةِ
وصرفـــتُ مـــالي طـــارِفـــاً وتَليـــدا

مِنْ بعــدِ مــا جَعلــوا منيــةَ أهلِهــا
أُمنيتــي أو غـــائِبـــاً مَفقـــودا

فــالعمــرُ ضــاعَ وضــاعَ مــالي كلُّــهُ
لا العمـــرُ صــارَ ولا ســـواهُ مُفيـــدا

يــا ويـلَ عهـدٍ فــاضَ فيــهِ مَــدامعي
حمراً وأيّـــامــي استحـــالــتْ ســـودا

أمِــنَ العـــدالــةِ أنْ أُقــاسي طخيــةً
تُفنــي الكهـــولَ كما تشيــبُ وليـــدا

وأراكَ تكشـــفُ كــلَّ خطـــبٍ فـــادحٍ
وتحلُّ مِــنْ جَلــلِ الـــزمـــانِ عُقـــودا

عَطفـــاً فـــدائكَ مَــنْ عـــداكَ فــإنّ لي
قلبـــاً يـــرقُّ لـــهُ العُـــدى مكمـــودا

أفـــلا تَـــرى مــاءَ الجفـــونِ مُسلســـلاً
أو لا تَـــرى نـــارَ الضلـــوعِ وَقـــودا

هـــذا ودونـكَ في البسيـطِ قصيـــدةً
غـــرّاءَ تحكــي لـــؤلـــؤاً منضـــودا

لــــو أنشـــدَ الـــراوي قـــوافيهـــا على
خــــودٍ لأطـــربـتِ القـــوافيُ الخودا

مـــا لاحَ في الأُفـقِ الثُّـــريـــا طـــالعـــا
وغـــدا الحمامـــةُ بـــالحمى غِـــرِّيـــدا

لا زالَ كفُّـــكَ بـــالنَّـــدى مبســـوطـــةً
لا زالَ ظلّـــكَ للـــــورى ممـــــدودا

وأنـــا الـــذي أنبـــتُّ كـــلَّ فضيلـــةٍ
كـــلٌّ غـــدا منـــهُ اجتنـى عُنقـــودا

قصيدة يهنّئ بها بعض أصدقائه

[البسيط]

حيّي الـــوزيـــرَ بيـــومٍ بشَّـــر الـــدنيـــا
هـــــلاّ تَـــــرى الملأ الأعلى يُحيّينـــــا

يـــومـــانِ قـــد كسرا للكفـــرِ أبنيـــةً
يـــومُ النبـــيِّ ويـــومُ (النـــاصرِ الـــدينـــا)

للهِ يـــومٌ غـــدا بـــاليُمـــنِ مُشتهـــرا
فعـــادَ عيـــداً سعيـــداً قَـــدْ هنـــا فينـــا

يـــومٌ أتـــمَّ علينـــا اللهُ نعمتَـــهُ
بـــهِ وصيّـــرَ نهجَ الحقِّ ممنـــونـــا

يـــومٌ بـــهِ قـــامَ ركـــنُ الـــديـــنِ مُـــرتفعـــا
والكفـــرُ مِـــنْ بعـــدهِ لم ينتصـــبْ حينـــا

مـــا أبشرَ اليـــومَ؟ لم يبرحْ يُفـــرِّحنـــا
كـــأنّـــهُ كـــانَ بـــالأفـــراحِ مَعجـــونـــا

يــومٌ بــهِ ولــدَ السلطــانُ مَــنْ ملكتْ
يمينُــه كـلَّ حُــرٍّ مِــنْ سَــلاطينــا

النــاصرُ الــدينِ والشهــمُ المكينُ
وكهـفُ المشتكينَ وغــوثُ المستغيثينــا

عَــدلٌ حكيــمٌ بــاذلٌ ملــكٌ
بــرٌّ عطــوفٌ عليٌّ القــدرِ تكــوينــا

هــو المليـكُ الــذي لــو كــانَ مُنقَسماً
جــدواه في الأرضِ مــا ألفيتَ مِسكينــا

قــد حيَّــرَ الــوهـمَ في أقصى شهــامتِــهِ
وصيّــرَ العقــلَ في معنــاهُ مَفتــونَــا

لــهُ جنــودٌ يخلّــون الجســومَ لقىً
وَيملــؤونَ مِــنَ الأرواح سِجّينــا

يــروحُ عــاديــهُ مَغســولاً بعنــدمِــهِ
ويفتــدي في بطــونِ الشِّيــدِ مَــدفــونـا

لنفســهِ اختــارَ شخصــاً جـلّ رتبتــهِ
وعهــدهُ لم يــزلْ بــالأمــنِ مَقــرونــا

لقَـــدِهِ قُـــدَّ أثـــوابُ الـــوزارةِ مُـــذ
لم يخلـــقِ اللهُ منــــهُ الماءَ والطينــــا

لـــهُ مـــواقـــعُ حـــربٍ والصفـــوفُ بها
أُســـدٌ زوائرُ تحكـــي اليـــومَ صِفّينـــا

غيثُ السنينِ غيـاثُ الـديـنِ غـوثُ الـورى
ليـثُ العـــريـــنِ أشـمُ الخلـقِ عِـــرنينـــا

قَـــدْ أشرقَ الـــديـنُ والـــدنيـــا بطلعتِـــهِ
وَجيـــدُهُ بـــوشـــاحِ المجـــدِ قَـــد زِينـــا

يـــا مَـنْ تَهابُ أُســـودٌ مِـــنْ عـــدالتِـــهِ
والظبـيُ يَـــرتـعُ في البيـــداءِ مـــأمـــونـــا

يمّمـتُ بـــابَـــكَ بـــالأفـــراحِ مُنطلقـــاً
لكنّنـي صِرتُ بـــالأفـــراحِ مَسجـــونـــا

وإنّنـــي رجـــلٌ لا الفقـــــهُ ينكـــــرني
ولا القصـــــائِدُ تشطيراً وتظمينـــــا

فما مِـــنَ العـــدلِ أنْ آتيـكَ مُـــرتجيـــاً
منـــكَ النَّـــدى وأعـــودُ اليـــومَ مَحزونـــا

أرتـــادُ شَيئينِ للشيئينِ منـكَ جـــدىً
للنفسِ والعظـمِ احســانــاً وتَحسينــا

لا زالَ شــــوكتُـكَ الغـــرّاءُ رائقـــةً
مــا أنبـتَ الغَيـثُ في الأريــافِ نِسرينــا

وَعــش بتهنئـــةِ الأعيـــادِ في طَـــربِ
ويَـــرحَـمُ اللهُ عبـــداً قـــالَ آمينــا

وقال أيضاً

[الطويل]

أَنِـخْ نضـوَ سـؤلٍ في فنـاءِ (الـرضـا قلي)
تَفُـزْ بمـرامِ مِنـهُ لـولا الـرضـا قلي

إلى مَ تجوبَ البيـدَ شرَقـاً ومغـربـاً
وحتـى مَ تطـوي كـلَّ قفـرٍ وآهـلِ

فَهـا هـو بـابٌ مِنـهُ يـؤتـى إلى الـذي
بـهِ لـذتَ ـ يـا طُـوبـى ـ لآتٍ وداخـلِ

وإنْ حـلَّ خطـبٌ أو ألَـمَّتْ مشـاكـلٌ
فـلا غيرهُ حـلاّلُ تلـكَ المشـاكـلِ

لـهُ منـزلٌ عنـدَ الـوزيـرِ أخـا العُلىٰ
سعيـدٌ بنـاهُ اللهُ فـوقَ المنـازِلِ

هـو البحـرُ، بَحـرُ العلـمِ والجودِ تمتلي
يـدُ الفقـرا منـهُ وصَـدرُ الأفـاضِـلِ

وشخصُ النَّدى المحسوسِ في هيكلِ امرئٍ
يجودُ لــــوفّـــادِ جيـــادِ الهيـــاكِـلِ

لَقـــدْ نـــالَ كفّـــاهُ مِــنَ الفضــلِ ذروةً
تقاصَــسرَ عَـنْ ادراكِهـــا كــلُّ فـــاضِـلِ

وأرجـــوهُ أنْ يهتــمَّ فيما قَصـــدتُـــهُ
وأنْ لا يكـــونَ اليــــومَ عنّـــي بغـــافِـلِ

جَـــزاهُ عَـنِ الشَّـــرعِ القَـــويـمِ وأهلِـــهِ
إلٰـــهُ الـــوَرى خيرَ الجزاءِ بعـــاجِـلِ

يهنّئ المرجع الديني الحاج ميرزا باقر المجتهدي بيوم العيد

[بحر البسيط]

هذا هو العيدُ. أينَ الكأسُ والعودُ؟ قُـمْ واَسقِ نـاراً بها للقلـبِ تَخميـدُ

قَـدْ فاتَني سَفَهـاً مـا كانَ يُطـربني عُـودوا عليَّ بها قَـدْ فـاتَنـي عُـودوا

كَمْ عشتُ والغيدُ بالألحانِ صادحةً يـا حبـذا نَغـمُ الألحانِ والغيـدُ

بِمثـلِ ذا العيـدِ مـا أَحـرى تَحيتنـا (لبـاقرِ) العِلم مَـن حُيّي بهِ العيـدُ

فإن يكُ الناسُ بالأعيـادِ قد سُعِدوا فـإنّما كـلّ عيـدٍ منـهُ مسعـودُ

ما اخضرَّ بـالعيدِ أعـوادٌ إذا يبستْ وكـادَ يـورقُ في أيمانِـهِ العـودُ

فالعيـدُ قَدْ جـاءَ في نيسانِ عـارضِهِ وكـلّ يـومٍ لنـا مِنْ كفّـهِ الجودُ

لم يحمدِ العيشَ في الأعيادِ ذو عسرٍ ومنـهُ عيشُ جميعِ النـاسِ محمـودُ

فَلـو حكى العيـدُ جـزءاً من شَمائلـهِ ... لم يجُزِ عـابـدَهُ الـدهـريَّ معبـودُ

فـالعيـدُ يـومٌ يـودُّ النـاسُ مقـدمَـهُ ... وأنـتَ بـاقٍ مَـدى الأيـامِ مَـودودُ

والعيـدُ في كـلِّ عـامٍ قَـدْ يعـودُ لنـا ... لكـنَّ مثلـكَ في الأيـامِ مَفقـودُ

لَـو أنَّ بـالعيدِ عـادَ الـريفُ مُبتَهجـاً ... فهـا بِـكَ ابتهـجَ الأريـافُ والبيـدُ

أنت الكـريمُ الـذي مـا خاب آملـهُ ... حـاشـا ولا هُـوَ مِنْ جـدواهُ مـردودُ

وأنـتَ أكـرمُ خلـقِ اللهِ في خُلُـقٍ ... ومكـرماتٍ حَكـى أنفـاسَها العـودُ

عبءُ الـريـاسـةِ إن أعيى كـواهِلَهم ... فـإنَّ خلقـكَ لـلأعبـاءِ مَشـدودُ

لو يحسدونَكَ بعضُ الناسِ لا عجبٌ ... فـإنَّ كـلَّ عظيمُ الشـأنِ محسـودُ[1]

ظهـرت من طيبِ أصـلٍ أنت وارثـه ... نعم إذا طـاب نخـلٌ طـاب عنقـودُ

بيّنـتَ للخَلقِ معنـى الاجتهـاد فهـا ... لولا اجتهادكَ فيهـم ضاعَ تقليدُ[2]

١ـ قال: يحسدونك. للضرورة والصحيح يحسدك.

٢ـ ضاع: الأفضل شاع.

قَـد أُغلقتْ سـورُ القـرآنِ أكثـرهـا ... لكـنَّ فكـركَ للقــــرآنِ إقليـدُ [١]

أنـتَ الجوادُ الـذي مبسـوطـةٌ يـدهُ ... وظِلّــهُ في بَسيــطِ الأرضِ ممــدودُ

قَدْ يَـزعمُ الناسَ أنَّ الجودَ قَطْـرُ حيا ... وغمر راحتِكَ اليمنـى هو الجودُ [٢]

هَـديتَ للحـقِّ أهلَ الغـيّ أجمَعَهم ... كَـأنّـك اليــومَ فيما بينهـم (هــودُ)

أنـتَ المجيرُ الـذي قَـدْ فـازَ لائذُهُ ... وآنسَ الشـاةَ في أيـامِكَ السِّيـدُ [٣]

قيَّـدتَ فضلَكَ بـالتقـوى ولا بطـرٌ ... يُــدنيــهِ نَحـوكَ اطــلاقٌ وتَقييــدُ

سبحانَ ربِّكَ ما ذا المجدِ طلتَ بهِ ... فهـلْ بحجـرِ العُلى ربّـاكَ تمجيــدُ

بلْ هنــاكَ مثــالٌ مِنـكَ منعكـسٌ ... في الماءِ والضَّــوءِ والمرآةِ مَــوجــودُ

هـذا ودونـكَ نَظماً صِيغَ مِنْ كَلَـمٍ ... كـأنّها لــؤلــؤٌ قَـدْ راقَ منضــودُ

١ـ اقليد: مفتاح الخزائن.

٢ـ الغمر: العطاء والبذل.

٣ـ السِيد: الذئب.

للخـودِ لـو أنشَدَ الـراوي قَـوافيـهِ   تكـادُ تَـرقصُ مِـنْ أشـواقهـا الخودُ

إنّي لحسّـانُ عصرٍ مُـذْ مـدحَتُكَ لي   مِـنْ جـانِـبِ الـروحِ إلهامٌ وتـأييـدُ

لا زالَ رايــةُ عــزٍّ منكَ خــافقــةً   مـا غَنَّ في الروضِ بـالألحانِ غِرّيـدُ

وقال

[الطويل]

يَقــولــونَ لي أذنبـتَ يــا شيـخَ جَهــرةً
فقلــتُ لهم سرّاً ومــا ذلـكَ الــذنـبُ

أخــذتُــمْ لــهُ مِـنْ لحيتــي وعتبتمــوا
عليــهِ . وحــاشــا أنْ يُنـاسبني العتبُ

فقـالـوا كَـذِبـتَ الشعـرَ في مـدحـهِ الـذي
هــو الهجـوُ والادبـارُ والنكـرُ والكـذبُ

فقلــتُ: وأيّ الــدُّبِّ هــذا تجاهــلاً
كـأنّي لم أعــرفْ إلى الآنَ مــا الــدّبُّ

وأنّي لما أطلقــــوهُ عــــرفتُــــهُ
وعنــدَ انصرافِ اللفـظِ أدركــهُ اللّــبُّ

فقـالـوا هـو الغـولُ الكـريـهُ (الـرضـا قلي)
فقلــتُ لهم إنّ الجوادَ لقــدْ يكبــو

وقال ـ رحمه الله ـ يمازح أحد أصدقائه

[البسيط]

عطفاً فديتك إنّ الحينَ قَدْ حانا ... فكم رقيبٌ مِنَ الأطرافِ يَرعانَا

كَمْ للحواسِدِ أرقامٌ مذهّبَةٌ ... يرجون امضائها ظُلماً وعُدوانا

إنْ كنتُ تُنفذُ فَهرستي بلا مهلٍ ... فلم أَخفِ رَقَماً ـ حاشا ـ (وفرمانا)

حاسبتُ عمرَ الورى طوراً وغائبهم ... أمّلتُ آخرَ حتى كانَ ما كانا

إنْ فاتَ ذا حاسِبوا عمري لتتخدوا ... بعدي وظيفتي (الخمسين تومانا)

فاحفظْ حقوقَ صفاءٍ بيننا وجبتْ ... واملأ قضاءً لها باللطفِ أكوانا

فهلْ نسيتَ بشمرانِ معاهدَنا ... فيا سقى اللهُ بالأسكوبِ (شمرانا)

النوادر

تصدير لبعض أبيات أمرئ القيس

من قصيدته الشهيرة (قفا نبكي)

[الطويل]

تُبـاعِـدُني الأحبـابُ مُـذْ رمتُ منـزلا
قَلَتْنـي أحبـائي إذ ابتعـتُ مَنـزلي

فـلا أبتغـي داراً وإنْ كنتُ عـاكفـا
(بسقـطِ اللـوا بينَ الـدَّخـولِ فَحَـوملِ)

وأسكـنُ داراً يستـوي الأرضَ سقعُهـا
(لما نَسجتهـا مِنْ جَنـوبٍ وشَمـألِ)

وكـانُـوا إذا مـا بتّ أشكـو بعـادَهـا
(يقـولـونَ: لا تهلـكْ أسىً وتَجمَّـلِ)

زعمتهـمُ في اللهِ قِـدمـاً أحبتـي
(فهـلْ عنـدَ رسـمٍ دارسٍ مِنْ مُعـوَّلِ)

تفيـضُ جُفـوني مـا تـذكّـرتُ غَـدرَهُـمْ
(على النحـرِ حتى بـلَّ دمعـي مِحملي)

ولم أنـسَ أيـامَ التعـاهُـدِ بيننـا
(ولا سيّما يـومٍ بـدارةِ جُلجُـلِ)

لقـــدْ ركبـــوني نـــاقـــةً بعـــد دارةٍ

(فيـا عجبـاً مِـنْ كـورِهـا المتحمَّـلِ)

بـــأن يشتروا لي رحـــبَ دارٍ تَعطَّفـــتْ

(عليّ وآلــتْ حَلفـــــةً لم تحلّـــلِ)

نظـائرُ عـرقـوبٍ. فـأوفـوا بعهـدِكُمْ

(وإن كنـتِ قـد أزمعـتِ صَـرمي فـأجملي)

وسيّـــانَ في (تبريـــزِ) وعـــد أحبتـي

وجـــارتها أمُّ الـــربـــابِ بمـــأسَـلِ

لَقـدْ زعمـوا مُـذ أحـرجـوا الـربـعَ نخـوةً

نسيـمُ الصِّبـا جـاءَت بـرَيّـا القَـرنفُـلِ

ســأمضي هجـائي سمـــهُ في لحومهـم

وشحـمٍ كهُـــدّابِ الـــدِّمَقسِ المفتّـلِ

فـأصـــدقُ منهـم ذاتَ خـــدرٍ تَغنَّجـتْ

فقـالـتْ لـكَ الـويـلاتُ إنّـك مُـرْجلي

إذا أركبـــوا رجـــلان في التيـــهِ ذاكـــروا

عقَـرتَ بعيري يـا امـرأ القيـسِ فـانـزلِ

وله هذه القصيدة الغرّاء

لولا ما يمازجها في بعض الأبيات من هزل

[الكامل]

حتى متى تـرتقي الجبـالَ الميدا ... وإلى مَ تقطع مِنْ سياسبَ بيدا

تَسري بها ويفـرُّ مِـنْ غَمـراتها ... غـولٌ يغـولُ مِنَ الخيـالِ كبـودا

والشمسُ تسبحُ في سهوبِ فلاتها ... ركضـاً وحـافيـةً تخافُ مُبيـدا

للحـادثـاتِ بها مـلاعبُ صُـرصرٍ ... مِـنْ بعـدِ عـادٍ قَـدْ خَـلا وثَمـودا

يشكو ركابُكَ مِنْ ضنىً ويضجّ من ... لَغَـبٍ ويـرغبُ عَـنْ فنـاك شرودا

أفـلا تنـامُ وكـلُّ طـرفٍ راقـدٍ ... تـرعى النجـومَ الغـائراتِ هُجـودا

زعمـوكَ ذا وَصَـبٍ لخودِ كـواعـبٍ ... أوَ كنتَ تصبـو مِنْ كـواعبِ خـودا

هيهـاتَ لـو تُـركَ القَطـا لغفـا على ... جـوٍّ أو اتخذَ المنـامَ صَعيـدا

كيف السهادُ وكلُّ خفضٍ ناصبٌ ... شركاً لأحرارِ الزمانِ سَديدا

ما أنتَ والرأيُّ الغليلةُ وقدهُ ... قَتَلَ الإلهُ الوفدَ والموفودا

تَغدو وقد عُلِّقَت من روقِ الضبا ... وتروحُ لكنْ قد ركبتَ أُسودا

وبَسيطةُ الغبراءِ رَحبٌ أن تضقْ ... فَالبحرُ كان لراكبيهِ مَديدا

أزعمتهُ دارَ الهنا فقصدتهُ ... هيهاتَ خالفتِ القصودَ شُهودا

ما كلُّ راعدةٍ تجودُ بقطرِها ... فلربّما كذبُ المخيلةُ جودا

كمْ لاحَ ضوءٌ وهو نارُ حَباحبِ ... طارتْ تفرُّ الناظرينَ وقودا

ما الري إلاّ كالسرابِ بقيعةٍ ... أسمعتَ أن يجدي السرابُ ورودا

إنْ كانَ يُحمدُ في البلادِ تَغرّبٌ ... إنَّ التغرُّبَ فيهِ ليسَ حَميدا

كمْ مِنْ عزيزٍ ذلَّ فيهِ وكمْ بهِ ... عُدَّ الذكيُّ الألمعيُّ بَليدا

خَطبتْ بناتِ قريحتي خُطباؤه ... بَدواً فساقوا بالخطوبِ عُقودا

فيـه رجـالٌ يَـدَّعـونَ تَصـوّفـاً ... صَـدقـوا ولكنْ يَلبسـون بُـرودا
سَلكوا مهالكَ وابتغوا رشدَ الورى ... ضلّوا ضَلالاً في الطريقِ بَعيدا
كَـمْ مِنْ مشـايخِهِ رأيتُ مَصـائباً ... تفني الكهولَ كما تشيب وليـدا
لا فيـهِ مجتهـدٌ بنـافـذِ رأيـهِ ... يَفتي. ولا مَن يعـرفُ التقليـدا
إلاّ فقيـهَ الكـلِّ مصباحَ الـدُّجى ... سيفَ الشريعةِ بالتقى مَغمودا
قَـدْ خالفوني مُـذْ حللتُ بـأرضهم ... وبيَ انثنى اجماعُهُـم مَعقـودا
وغرستُ فيهم نخلَ فضلٍ قد غدا ... كُـلُّ امـرئٍ منـهُ اجتنى عنقـودا
لكنّما اختلفـوا فَمنهم كـافـرٌ ... فضلي. ومنهم باتَ فيهِ حَسودا
ورأيتُ فيهم صالحاً سادَ الـورى ... فَلقيتُ منـهُ طـالحاً مَطـروداً
قـاسيتُ منـهُ شَـدائداً لـو حَمّلُـو ... هـا جَلْمـداً لأذابتِ الجَلمـودا
وعَـددتُ مِنْ أهلِ المعالي كـلَّ مَنْ ... لـولا مَـديحي لم يَكـنْ مَعـدودا

طَوّقتُ عاطِلَ جيدِهِ بقصائدٍ غرّاءَ تَحكي لؤلؤاً مَنضوداً
أُفٍّ لعهدِ فاضَ فيهِ مَدامعي حُمراً. وأيّامي استحالتْ سُودا
وتَصوَّبتْ لَمّا تَصعَّدُ زفرتي فشكرتُهمْ تَصويباً أو تصعيدا
أنفقتُ عمري لاكتسابِ وظيفةٍ صَرّفتُ مالي طارفاً وتليدا
فالعمرُ ضاعَ وضاعَ مالي كلُّهُ لا العمرُ صارَ. ولا سواهُ مفيدا
لم أنسَ يومَ وظيفةٍ منّوا بها لا زالَ منْهُمُ عليَّ مَزيدا
مِنْ بعدِ ما جعلوا مُنيةَ أهلها أُمنيّتي أو غائباً مفقودا
فَرصدتُ عمراً كادَ عمري ينقضي فيهِ أسىً يوماً لها موعودا
وحَسبتُ أعمارَ البريّةِ تارةً وسألتُ أُخرى مَنْ يكون فقيدا
فإذا أتى رجلاً وقالَ مبشراً يا شَيخُ عندي ما تُريدُ عهودا
قَصَرَ الكلامَ ومدَّهُ ولَطالما أصفيتهُ مقصوراً أو ممدودا

مـا كـانَ يَنطـقُ كلمـةً إلاّ وقـدْ آتـى لها مـنْ (جـاره) تـأييـدا

وأطـال مثلَ العـودِ صَـدرَ كلامِـهِ فكـأنّـهُ في الصـدرِ يَضربُ عُـودا

فَـأمـاتَ لـلإسـلامِ شيخـاً لم يَنُـلْ يـومـاً وكفّنَـهُ وشـقَّ لحودا

وغـدا يشيّـعُ للمشـاهـدِ نعشَـهُ وأقـامَ اسنـاداً عليـهِ شُهـوداً

صـدرٌ يوسـوسُ في الصدورِ بهزلـهِ خَلَفٌ يخالـفُ في السلـوكِ جُـدودا

فَـالشيـخُ عـادَ إلى الحيـاةِ كبدوةٍ سبحـانَ ربّي مُبـديـاً ومُعيـدا

قُـولا لـه حَكَـمَ الأميرُ بمـوتـهِ أيعيـشُ عَنْ حُكـمِ الأميرِ مُـريـدا

أفَـلا يخافُ مِـنَ الأميرِ وقَهـرِهِ؟ أو لا يـرى سَلَـخَ الأميرُ جُلـودا

حَسبـي الشهـودَ على الـوفـاةِ وإنَّما حَكَـمَ الأميرُ بمـوتـهِ تـأكيـدا

أَلَـهُ كـلامٌ في الشُّهـودِ أو انّـهُ حُكْـمُ الأميرِ يظنّـهُ مَـردودا

قُـولا لهُ إنْ مـاتَ مـاتَ وإنْ يعِشْ فَليستعـدُّ مِـنَ الأميرِ حُـدودا

سَيقصُّ لحيتَهُ ويحلِقُ رأسَهُ ... ويسوقَهُ مِنْ (دلمقانِ) شَديدا

هذا وليتَ الشيخَ سدَّ عمودَهُ ... يومينِ حتى أبلُغَ المقصودا

لولا سلُوّي بالتَّمنّي لم يزلْ ... قَلبي بحبلِ نوائبٍ مَصفودا

ربِّ اقضِ حاجتنا ويسرّ عُسرنا ... واجعلْ عقيبَ أُمورَنا محمودا

وله في مخاطبة بعض أصدقائه فيها التظلم من الزمان

[البسيط]

يـا شَيـخُ فضلـكَ بينَ النـاسِ مُشتهـرٌ
في الصـدرِ حبُّـكَ مستـورٌ ومكنـوزُ

أدَّيـتَ غلّـةَ ديـواني فما بقيـتْ
لي غلّـةٌ ونصيـبَ القـومِ مَفـروزُ

وذاكَ عـامٌ يغـاثُ النـاسَ فيـهِ كـأنَّ
البـذرَ للـزرعِ في الأحجـارِ مَـركـوزُ

مـا عنـدنـا غلـةٌ للصحـبِ وافيـةٌ
حسـابها اليـوم مفـروغٌ ومحروزُ

وكيـفَ أعطـي يسيراً مثلكـمُ وأرى
اعطـاءَ مـا قـلَّ عنـدَ البعـضِ مَلغـوزُ

فـاقبـلْ لعـذري ولا تكثـرْ على أسفـي
وليـسَ عُـذريَ مهمـوزٌ وملمـوزُ

استفتاء

[الخفيف]

شيخَنــــا. مــــا تقــــولُ في حــقِّ ضيــفِ
نَــــوَّرَ الكـــــونَ فضلَـــــهُ مثَـل شمسي

جـــازَ افــرادُهُ ـــــ بــرأيــكَ ـــــ أم لا
بــدَّ مِـنَ الجمـعِ. افــتِ مِـنْ غيرِ حَـدسِ

خلــتُ فضــلَ احترامـكَ اليـــومَ لكــنْ
نكتفــي منــهُ بــالــذي جــازَ أمــسِ

هنّــأ اللهُ عيشَنـــــــا في زمـــــانٍ
قـــد تَقَضّـى وأنــتَ مشهــودُ حــسِّ

قـــامَ لي مــأتــمٌ إنّما غبــتَ عنّــي
وأرى كلّما عهـــــدتُــــكَ عُـــرسي

لا هنـــيٌّ ولا مــــــــريٌّ شرابي
إنْ حُميّـــــاكَ لم يشعشـــع بكـــأسِ

أيُّها الشيـخُ كـنْ كشمـسٍ طلــوعــا
لا سُهيــلاً يبــدو ســويعــةَ نعــسِ

أنــتَ غِطــريــفُ مَعشرٍ كــانَ يَخشى
زأراتَ الأُســـــودِ منهــم بهمــسِ

غُصــتَ في عيلــمِ العلـــومِ غُصــورا
لــــــلآلٍ لم يخرجـــوهـــا بغمــسِ

فبضـــلٍ ومكــــــرمــــاتِ ومجدٍ
لم تـــزلْ تـــرتقي بعــرشٍ وكـــرسي

لســتَ تَـــدري بما حبـــاني إلهي
فحبـــاني الإلــــهُ مــــا سرَّ نفسي

قَــدْ تــربيتُ في حجــورِ المعــالي
رافعـــاتِ فضـــائلي فـــوقَ رأسي

بيتان جميلان أوصى ـ رحمه الله ـ أن يُكتبا في كفنه وهما

[بحر الوافر]

أتَيــتُ إليــكَ يــا أَملي وذُخــري
خليَ الكــفِّ عَــنْ (زادِ المعــادِ)

أيحملُـــــهُ الـــــذي لم يبرح الآ
ثقيــلَ الظهــرِ مِــنْ حَملِ الفســادِ

وله ـ رحمه الله ـ

[بحر البسيط]

يــا مَن يُقيّــدُ بــالأعــزازِ مَــنْ دوني
حتّــى مَ تطلقنــي في سبــبِ الهونِ

هــلْ أنــتَ راضٍ بــأنْ يَــزري بنــا أحــدٌ
ونحــنُ نَــزري بــأشرافِ السَّــلاطينِ

كَــمْ مِــن مفــاوزِ بيــدٍ سِرتُها لجدىً
لــديكَ مِنْ ســالــفِ الأيــامِ مَــرهــ...

وقال مؤرّخاً

[الكامل]

ورقٌ تفـــرَّدَ في الأراكـــةِ بـــالحمـى
لا زالَ بـــالأفـــراحِ ذاكَ مطـــوَّقـــا
فكـــأنّـــهُ أوحـــى إليّ مـــؤرِّخـــا
(هنـئ. أبـــو حســنِ تعمّـم بـــالتُّقـى) [1]

١٢٨٤

١ـ أبو حسن مبتدأ وما بعده خبره وليس هو مفعولاً لهنئ.

وله معاتباً أحد الخانات (١)

[البسيط]

يـــا خـــانُ مـــا أحسنــتَ المودةَ لي
فخنــتَ فيهـــا وكــلُّ الخانِ خَـــوّانُ

أخبرتُ إنّ اســمَ خـــانٍ للعلىٰ لقـــبٌ
فبعـــدَ خبري قَـــدْ حقّقتُ مـــا (الخانُ)

ظننـــتُ أنّـــكَ مِـــنْ دارٍ ممنعـــــةٍ
ومـــا علمـــتُ بـــأنَّ الظـــنَّ بُهتـــانُ

فـــررتَ عنّـــي بـــلا عُـــذرٍ ولا سبـــبٍ
كما يفـــرُّ مِـــنِ اســـمِ اللهِ شيطـــانُ

أمـــا خَجلـــتَ ولا استحييـــتَ مِـــنْ شرفي؟
والفضـــلُ للشرف الـــوضّـــاحِ عُنـــوانُ

وقال مستهزئاً بصاحب وظيفة نالها جديداً

[الكامل]

يــا أيّها الصِّــدّيـقُ يـوسفُ مَــنْ غــدا
صــدقُ المقــالِ على اسمِــهِ مَقصــورا

أمسيــتَ(جَنـــرالاً) لنــاصرِ ديننــا
فــالــديـنُ أصبـحَ منكما مَنصــورا

مــا كنتَ تكــذبُ قَبـلَ رفعِـكَ مَنصِبـا
فــاليـوم أصبـحَ (خــرطُكُم قَمصــورا)

وقال في العيد [١]

هــذا هــو العيــدُ. أيــنَ الكأسُ والعــودُ؟
قُــمْ فـأسـقِ نــاراً بها للقلــبِ تَخميــدُ

مِنْ قَـرْقَـفٍ تُسكِـرُ العبّـادَ نفحتُهـا
مـا كـانَ يَعصِمُهُـم تقـوى وتسـديـدُ

حمراءَ تحسبهـا يـا قـوتـةً جُلِبَـتْ
في عَسجـديٍّ عليهـا الـدرُّ منضـودُ

كـأنّها الشمـسُ في بـدرٍ تطـوفُ بها
أهلّـةٌ فـوقهـا للنجـمِ تَصعيـدُ

فهـاتَ منهـا قتيـلَ الماءِ تُحيي بها
قلبـي الـذي هـو مَتبـولٌ ومكمـودُ

بَـذلـتُ في رَمَضـانَ الجهـدَ مُنكسراً
في طـاعـةِ اللهِ حتـى تـمَّ مجهـودُ

---

١ ـ مستهل هذه القصيدة سبق وأن جاء به مستهلاً لقصيدة سابقة. وهكذا بعض أبياتها.

قَــدْ فــاتنـي سَفَهــاً مــا كــانَ يُطــربنـي
عــودوا عليَّ بما قَـــدْ فــاتَنـي عُــودوا

فـــارقتُ غَيــداءَ بـــالألحانِ تُطــربنـي
يـــا حبـــذا نغــمُ الألحانِ والغيـــدُ

اللهُ ذو رحمةٍ. فـــالتـــوبَ يقبلـــهُ
والـــذنـبَ يمحــوهُ اخــلاصٌ وتــوحيــدُ

فَـــلا أُبـــالي خطيئـــاتِ أزاولها
وشـــافِــعُ الحشرِ كـــرارٌ ومحمـــودُ

وفي استتـــارِ ذُنــوبي مُــذْ أخــذتُ بها
لي مِــنْ أبي المجــد اسعـــادٌ وتـأييــدُ

مَــنْ خيَّـــرَ العقـلَ يـومَ التهنئـاتِ فهـلْ
بـــالعيــدِ هنّـي. أم هنّــي بـــهِ العيــدُ

تقريظه لكتابه (ديوان حكيم ذوقي)
المطبوع عام ١٢٧٧

[البسيط]

هــــذا مُسَمَّــطُ أسرارٍ حَكَـــى فيهـــا
آيـــاتِ حــقٍّ لســـانُ الحقِّ مُنشيهـــا

هــذا كتــابٌ حَــوى شعــراً حَــوى كَلِماً
أدقَّ مِــنْ شعـــرِ أبكـــارِ معـــانيهـــا

هــذا هــو الــرّوضــةُ الفيحــاءُ مُطــربــةُ
الاحشــاءِ طُــوراً وكـمْ بــالحزنِ تُشجيهــا

حلــوٌ مَــواردهــا عَــذبٌ منــاهلهــا
مشتقــةٌ مِــنْ مبــاديها مبــانيهــا

هــذا هــو الشمســةُ الــلالاءِ في كُتُبِ
منضــــودةٍ في مطـــاويها لآليهـــا

كَــمْ مِنْ بيـــانٍ بَــديــعٍ فيــهِ دلَّ على
المعنــى المهـــذَّبِ تَصريحاً وتنبيهـــا

وكَـمْ مـدیحِ لأهـلِ البیـتِ فیـهِ وكَـمْ
لهم مـراثِ حكـى الخنسـاءَ راویها

بكـتْ جفـوني علیهـم عَنـدمـاً (١) ودماً
بها وقَـدْ بلغـتْ روحـي تَـراقیهـا

وفـاضَ مني دمـوعٌ كـادَ تُغـرقنـي
لـولا ركـوبيَ بسـمِ اللهِ مجریها

كَـمْ فیـهِ أسرارُ حـقّ لیـس محرمهـا
إلاّ الحكیـمَ لسـانُ الحقّ حـاویها

الجامـعُ الفـردُ مَـنْ لا العلـمُ یجهلـهُ
شرحـاً وبسطـاً وإیـراداً وتـوجیهـا

شهـمٌ أدیـبٌ أریـبٌ مغلـقٌ لبـقٌ
حبرٌ خبیرٌ بصیرٌ جـلَّ تشبیهـا

تَملَّـكَ المجـدَ في قُـوةِ أكـاسرةٍ
والمجـدُ خیرُ تـراثٍ في ذراریها

لـهُ فضـائلُ غـرٌّ لیـس یكتمهـا
حقـدٌ وكیف الغمامُ الشمـسَ تُخفیهـا

١ـ العَنْدَم: دَمُ الأخوَین.

شَمسُ المعـارفِ عرِّيفُ الغطـارفِ معروفُ
الطـــوائفِ دانيهـــا وقـــاصيهـــا

وفَيلــقُ الشعـــراءِ المهتـــديـنَ ومَــنْ
لم يتَّبعــــه هـــوى مَــنْ ينهــجُ التيهـــا

النـــاصعُ الحســبِ المفضـــالُ في الأدبِ
الصــافي الـذي تــركَ الــدنيـا ومـا فيهـا

يَحكـــي فضيلـــــةَ شمـــسٍ في ذرا أدبٍ
والشمــسُ ليــس لها شبــهٌ يُضـــاهيهـــا

يُحيــي النفـــوسَ بسلســـالِ المقـــالِ كما
عيســـى بـــأنفـــاسِـــهِ الأرواحَ يُحييهـــا

لا زالَ في الأرضِ مَنشـــوراً مــــدائِحـــهُ
مـــا غـــرَّدَ الـــورَقُ وجـــداً في رَوابيهـــا [1]

١ـ الروابي: جمع رابية، وهي المكان المرتفع.

الأديب الأريب والشاعر البليغ

محمد تقي التبريزي

المعروف بـ «حجة الإسلام»

اقتطفنا من شعره قصائد ثلاث :

١ـ لاميته على بحر البسيط المعروفة بلامية الترك.

٢ـ هائيته على بحر الكامل في مصاب الإمام الطاهر الحسين ـ عليه السلام ـ

٣ـ لاميته على بحر الخفيف في مدح الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

ولد الشاعر عام ١٢٦٤ وتوفي عام ١٣١٢.

تلقى الآليات والمقدمات في موطنه وتتلمذ على علماء العراق ثم هبط تبريز قائماً بأعباء الإمامة والإرشاد.

وله قصائد أُخرى باللغتين الفارسية والتركية طبعت ونشرت.

وأخص بالذكر أثره الخالد على جبين الدهر المعروف باسم «آتشكده» باللغة الفارسية، والذي نُظم في وصف واقعة الطف من أولها إلى آخرها، أي من مغادرة الإمام الحسين -عليه السلام- المدينة المنورة وحتى عودة أهل بيته إليها بعد مأساة كربلاء وما جرى عليهم من حوادث وكوارث.

لامية الترك

كنت قد عثرت على قصيدة لامية تُعـرف بـ «لامية الترك» في مدح صاحب الزمان ـ عليه السلام ـ وهي من بحـر البسيط لأحد الشعراء الأفذاذ مـن علماء تبريز: الشيخ محمد تقي المعروف بحجة الإسلام (١٢٦٤ ـ ١٣١٢ هـ) وهو من القومية التركية وكان مجيداً في اللغات الثلاث: العربية والتركية والفـارسية وينظم الشعر فيها جميعاً وله ديوان معروف يتضمن أشعاره بتلك اللغات. وبما أنّه جارى في نظمه هذا لامية العجم كما أنّ لاميـة العجم جـارت لامية العـرب، ولأجـل ايضاح المطلـب نشير إلى كلتا الـلاميتين باجمال:

إنّ لامية العـرب للشنفري الأزدي (ت ٥١٠ م) وقـد شرحها الـزمخشري في شرح أسماه «أعجب العجب في شرح لاميـة العجب» [١] وقد روي في المجاميـع الأدبية عن النبي ﷺ أنّـه قـال: «علّموا أولادكـم لاميـة العـرب فإنّها تعلّمهم مكـارم الأخـلاق»

---

١ ـ كشف الظنون: ٢/ ٣٣٩.

ومستهلّها:

أقيمـوا بني أُمّـي صـدور مطيكم فـانّي إلى قـــوم سـواكم لأمـيل

ومع أنّ هـذه القصيدة تبين لنـا ملامح العيش في البـادية ولكنّهـا تتضمن بعض الحكم القيمة كقوله:

وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلــهم إذ أجشـع القوم أعجلُ

وكقوله:

ولكنّ نفسي حـــــرة لا تقيم بي على الضـيم إلاّ ريثـمـا أتحـــول

وأمّا لامية العجم فهي لمؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطغرائي قال عنه ابن خلكان [1]: «كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، قتل عام ٥١٠ هـ، ومن محاسن شعره قصيدتـه المعروفة بلامية العجم وقد عملها ببغداد ويشكو زمانه، ومستهلها:

أصـالــة الــرأي صـانتني عـن الخطـلِ

وحليـــة الفضـل زانتنـي عــن العطــلِ

مجـــدي أخيـــراً ومجـــدي أولاً شرع

والشمس رأد الضحى كـالشمس في الطفلِ

١ـ وفيات الأعيان: ٢/ ١٨٥ رقم الترجمة ١٩٧.

ومما جاء فيها من الحكم:

حبّ السلامة يثني همَّ صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسلِ

فإن جنحتَ إليه فاتَّخذ نفقاً
في الأرض أو سلّماً في الجوِّ واعتزلِ

لو أنّ في شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ

وشأن صدقك عند الناس كذبهم
وهل يطابق معوجّ بمعتدلِ

ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
يحتاج فيه إلى الأنصار والخولِ

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها
فهل سمعت بظل غير منتقلِ

وأمّا لامية الترك وقد عرفت ناظمها، فهي في مدح صاحب الزمان ـ عليه السلام ـ في ضمنها مدح للوصي ـ عليه السلام ـ تشتمل على فضائل الإمام ومناقبه وأحواله وإليك القصيدة:

القصيدة الأُولى

في مدح صاحب الزمان أرواحنا فداه

وهذه هي المسماة بـ (لامية الترك)

[بحر البسيط]

عُـجْ للمسيرِ وسِــزْ في البيــدِ والقُلَــلِ
إنّ العُلى في متــونِ الأنيــقِ الــــذلــلِ

خُـضْ في الفَـلا واصْحبِ الآسـادَ في أجَـمِ
واتــرُكْ مغــازلـــةَ الغــزلانِ للغَــزلِ

لــو كـــانَ للمـرءِ مِـنْ عِـزٍ ومكــرُمــةٍ
في دارِهِ لم يُهاجــرْ سيِّــدُ الــرُسُــلِ

لم يبـقَ في الـــدارِ ممَّـنْ كنـتَ تَعهــدهــمْ
إلاّ لفيــفٌ مِــن الأنـــذالِ والسَّفَـــلِ

فـــاربــأ بنفِسِـكَ إنْ تعتـــادَ شَيمتهـمَ
دَعِ المعـــاطِـنَ لـــلأنعـامِ واعتَـــزِلِ

مهما نَـــزلْـتَ بــأرضٍ فـأتِ نـــاديها
وَاقــرأ سَــــلامـــاً على الآدابِ وارتحلِ

مـــا إنْ لَقيـتَ أخـــا بُــؤسٍ بمسغَبــةٍ
فــاعطِـفْ عليــهِ وَكُـنْ مِنـــهُ على وَجَـلِ

خَلَتْ رُبوعُ العُلا مِنْ أهلِها فَغَدَتْ
تَبكي عليهِ الصَّدى بالوَيلِ والهبلِ

خانَ الزَّمانُ رِجالاً يَبخلونَ على
عِزِّ القِيادِ وما بالقَومِ مِنْ بُخلِ

قَضُوا فَلا لقُضايَاها أبو حَسنٍ
ولا لهيجائِها مِنْ فارسٍ بَطَلِ

تَوارَثتْهُمْ أُناسٌ لا خَلاقَ لَهم
إرثُ الثَّعالبِ للآسادِ في الأكلِ

قَومٌ إذا استُنجِزوا لَووا رؤوسَهُمُ
واستَغفروا اللهَ مِنْ قَولٍ بِلا عَملِ

طَيرٌ إذا حَملوا، جملٌ إذا اقتنِصوا
يا بدعَ ولدِ زناةِ الطيرِ بالجَملِ

يشبّهونَ بمن سادوا مِنْ مَلابِسهم
وزرقةَ العينِ لا تُحوِّرُ بالكُحلِ

تَقلَّدوا العلمَ قَومٌ مِنْ ذوي سَفهٍ
يَفوقهُمْ باقلٌ في حَلبةِ الجدلِ

فَخَـــامِـلٌ جَهلَــهُ بين الــورى مَثَـلٌ
يَــزري مَقَــالَــةَ افــلاطــونَ في المثَـلِ

تَعَمَّـــرَ الــدَّهــرُ حتى كــلَّ نــاظِــرُهُ
فــاحــذرْ نعــامــةَ أنْ تكــوى مَـعَ الإبـلِ

سِـــرْ في بُطــونِ الثَّرَى يــا حــارَ مُقتحِما
وقِـــفْ على كُـــلِّ رســمِ دارِسٍ عَطَــلِ

وَ انـعَ المكــارمَ ثُــمْ اقصــدْ مــآتمهــا
وَعـــزِّ أيتــامَهــا بــالفــادحِ الجلــلِ

مــا أوحشَ الــدارَ لــولا فــرحــة الخول
مــا أنكــدَ العيشَ لَـــولا سرعــةُ الأجـلِ

ألقــي المكـــارمَ نفسي في غِيــــابتِهــــا
كـــأنّــي يـــوسـفٌ في إخـــوةِ جهـلِ

واستجهـلَ المجــدُ مِقــداري فغـــادرني
تَعلـــو مــلابـسَ عَـزمــي غُبرةَ العَطَـلِ

كــأنّـــي كحلـــةٌ في عينِ ذي كَمَــــهِ
أو أنّـــي صـــــارمٌ في كَـــفِ ذي شَلَـلِ

والـــدَّهــرُ أنــزلني حتى قُــرِنْــتُ إلى
غَـــــوغـــــاء أفضلهـــم عُثمان في المثــلِ

سُمــــوا سنـــامَ العُلى والمكـــرمـــاتِ ولا
مِـــنْ نـــاقَـــــةٍ لهم فيهــــا ولا جَمَلِ

صَبَـــوا إلى بيعـــةٍ مَيشـــومـــةٍ جُعِلـــتْ
شُـــــورى يُوصّـــــي بها لاتٌ إلى هُبَـــلِ

أجيـلُ قَــدحي بها والطَّــرفَ فيــهِ قَــذىً
منْهـــا ولكـــن لسبـــقِ السيـــفِ للعَـــذَلِ

يـــــا دارُ تبريــــزَ لا حُييــتَ مِـــنْ وطَـــنِ
إليـــكَ عَنّـــي فمالي فيـــكَ مِـــنْ عَلـــلِ

إن كنـتَ جنـــةَ فـــردوسٍ فَطُـــبْ نُـــزلا
فَقَـــدْ وهبتُـــكَ مـــالي فيكَ مِـــنْ نـــزلِ

دَعنـــي ورحــــالي وخِــــلاّني وراحلتـــي
وأرجـــعْ عليـــكَ رضينــــا مِنـــكَ بــــالنقـــلِ

فيما الـــــوقـــوفُ بـــدارِ الهونِ عـــزَّ بها
إلاّ معـــــاشرة الأذنــــــابَ والسفــــلِ

يـا حَبـذا مَـوقفـي في الـرَّبـعِ مِنْ اضـم
في صَفـــوِ عيـشٍ بـــلا غَـــولٍ ولا كَسَـلِ

كَـمْ مِـــنْ ليـــالٍ بــهِ ضحيـــاءُ مقمـــرةٌ
تَــــدُر كـــأسُ المنـــى فيهـــا بِــــلا وَغَـــلِ

يَــومـــاً على دجلَـــةَ الـــزَّورا على سَـــررٍ
يــــومـــاً على هــــورِ كـــوفـــانٍ على كَلَـــلِ

يــــومـــاً بســامـــرةٍ أكـــرمْ بها سَكَنـــاً
تُحيـــى العظـــامُ بها مِـــنْ رِقَـــةِ الشَّمـــلِ

أُخـــرى بحيرِ سَقـــاهُ اللهُ مِـــنْ حَـــرَمٍ
في طيـــبِ تُـــربتِـــهِ بـــرءٌ مِـــنَ العِلـــلِ

جنـــاتُ عـــدنٍ بها مِنْ كـلِّ فـــاكهـــةٍ
قطـــوفُهـــا ذَبُلَـــتْ مِـــنْ كـــفٍّ مجتـــزلِ

وبـــاسقـــاتُ نَخيـلٍ كـــالعـــروسِ إذا
قـامـتْ وقَـــدْ أسـدَلـتْ للفـاحِـمِ الـرّجـلِ

تَحكـــي زَوارقُهـــا بُـــرجـــاً على فَلَـــكٍ
تَقِـــلُّ سيـــــارةً تفترُّ بــــــالأصـــلِ

يـا نَفسُ صبراً على رِيَبِ الـزمـانِ فَـلا
تَحظـىٰ السَّـلامـةَ إلاّ خلقـةَ الحللِ

هَـلْ تَشهـقُ العينُ إلاّ كـلَّ ذي خطـرٍ
أنَّ العيـونَ لفـي شُغـلِ عَـنِ الخَمَـلِ

مـا للـرجـالِ نَصيبٌ في مَغـانِمِـه
الـدَّهـرُ مِـنْ ذَواتِ الغنـجِ والشهـلِ

هُـوني ومُـوتي على جَـرٍّ الضما جَـدَعـا
أجلُّ شـأنِـك أنْ تـرضِينَ بـالسَّمـلِ

إنْ أدبـرتْ عنّيَ الـدنيـا فـلا بَطَـرٌ
في جَـوهـرِ السيفِ مـا يُغني عَـنِ الخَلَـلِ

حَملـتُ أوقـارَ عـزٍّ لا تَقـومُ على
أقـلامِهـا يعمـلاتُ السبعـةِ الـذلَلِ

وحـزتُ أعـراقَ مجدٍ وَصْلها حِكَـمٌ
وفـرعُهـا هِممٌ بـالعـدوِ مُتصـلِ

وهُـدوَ نفـسٍ فَـلا في العيـلِ مِنْ جَـزعٍ
ولا غـداةُ الفتـى والنيـلِ مِـنْ خَيـلِ

وزانَنَـي خيـمُ حِلـمٍ قَـدْ جُبلـتُ بها
لـو زالـتِ الـراسيـاتُ الصلـدُ لِمْ أزلِ

وزِيـدَ بسطـةً سبحـانَ واهبهـا
في العلـمِ لـو عـالَ في الأرضِ لم أُعَـلِ

فكَـمْ حَللـتُ رمـوزاً طـالما قَصُرتْ
عَـنْ حلِّهـا حكماءُ الأعصرِ الأُوَلِ

وكَـمْ مَلكـتُ كُنـوزاً شـدَّمـا جَهَـدتْ
في نيلِهـا طـالـب العليـاء لم تَنَـلِ

راطَنْـتُ صُبحـي بها دَهْـراً فما انتبَهـتُ
لها فكفكَفْـتُ عنهـا كـفَّ مُعتقـلِ

لا يُـوهِـنُ الـدَّهـرَ عـزمِيْ مـن بَـلابِلـهِ
البحـرُ مِـنْ صَيَحـانِ الـرَّعـدِ في شُغـلِ

بَينَ الجوانِـحِ منّـي مـا يُحلّأني
مِـنْ أنْ يكـونَ لـذي فضـلٍ يَـدٌ قِبَلي

لَـوْ كُنـتُ أستـأثِـرُ الـدُّنيـا وزهـرتَها
حِـرْصـاً على سعَـةٍ في اللِّبـسِ والأُكُـلِ

لكـــانَ يَحجــزني عَــنْ طَعمِهـــا جَشَبٌ
ومِــنْ مَـــلابِسهـــا طُـمٌّ مِــنَ الحُلــلِ

لكنَّـــــهُ لِسماحٍ لا يُســـــامحنـــي
إلاّ بـــانفـــاقِ مـــا فيهـــا بِـــلا مَهَـلِ

فَلَــو ورى البـؤسُ مـا قَـدْ فـاتَـهُ لحكـى
تحتَ البحــورِ لأصفــاري مَـدى الــدولِ

ولــو دَرى الجودُ مـــا قَــدْ نــابَــهُ لبكـى
مــرَّ الــدهـــورِ لاعـــوازي بِـــلا ثُكَـلِ

ولَـــو تكــنْ للعلى عَينـــان لانتبهـــتْ
ومـــا شَــــرَتْني ببخـــسٍ غير محتفـلِ

لئِنْ حَـوتْ شخصيَ الـدنيـا فـلا عجبٌ
كــمْ لُــفَّ مِـنْ درّةٍ في مطـــرفٍ سَمـل

وإنْ زَهـــاني أضـــدادي فَـــلا ضجــرٌ
مِـنْ هــروِ ذي حـولٍ مِـنْ عينِ ذي كُحـلِ

وإنْ تَخاذلنـــي صَحبـــي فَـــلا وغَـــرٌ
في منعـــةِ النفسِ مـــا يكفـــي عَـنِ الحولِ

للهِ درُّ عميــــــدِ في مقـــــالَتِــــهِ
حبـــاهُ ربُّ العُلى مِــنْ أهنـأ النـــزلِ

(وإنّما رجـلُ الــدُّنيــا وواحِــدُهـــا
مَـنْ لا يُعــوِّلُ في الــدنيـا على رَجُــلِ)

سَهَــرتُ حتَّى جبلتُ الــدَّهـرَ أشطـرهُ
يــا نـــومـــةُ الموتِ زُوريني على ملــلِ

فـإنْ أصــابَ السُّهـا مِـنْ ضَجـوتي رمــدٌ
مَهــلا فقــد قــرَّبـتْ شمسي مـنَ الطفـلِ

لا تَــرجُ يـا صــاحَ في الـدنيـا بلـوغَ مُنى
ألاّ لكـــلِّ خفيـــفِ العقـــلِ مُحتبـــلِ

إنْ كـــــانَ يـــأتي على تغييرِ عـــــادتها
فسيـــــفُ سبـــــطِ أميرِ المؤمنينَ علي

الحُجـةِ القــائمِ بــنِ العسكـري الحسـنِ
الهادي ســلالـــة طــه نــاسـخُ الملــلِ

الأروَعِ البَطَـــلِ ابـــنِ الأروعِ البَطَـــلِ
ابــنِ الأروَعِ البَطَـلِ ابــنِ الأروَعِ البَطَـلِ

فَتّـــالُ لامتِهـــا فَلـــلاّقُ هـــامتِهـــا
فضـــاضُ عـــامتِهـــا في غَيهـبِ جَلـلِ

خَليفــــــــــــــــــــةُ اللهِ فيما بينَ لابي
الــدنيــا على الخلـقِ مِـنْ حــافٍ ومنتعِـلِ

لــولاهُ فــالأرض مــا قــامت قــوائِمُهــا
إلاّ وســـــاخَــتْ في سَهــلٍ وفي جَبَــلِ

وَلا استَقـــامــتْ مجاري هـــذهِ الأكــرُ
السبــعُ الشـــدادُ على قطـبٍ بـــلا ميـلِ

وَلا استَـــدارتْ لها شمـــسٌ على قَمَـــرٍ
وَلا استَنـــارتْ دراريْ تِلكُــمُ الشّعـــلِ

وجـــهُ المهيمــنِ فيما بين أظهُـــرِنـــا
وصَفـــوةُ الـــرسـلِ الهاديـنَ للسُّبُـلِ

جـــلاجـلُ لـــوذعـيٌّ جحفـلٌ بـــذخٌ
سميـــــوعٌ أريحيٌّ أسجـــحٌ بِـــدْلِ[1]

١ـ «الجلاجل» : الخفيف الروح، النشيط في عمله. «اللّوذعيّ»: الذكيّ الذهن الحديد الفؤاد. الـرجل الجحفل: العظيم القـدر. «البـذخ»: الشامـخ. البِدْل والبَـدَل، وجَمعها: الأبـدال: الأولياء والعباد الصالحين بهم يُقيم اللهُ الأرض.

وقَـــــدْ رآه نبـــيُّ اللهِ حينَ سَـــــرى
إلى مقـــامٍ بـأوجِ القُـــدسِ مُتصـــلِ

مُصَلّيـــاً وجهُـــهُ كـــالبـــدرِ مُلتمِـعٌ
ونُـــوره بَعْـــدُ في الأصـــلابِ مُنتقـــلِ

يـــا بـــاحِثـــاً عَـنْ ذُرى عليـــاهُ معـــذرةً
قَـــدْ سُـــدَّ دونَ الثُّـــريـــا أوجـــهُ الحيَّـلِ

إنْ قـــالَ:لا. فيبيـــتُ الكـــونُ في عَـــدَمٍ
كما تَمَثَّـــل عنـــــهُ الكـــونُ مِـــنْ أجـــلِ

يُـــــزاحمونَ على استيطـــــافِ كَعبتـــــهِ
مـــــلائكُ السبـــعِ مِـــنْ داعٍ ومبتهـــلِ

شَمسٌ غَـدتْ مِنْ سُحابِ القُـدسِ في كللٍ
لـــو أنّها كُشِفـتْ يـــومـــاً لـــذي بُخـلِ

لَصـاحَ وَجَّهـتُ وجهي للـــذي فطـرَ السما
والأرضَ عَـــــنْ تشريــــكِ ذي الحولِ

إنْ صهصـهَ العمـرُ عَـنْ قـولي فقـلْ عُـذراً
(أنـــا الغـــريـقُ فـــلا أخشـى مِـنَ البلَـلِ)

قـــد حيَّـــرَ الملأ الأعلى تهلُّلـــهُ
لَـــوْ لم يُهلـلْ لبـــاهَـتْ منـــهُ في ضلـلِ

هــذا اعتــذاري فـإنْ بـالغتُ في نكـري
إليــكَ عنــي فما صَــبٌ بمعتـــــدلِ

لا تَــدعــونَّهَ إلـٰهــاً جلَّ عَـنْ كفـــوٍ
قُلْ فيــهِ مـاشئتَ مِنْ وصـفٍ ولا تَصـلِ

وكيـفَ تـــوصـفُ أو تُــدرى حقيقتُهـــا
ذاتُ تعـــالَــتْ عَــنِ الأضـــدادِ والمثَـلِ

أعـــزَّهُ اللهُ مِــنْ أعضـــادِ عـــزتِـــهِ
بفيلــقٍ مـــا بها للـــدهـــرِ مِـنْ قِبَـلِ

إنْ كفّــهُ قُبِضَــتْ. فــالــدهــرُ في فشـلٍ
منهـــا وإن بُسِطَــتْ فـــالبحـــرُ في وَشَـلِ

اختَصَّـــــهُ اللهُ مِـــــرآةً لطلعتِـــــهِ
إذْ صيـــغَ عنصرهُ مِـــنْ آيـــــةِ الأزلِ

يَسـوي السما وجهَـهُ بـالشمس حينَ عَلَـتْ
وحينَ زالـــتْ عَـــــرَتْها حمرةُ الخَجَــلِ

يـا نُقطــةً قَصُرتْ عَـنْ حَـلِّ معجمِهــا
مفــاتِــحُ صُــوِّرتْ مِـنْ أحــرفِ الجمـلِ

إليــكَ في العُــودِ رُجعيهـــا ولا عَجــبٌ
إذ أنــتَ في مبتـــديها علـــةُ العلــلِ

لِلبحــرِ مَـــدٌّ وجَــزرٌ في تـــلاطُمِـــهِ
لفيــضِ كَفَّيــكَ مَـــدٌّ غيرُ مُنفصِـــلِ

مَـا الــدهــرُ إلاّ كــانســانِ وأنــتَ لــهُ
عينٌ بِمسحـــــةِ نُـــورِ اللهِ مُكتَحــلِ

إنْ أنكـــرتْـكَ أُنـــاسٌ مِـــنْ بَنـي عَمَـــهِ
فَقَـدْ كَبُـرتَ عُـــلاً مِنْ طَـوقِ ذي البخـلِ

للشَّمسِ في الأرضِ آيــاتٌ لجاحِــدِهـا
وإنْ غَـــدَتْ مِـــنْ غَمامِ الجَوا في طلـــلِ

أرضٌ بــلا حجــةٍ سُبحــانَ خــالقِهـا
عَـنْ تــركِ أغنـامِـهِ تَـرعـى مَـعَ الحمـلِ

وليـــس غيبتـــــهُ عنهـــم بضـــــائرِهِ
فـــإنّـــــهُ عَــنْ رُآهــم غيرُ مُنعـــزلِ

يَــذودُ هــذا. ويسقــي ذا على قــدرِ
مِـنْ حيـث لم يشعــروا في العَـلّ والنَّهَــلِ

فَــالشمسُ طـالعــةٌ ليست بكــاسفـةٍ
لكـنْ عَـرى الــدهـرُ عَنهــا عَشـوةَ المقَـلِ

غَــداة اشتغلــوا عَـنْ مـوتِ صـاحبهـم
لم يشهـــــدوه لتكفينِ ولا غُســـلِ

وَتـــابَعــوا سنَّـــةَ الماضينَ قَبلَهُـمُ
قَبْـلَ النبيينَ حــذوَ النعـلِ بــالنعـلِ

فَـأبـدَعــوا بــدعــةً لم يخطئـوا قِـدمـاً
فيهـــا اتخاذُ بنــي اسرائيـلَ للعِجــلِ

وأنكَــروا لأخيـــهِ الطُّهـــرِ بيعتَـــهُ
وقَــدْ أُهيبــوا بنصٍّ في الغــديــرِ جلي

واستَنفَــروا أُمَّهُـمْ عَــنْ بيـتِ عصمتِهـــا
يــومــاً على بَغلــةٍ يــومــاً على جملِ

تيــاهيــةً لم يَفُــد نصحُ الكتــابِ ولا
نبـحُ الكـلابِ لها يـــا شــدة الثَّمَــلِ

فــاستنهضـــوهُ إلى حــربِ الـــوصي على
ايـــواءِ قـــاتِلِـــهِ يـــا صيحـــةَ الخَبَــلِ

معسكـــرُ الـــرجسِ في صفينَ في قُلَــلِ
مِـنْ حـزبِ ابليسَ مِـنْ خيلٍ ومِـنْ رَجُـلِ

فَشَـبَّ نـارُ الـــوَغـى بينَ الكماةِ مِـنَ الحز
بينِ وانهلَّــتِ الأنبـــالُ كـــالـــوبـلِ

فَعَمَّهُـــم آيــــةُ الجبــــارِ في ظلـــلِ
مِـــنَ الغَمامِ بصـــوتٍ كـــالقصيــفِ علي

لا يلتقـــي شـــاطِنـــاً إلاّ وأتبعــــهُ
بـــرميـــةٍ مِـــنْ شهـــابِ الغضـبِ مُشتعـلِ

لـــو أنّ مـــا بينَ قَـــرنيهـــا لهم لغَـــدوا
لـــو كـــانَ يقنـعُ سيـفُ اللهِ بـــالبـــدلِ

لـــو كـانَ يُغنـي شِـلاهُـم بَـرقُ صـارِمِـهِ
لـــولا اعتراضُ دمٍ كـــالـــوبـلِ مُنهمــلِ

يحوطهُـم حَجَـلٌ شـوسٌ [١] كـأنّهم
مـلائكُ حـولَ عَـرشِ اللهِ محتفـلِ

كـأنَّ أرمـاحهـمُ في كَفِّهِـمْ كنـسٌ
لها ذوائبُ تَنعـى القـومَ بـالشلـلِ

كَـمْ ركبـوا مِـنْ منى صَخـرٍ رحى قلـلِ
على سـوى محور العسّـالـةِ الـذبـلِ

وكَـمْ أكبّـوا خيـولاً في مُكـافحـةٍ
على ركـوبٍ لها في التربِ مُنجـدلِ

كـأنّها سَفَـنٌ مـادَتْ بـراكِبِها
يَغشـاهُ مـوجُ ظـلالِ السيـفِ كـالقلـلِ

ولم تَنَـلْ أوليـاءُ الثـارِ مـأربـةً
سـوى عتـاقٍ سـهِ مِنْ رمـحٍ مُعتقـلِ

فَـاسترهفتهـمْ صفـاحُ الخافظـاتِ على
رَفـعِ المصـاحـفِ يـا للهِ مِـنْ دَخـلِ

وَسَيـفُ أشترِهـا بـالبينِ يَحصـدُهـم
والقـومُ مـا بينَ مجدولٍ ومنجفِـلِ

١ ـ «الحَجَل» والواحدة «حَجَلَة»: طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية. «الشوس» جمع أشوس: الشديد الجري في القتال.

حتـــى تَتَـــابَـــعَ رَأيُ المارقينَ على

تـــركِ القِتـــالِ فيـــا للخـــذِلِ والفَشَـــلِ

فَحَمَّلُـــوهُ على التَّحكيـــمِ واقتنعـــوا

مِنَ الغَنيمـــةِ بعـــدَ الكـــدِّ بـــالقفـــلِ

كَـمِ انتَضـــوا سَيـــفَ بغـــيٍ غَمَّـــدوهُ على

أميرِهِـــمْ يـــا لها مِـــنْ نكـــثِ معتـــزلِ

اصـــلاحَ مـــا ضَيَّعـــوا فِي الصيف مِنْ لبـنِ

لـــو اجتنى بـــرقَ مـــا ســـال مِنْ عَسَـلِ

هيهـــاتَ للقيـــدِ مـــا قَـــدْ فـــاتَ مِـــنْ قـــرءٍ

هيهـــاتَ للقـــوسِ مـــا قَـــدْ ذَلَّ مِـــنْ أسَـلِ

فَـانقَضَّ فِيهـم ضُحىً كـالصقـرِ يَلقِطُهـم

بمخلـبِ السَّيـفِ بَعـدَ النَّصحِ والعَـذلِ

فَلَـمْ يغـــادِرْ لهم في الأرضِ مِـــنْ أثـــرِ

في غَمـــضِ ذي وســـنِ أو لمحِ ذي سبـــلِ

هَـــذا وكَـــمْ هنـــوات بعـــدَهـــا بِطِـــوى

والـــرقمتينِ ودورِ مِـــنْ بنـــي سَمَـــلِ

لا يَستجيـــبُ لســـــاني أن يفـــــوه بها
فــاكتَـفْ بــوقْعَــــةِ عــاشــورا ولا تَسَـلِ

هـــذا الـذي حَجَـبَ الأبصــارَ فـانقلَبَـتْ
مِــنْ نــــورِ طلعـــةِ وَجـــهِ الله في عَطَـــلِ

لله يَـــــومَ يُنـــــادى في السماءِ ضُحـــىً
بـــإسمِـــــهِ وصاخُ القَــــومِ في غَفَـــلِ

تَهتَـــزُّ أُمّ القُــــرى بُشرى ابــنِ بجـــدتِها
وزُلـــزِلـتْ شُـــرُفُ الأديـــانِ والنِّحَـــلِ

والأرضُ قَـدْ أشرقَـتْ مِـنْ نُـورِ فـاطِـرِهـا
وظلمـــــة الليـــلِ قَـــدْ وَلَّـــتْ ولم تُــــولِ

يـــا مـــوســةً كلّما قَـــدْ رمتُ غـــايتَهـــا
وَقعـــتُ مِـــنْ حيرتي في رميــــة الخَطَـــلِ

فَظَلّـتْ تهتفنـــي صَــــرعى مَفـــاوِزهــــا
ارجـــعْ لأثـــــركَ يــــــا هــــذا ولا تفـــلِ

قَـدْ رُمـتَ سهيـاً عــريضـاً طـالماً عُقِـرتْ
فيـــه المطـــايـــا وقَـــدْ آنــتْ مِـنَ الجزَلِ

يـــا ســـائِراً نحـــوَ ســـامـــرّا يـــؤمُّ بها
صَـــــرْحاً بنـــور جـــلالِ اللهِ مُشتمـــلِ

أحمل لســـدّتِـــهِ العليـــاءَ قـــافِيـــةً
مِـنْ مـا حِـضٍ (١) في هـراهُـم غيرُ منتَهـلِ

حـالَ الجريـضُ لهم دونَ القـريـضِ (٢) فَلا
تَـــوقٌ إلى هَـــزَجٍ منـــهُ ولا رَمَـلِ (٣)

لكنّهـــا نفثـــةٌ مِـــنْ صَـــدرٍ ذي قلـقٍ
بينَ الحشـــا منـهُ جـــرحٌ غير مُنـــدمَـلِ

قَـدْ جـاشَ صـدراً بها والحلـقُ فيــه شجـا
ممّـــا دهتْـــهُ مِـنَ الأوصـــافِ والعضَـــلِ

وإذْ وقفـــتَ على بـــــابِ لنــــاحيــــةٍ
ظــلّ ابــنُ عمـــرانَ فيهـــا غيرُ مُنتعـلِ

انـــزل على هـــدوءٍ واهتُـــفْ لقـاطِنهـــا
وانــدبـــهُ عنـــهُ وقُـــلْ يـــا كعبـــةَ الأمَـلِ

١ـ المَخْضُ من كلّ شيء: الخالص.
٢ـ «حالَ الجريضُ دون القريض» أي: حال الغمّ والغصص دون الشعر والطرب.
٣ـ «الرَّمَل» هنا: بحـر من أبحر الشعـر. ووزنه «فاعِـلاتُنْ فاعِـلاتُنْ فاعِلُنْ» وأيضـاً لحن من ألحان الموسيقى.

عَـزَّ العـزاءُ وجَـلَّ الخطْب وانفَصَمَـتْ
عُـرى الـرجـاءُ وسُـدَّتْ أوجـهُ الحِيَـلِ
صُبَّـتْ عليّ هُمومٌ شيّبـتْ لِمَـي [١]
لا تستطيـعُ لها رضـوى [٢] مِـنَ النقـلِ
وطـافَ بي ضـاريـاتٌ مِـنْ نـوازِلها
تترى كسرب ذآبٍ طـافَ بـالحَمـلِ
عَجِّـلْ فَـديتُـكَ في تنفيـسِ أزمتِهـا
عنّي فقَـدْ خُلِقَ الإنسـانُ مِـنْ عَجَـلِ
ولا تكِلْنـي إلى نفسي فتَخـذُلَنـي
يـا مَـنْ عليـهِ لـدى الأهـوالِ مُتَّكَلي
مَـنْ حـادَ عنـكَ فقـد أعيـتْ مـذاهبـهُ
وهـل سرابُ الفـلا يَـروي مِـنَ الغلَـل
صَـلّى عليكَ مليكُ العـرشَ مـا سَلكَـتْ
بـالـوحي سبلُ الهدى نحلَ الخبـا الـذلَـلِ

١ـ اللِّمَّةَ: الشعر المجاوز شحمة الأُذن. وجمعها: لِمَمٌ ولِمام.
٢ـ رَضْوى: اسم جبل بين المدينة ويَنْبُع.

القصيدة الثانية

في مصاب مولانا الحسين

-عليه السلام-

[بحر الكامل]

أَبَتِ المنيةُ أن تَطيشَ سِهامُها ... قفْ بالديارِ ونادي أينَ كِرامُها

ما للبلاقعِ مِنْ لويٍّ باللِّوى ... قَدْ أنكرتْ أكنانَها آرامُها

ورسومُ أبيات بها لكنانةٍ ... لا تَستجيبُ مُنادياً أعلامُها

خَلَتِ المحاجِرُ مِنْ أكارِمِ هاشِمٍ ... فَعَلَتْ مُتونَ الشامخاتِ لِئامُها

وقفِا حماةَ الصيدِ في غابِ الشَّرى (١) ... وطوارقُ الذئبانِ هبَّ نيامُها

فَمَنِ المعزّي هاشماً في أسرةٍ ... شَطَّتْ مغانِيها وضِيمَ ذمامها

نَعبَ الغُرابُ بِهِمْ فَشَتَّتَ شَملَهُم ... كقلائِدِ المرجانِ سُلَّ نِظامُها

١ـ الشرى: المأسد.

مِنهـم سَليـبٌ ضَيَّعتـهُ بهالـقٌ ... منهـمْ خليـعٌ أخفَرتـهُ فَدامُهـا

مِنهـمْ صَريـعٌ بـالطفـوفِ مُجدّلٌ ... مِنهـمْ أسيرٌ كبّلتْـهُ شِئـامُهـا

تَهمـي لِـذِكْـرِهُـمُ مَحاجـرُ زَمـزمٍ ... عَبَـراً أبتْ أن ينقضي تَسجـامُهـا

وتَحنُ مثـلَ اليعمـلاتِ بِفقـدِهـمْ ... أعـلامُ مكّـةَ حِلُّهـا وحَـرامُهـا

ثُكِلتْ بهمْ أُمّ الخطـوبِ فأصبحتْ ... تبكـي مَـدى الـدنيـا لهم أيتـامُهـا

إنْ أنسَ لا أنسـى مَصـارعَ نَينـوى ... إذْ حـلَّ فيهـا بـالغـداةِ هُمامُهـا

فَجَـرتْ إليـهِ مِـنْ الطُّغـاةِ كتَـائبٌ ... ضاقَـتْ بهم سُهبُ الفلا وإكـامُها

تَبغـي البرازَ مـا سَمعنـا قبـلَ ذا ... تَـدعو الضُّـراغمَ للكفاحِ بهامُهـا

أو سيلُ هَيجـا لا تَقـومُ لـه الـزُّبـى ... أمسـى يسـدّ لـهُ السبيـلُ هيـامُهـا

فَغـدتـهُ عنهـم فِتيـةٌ مُضريـةٌ ... عُمـريـةٌ علـويّـةٌ أقـدامُهـا

يَفـرونَ اشـلاءَ بسمرٍ عَـواسـلٍ ... لبريقِهـا الأرواحُ تَخضَـعُ هـامُهـا

فكـأنّهم كُتّـابُ آجـالِ العـدى ... تجري لمحـوِ حُتـومِهـا أقـلامُهـا

فَيجـابُ مِـنْ كـراتِهم بِهمُ الـوَغـى ... فكـأنّهم شَـــرَدٌ أُميطَ خِطــامُهــا

أو أنّـــهم قـرعُ الخريـفِ قَـدِ انجلى ... مِنْ زَعـزعِ الـريحِ العقيـمِ رِكامُها

يَسقـونَهم بَــردَ العـلاقِمِ بَعــدَ مـا ... قَدْ طـالَ مِنْ حَـرِّ الوطيسِ إدامُهـا

حتـى حَـدا حـادي اللقـاءِ مُـؤذّنـاً ... بِفــراقِ أنفُسِهِـمْ وذاكَ مَــرامُهــا

فتبرمـــوا المحيــا ولـــولا أنّـــهُ ... لبنـت بـآسـادِ العــرينِ آجـامها

فَسطـا بهم ذؤبـــان رعيـانِ الفَــلا ... فغـــدا أكيـلَ فعـالها ضرغــامُهــا

تُـركـتْ على حـرِّ الهواجـرِ بـالعَـرا ... جُثثٌ يعـزُّ على الـرَّسـولِ مقـامُها

وَعَلَـتْ متـــونَ القضبيـــة أرؤسٌ ... تبكـي دَمـاً لفــراقِهـا أجســامُها

مهلاً بنـي الأمجادِ إنْ تقضي العِدى ... مِنكُم حُظـوظـاً لا يطـولُ مَقـامُهـا

إنَّ البـــدورَ إذا أصـــابَ تمامَهـــا ... نَقـصٌ سيتلـــو نَقصَهُـــنَّ تَمامُهــا

فسَطـا عليهـم والسيـوفُ سليلـةٌ ... والسمهـــريـــةُ شرَّعٌ أعـــلامُهـــا

والعـاديــاتُ أثَـرنَ نَقعــاً في السّما ... قَدْ جَـنَّ عينَ الشمسِ مِنهُ ظَـلامُها

ذو عــزمــةٍ أمّــا أحسَّ بـبأســهِ سَبَقَ القضـاءَ إلى النفـوسِ حِمامُهـا

يَجلـو الصفوفَ مِنَ الألـوفِ كأنّـهُ رَعـدٌ تشقّـقَ مِنْ صَـــداهُ غمامُهـا

تَتلـوهُ شهبٌ مِـنْ صـواعقِ عَضْبِـهِ حيثُ الـدِمـاءُ تـواتـرٌ اسجـامهـا

يُلقـي القيـادَ إليـهِ صُلـبُ رقـابِهمْ كـالعيرِ إذْ يسطـو بــهِ هِمهـامُهـا

فكـأنَّ بـارقَ سيفــهِ مــاءٌ طمىٰ تعــدو إليــهِ شُــرَّعاً أغنــامُهـا

كَـمْ ذَي ذوائب مِـنْ رؤوسِ أُميّـــةٍ ركـزتْ على صـدر القنـا أجـرامهـا

وهيـاكِلَ مـن آلِ صَــخْرٍ كُسّـرَتْ مـن صـولـةٍ عَلـويّـةٍ أصنــامهـا

يَهتـزُّ مِـنْ حَملاتِــهِ عَـرشُ الــوغـا ويمـوجُ مِنْ صمصـامِـهِ قُمقامُهـا

فكـأنّها قيــعُ السرابِ تَمورُ مِــنْ اشراقِهـا رادَ الضُّحـى اهضــامُهـا

عَـــيَّ المذاهـــبَ للكماةِ كـــأنّما قَـدْ طاشَ مِـنْ زعزاعِهـا أحلامُهـا

وفَـرائصُ الأمــلاكِ تَـرعَــدُ خِيفـةً والأرضُ تَـرجفُ أنْ يميـدَ سنامُهـا

وإذا بـدوحــاتِ الـوشيـجِ تَحنُّ في أفنــانها الغـضِّ اللـدانِ حمامُهـا

فـأجّـدَّهُ ذِكـرى عُهــودٍ بـالحمـى ... والــرقمتينِ تطــاولــتْ أيّــامُهــا

فَـأجـابَـها بلسـانِ حــالٍ صــادقٍ ... حيّـت تحيّتهــا وحـيّ ســلامهــا

فَأتـاهُ سهــمٌ لاصقٌ صـوبَ الحشـا ... مـادتْ لـهُ الـدنيـا فَخَـرَّ قُـوامُهـا

ضَجَّتْ مـلائكـةُ السماءِ وحَـوقَلتْ ... لمّا تَـوسّــدَ بالتُّــرابِ عِصــامُهـا

وَتكـوّرتْ شَمـسُ النهـارِ وغُـوّرتْ ... لُجَجُ البحـارِ ونُكّسـتْ أعــلامُهـا

وتَـزَلزلـتْ عمدُ المهـادِ ومارتِ الـ ... سبـعُ الشـدادِ وكُـدِّرتْ أنجـامُهـا

وتصـايحتْ طَيرُ الملا وتَصـارخـتْ ... وَحشُ الفَـلا وعَـلا السماءَ بغامُهـا

واهتَــزَّ عَـرشُ اللهِ جَلَّ جَــلالُــهُ ... وقيــامــةُ الإســلامِ آنَ قِيــامُهــا

وتَقَطَّعـت نـوطُ الأشــاوسِ خِيفـةً ... والصــافنــاتُ تَـزَعـزعـتْ ازلامُهـا

وَبكَتْ عليـهِ مَهابِطُ الـروحِ الأمينِ ... وَنــاحَـهُ نــوحُ الصـدىٰ إلهامُهــا

وارتَـجَّ اشــلاءٌ لخيرِ عصــابــةٍ ... قُطِعَتْ كَـريمتُهـا ورُضَّ عِظـامُهـا

وبَــرزنَ مِــنْ بينِ الخدورِ حَــرائرٌ ... قَـدْ شَبَّ مِنْ نـارِ الحريـقِ خِيامُهـا

نَهَبَ العِـدى مِنهـا الخمارَ وجـرّدت ... مِنهـا السـوارُ وقُطِّعـتْ أعصـامُهـا

حَسرى صـوارخُ نـاشراتٌ ذُهَّـلٌ ... يبكـي مَـلائكـةُ السماءِ لِطـامُهـا

تَـدعـوهُ مِنْ بينِ الثَّـواكـلِ اختُـهُ ... وتنـوحـهُ نـوحَ الهديـلِ حَمامُهـا

أ أخي أيـا حـامي الذِّمـارَ تَـركتني ... وهنَ المهـامـةِ حينَ جـنَّ ظَـلامُهـا

حَيرا تُـرَصِّـدُني سبـاعُ سُغَّـبٌ ... رَصَـدَ الخذولِ أضـاعَهـا قُـوّامُهـا

بـأبي قتيـلٌ بـالعَـراءِ مُجدّلٌ ... فَـردا وقَـدْ حـامتْ عليـهِ لهامُهـا

قَتَلتْـهُ قَـومٌ مُسلمـونَ وكبَّـروا ... اللهُ أكبرُ هـل بقـى إسـلامُهـا

والمرسـلاتُ مِـنَ السهـامِ تَظلّـهُ ... بِصحـائفٍ للموتِ فُـضَّ خِتامُهـا

بـأبي جَـريـحٌ لا يُـداوى جَـرحُـهُ ... وهـوَ المداوي مَـنْ نـداهُ عِقـامُهـا

سجيح (١) صدرٍ داسَهُ شَـرُّ الورى ... ويَـرى ويَسمعُ مـا جَـرى علاّمُهـا

وقَتيـلُ صَـبرٍ لا يجابُ نِـداؤهُ ... يَفـري مجاريَ نَحْـرِهِ غشـامُهـا

١ـ خُلُقٌ سجيح: سهلٌ ليِّن.

تَبكيهِ عينُ المكرماتِ بكاءَ يعقوبَ ... ليوسفَ لا يَفيضُ مُدامِها

وكأنّه أنّ الثكولَ لرزئِها ... سمرُ الكفاحِ وسهمها وحِسامُها

وتحنُّ مكّةُ والحطيمُ وزَمزمٌ ... والمشعرانِ وركنُها ومقامُها

عَجَبا لحلمكَ كيفَ أثخنكَ العِدى ... ورحى المنايا في يديكَ رِماحُها

وقُتلتَ عَطشاناً وأمواهُ الثَّرى ... مِنْ اصبعيكَ رضاعُها وفِطامها

حاشاكَ مِنْ عيٍّ ولكنْ رُبّما ... يَسأمُ مِنْ شربِ الدماءِ خشامُها

إنْ وطئتكَ خيولُهم فَلربّما ... إنّ الخطوبَ جُذَيْلُها مقدامُها

لا ذِلَّ إنْ نَصبوا كريمَكَ بالقَنا ... إنّ المجهزَّ في الحروبِ همامُها

إنْ هانَ قَتلكَ للطغاةِ فَجرَّما ... قُتلَ الضراغِمُ خيفةً محجامُها

مَنْ يُبلغنَّ محمداً عَنْ قَومِهِ ... إنّ المودّةَ قُطّعتْ أرحامُها

هَتَكَتْ طَغامُ أُميّةٍ وعُتاتُها ... مِنهُ الحرائمَ لا يُحَلُّ حرامُها

وَرَمَتْ بنيهِ مِنْ قسيّ هتاتُها ... بسهامِ غيّ لا يَفيقُ غَرامُها

واستَوقَدتْ نـاراً بها هيهـاتَ أنْ ... يخبـو إلى يـومِ القيـامِ ضِرامُهـا

وَقَضَتْ مِنَ الإسلامِ ثـارَ جُدودِها ... وبهِ استقـامَ لِصخرِها صَمصـامُها

لا حـيَ كـوفـةَ مـا عَـدا ممّـا بَـدا ... لمّا استجـابَ لمنْ دعـاهُ إمـامُهـا

عـرفتهُ إذْ هـوَ في الحجـازِ وأنكرتْـهُ ... حينَ عـرَّسَ بـالعـراقِ طَغـامُها

لبـوكَ يـا حَـرم الـوفـودِ وقـاتَلـوا ... قُتِلـتْ أُميّـةُ مـا جَنـى أحـرامُهـا

صَـافَتْ لقتِلك الطغـاةَ ومـا دَرتْ ... إن طـلَّ بعـدكَ فطـرُهـا وصيـامُهـا

أُفٍّ لعبـدِ الشمـسَ ثُـمَّ دعيـه ... مـا وَرَّثَـتْ لبنـي الهدى أعمالُها

إنْ يَقتلـوكَ فقَـدْ أبـرَتْ ديـارُهُـم ... وعلى بقيـةِ ذي الجلالِ خِتـامُهـا

القصيدة الثالثة

في مدح مولانا أمير المؤمنين

[بحر الخفيف]

سَحَّ طرفي الدموعَ حتى تَخلّى
وفُؤاديَ مِنَ الجوى لا يَسلّى

مَنْ يُؤديَ للصبرِ عَنّي سَلاما
إنّ قلباً حَواهُ مِنهُ تَخلّى

يا نذير المشيب اعذَرتَ أمّا
كانَ يَجدي الانذارُ مَنْ فيهِ ضَلاّ؟

قُلْ لطرفٍ لم يحظَ في السحرِ سَهما
قُرَّ عَيناً فَقدْ هَوَيتَ المُعلّى

لا تَصدَّنَّ طَرفَ عَينكَ عَنّي
هو واللهِ قاتِلي ليسَ إلاّ

سُلَّ بَينَ الجفونِ منهُ سيوفا
ودَمُ الناظِرينِ في البينِ طَلاّ

اعـــذراني في ثـــائرٍ لا يُـــراعـــي
مِـــنْ ذِمـــامٍ ولا يُـــراقِـــبُ إلاّ

لا يَغُـــــــرَّنَّـــكَ ابتســـــامٌ لماهِ
علّـــهُ طـــارقٍ يَـــرى الجدَّ هَـــزلا

فَـاقـضِ يـا ذا القَصـاصِ مـا أنـتَ قـاضٍ
قَـدْ مَلكـتَ الـرِّقـابَ عقـداً وحَـلاّ

كـــادَ مَـــنْ ذاقَ مـــا بفيـكَ لَيبلى
إنّ روحَ ابـنَ مَـــريـمٍ فيـكَ حَـــلاّ

غـنّ لي مَـدحَ مَـنْ ثَـوى بـالغَـريينِ
فـــإنّ النشيـــدَ مِـــنْ فيـــكَ أحلى

حَبّـــذا وقفـــةً بنهـــرِ المعلّى
ونُجـــومٌ مِنْ أُفقـــهِ تَتجلّـــى

وعهـــودٌ خَلَـتْ بـــأرضِ الغـــريينِ
سَقتهـــا الحيـــاءُ وَبْـــلاً وطَـــلاّ

لَســـتُ أنســـى بها معـــرسَ أنـــسٍ
جمعَ اللهُ للمنـــى فيـــهِ شَمـــلا

وجِنـــانــاً هَــوتْ قَنــادِيـلَ يــاقـو
تِ على قُبَّــةِ الـــزَّبَـرجَـــدِ تَدلّـــى

وعُيــــونـــــاً كـــأنّها نَحـــرُ علي
بعقـــودِ مِـــنَ اللئـــالي تَحلّــــى

وطُيـــــوراً على الغُصــــونِ تُغَنّيـــكَ
لحونَ الــزَّبــورِ فَصــلاً فَفَصـــلا

وظبــــاءً يطفــنَ حَـــولَ حماهــــا
لا ضبـــيُّ الفـــلاةِ عَطفـــا وَدلاّ

هٰـــــــذه (إنّما وليّكـــــمُ اللهُ)
تُنــــــادى بها نهاراً ولَيــــــلاً

بــأبي غــايـــة الـــوجـودِ ولَـــولاهُ
لَعـــــادتْ أُمُّ القَـــوابِــل ثكلى

صـــورةٌ أفـــزعيـــةٌ مَــنْ رآهـــا
كبَّـــــرَ اللهَ ذا العلـــــى وأهَـــلاّ

ذاكَ نُــورُ اللهِ الــذي خَــرَّ مــوسى
صَعِقـــاً مِـــنْ سنــاهُ لمّــا تجلّى

وكتـابُ اللهِ الـذي نَفحـاتُ القـدسِ

آيـاتُـهُ على النـاسِ تُتلى

ضَـلَّ مَـنْ قـالَ بـالتمثُّـل في اللهِ

ولـو أنّـهُ. لما كـانَ إلاّ

عَـرَّفُـوهُ بكـلِّ نَعْـتٍ بَـديـعٍ

مِـنْ مَعـانيـهِ والمعـرّفُ أجلى

كَـمْ لمنْ رامَ أنْ يصيـبَ مَـداهُ

قلتُ مِيـلاً أبعـدتَ مَـرمـاكَ مَهـلا

عليـم تستقـي جـداول جـدواه

بـوادي النفـوسِ عَـلاًّ ونَهـلا

كَـمْ لـهُ في السماءِ آيـاتُ نـصٍّ

بـاهِـرات كـالشمس بـلْ هـيَ أجلى

فَسَـلِ النجـمَ إذْ تهاوى إلى الأر

ضِ إلى بيـتِ مَـنْ هـوى وأدلاّ

وَسَـلِ الشمـسَ مَـنْ أقـام قنـاهـا

بَعـد مـا كـوِّرتْ فَقـامَ وصلّـىٰ

وَلمِنْ سَلَّمـتْ غَـداةَ دعـاهـا
في حُضـورِ مِـنَ الجماعـةِ قَبـلا

يـا لها مِـنْ منـاقـبٍ عـيَّ عنهـا
يعمـلاتِ النهـارِ والليـلِ ثِقـلا

جَـلَّ نفسُ الـرسـولِ عَـنْ أن تَسـامى
ضـلَّ قـومٌ بَغـوا لمثلـكَ مثـلا

لَـو سـألـتَ البيـتَ الحرامَ عَـنْ أوّلِ
مَـنْ صَـدَّقَ الـرسـولَ وصَلّـى

لَتجيبنَّـكَ الحصـى أنّـهُ هُـوَ
وعُلـوجُ الحجـازِ يَـدعـونَ بعْـلا

أيـنَ مـاحيُ الأصنـامِ مِنْ عـابـديها
تُعـسَ قـومِ قـاسَتْ على الشمسِ ظِـلاّ

يـا تُـرى أيـنَ كـانَ شيخـا قـريشٍ
يـوم نـادى جبرئيـلُ لا سيـفَ إلاّ

ربَّ أمـرِ لا يُحسـنُ الكشـفَ عنـهُ
سعـدُ دعنـي عَـنْ ذكـرِ سُعـدى وليَلىٰ

كـــم بـــــأُحـــــدٍ وخيبر وحنينٍ
هنـــــواتٍ لـــــو فُصلـــت لأمَـــــلاّ

مَـــنْ محى ظلمـــــةَ الضـــــلالِ ببـــدرٍ
وعَتيـــقٌ تحتَ العَـــريـــشِ استَظـــــلاّ

قَـــــدَّمـــــاهُ حتـــى أقـــامَ قَنـــا الإ
ســـلامِ فـــاستـأخـــراهُ لمّا استَقـــــلاّ

سِرْ حَنـــانَيـــكَ في البـــلادِ بـــاحـــثٌ
عَـــنْ بُطـــونِ الكـــرامِ جيـــلاً فَجيـــلا

فَـــانظُـــرنَّ هَـــلْ تَـــرى لتيـــم بـــنِ مـــرّ
أو عَـــــديّ يـــــا ســـعـــدُ فيهـــا مَحَلاّ ؟

لا وَمَـــنْ شَـــقَّ جـــانِـــبَ البيـــتِ حتـــى
دَخَلَـــــتْ فيـــــهِ أُمّـــــهُ وهـــي حُبلى

فتَجَلَّـــتْ عَـــنْ أسجـــحٍ هـــــاشمـــيّ
بُـــــوركَـــتْ حـــامِـــلاً وبـــــورِكَ حَملا

وَسَمـــى غـــــاربَ النبـــيِّ فَنَحَّـــى
عنـــهُ أصنـــــامَهُـــم وحَسبُـــكَ نَيـــلا

لَــو أُميــدتْ بــأهِلهــا الأرضُ حتــى

لا يُــــرى أثـــرٌ لآدمَ نَســـــلا

وُلْـــدَ تيــمِ بــنِ مـــرّةٍ وعَـــديّ

لا يكـــونـــانِ للخـــلافَـــةِ أهـــلا

ليــتَ شِعـــري أكـــانَ فيهـــم نبــيٌّ

بَعْـــدُ حتى يَكـــونَ بـــالنّـــاسِ أولى

أمْ أجـــاءوا صُلحـــاً بغيرِ ارتضـــاءٍ

مِـــنْ ذَويـــــهِ. أولىَ لهم ثُـــمَّ أولى

أمْ بـــاجماعِ أُمّـــةٍ ليــسَ فيهـــا

قَـــولُ أهـــدى الـــوَرى إلى الحقِّ سُبُـــلا

أقضـــاءٌ بِـــلا حُضـــورِ الخصمين

قضــــى اللهُ في ذوي الجورِ عَــــــدلا

فَليجِيـــزوا أفعـــالَ أُمّـــةِ مـــوســى

حينَ مـــا قَلَّـــدوا الإلُـــوهيّـــةَ عِجـــلا

حيـثُ كـــانُـــوا أشـــدَّ رُكنـــاً وأقـــوى

عُـــدَّةً مُنهـــم وأعـــــذرُ قَـــولا

لا وَحَـــقِّ النبــيِّ إمّــــا إمــــامٌ
أمَــــرَ اللهُ بعــــــدهُ أنْ يُولّــــــى

أو جُحــــودٌ بــــــهِ وقــــولٌ بــأنَّ
اللهَ خلّــــــى سَبيلهـــا لتَضِــــلاّ

أتَــــرى اللهَ مــــالــكَ الملـكِ عَــنْ
تَــــدبيرهِ للعبيـــــدِ عَـــيَّ ومَــــلاّ

أم رســـــول الإلــــــهِ ضَيَّـــع دينـــاً
طَـــلَّ فيـــهِ الـــدمـــاءُ حَتـــى تَعَلّـــى

إذْ تَولّــــــــــى ولم يُخَلِّـــــفْ زَعيماً
يَتحـــامـــى حَـــريمَـــهُ أنْ يُحَلّـــى

لا وَحَـــقِّ الإســــــلامِ لا ذي ولا ذا
كَـــذِبَ العـــادونُ حـــاشـــا وكَـــلاّ

سَعْـــدُ سِرْ نَحْــوَ طِيبــــةَ وائتِ قَبراً
خَضَعَـــــتْ دونَـــــــهُ الملائِكُ ذِلاّ

قبر خَيرِ الـــــورى وأكْـــــرمِ مَـــنْ دا
سَ تـــرابَ الغبراءِ حَــزنـــاً وَسَهْـــلا

زُرْ وطُـفْ حَـولَـهُ تَجِدْ فيـهِ أنـوا
رَ هـدي مِـنْ قِبـابِـهِ تَتَجلّـى

ثُـمَّ صِـحْ صَيحَـةَ الصَّـريخِ وقُـلْ يـا
ذا المعـالي عَليكَ ذو العَـرشِ صَلّـى

إلى أن يقول:

فتَـولاّهُ أطهَـرُ العـربِ ذَيـلاً
لم تُـولِـدْ لـهُ العقـائِلُ مِثْـلا

ثُـمَّ اعـرِجْ إلى ضَجيعيـهِ واسـألْ
لمنِ المرقـدِ الـذي فيـهِ حَـلاّ

يـا خَليلَـيَّ خَلّيـا عَـنْ مـلامـي
إنَّ وحْـراً في الصَّـدرِ لا زالَ يَغلّى

افتُـزوى خِـلافَـةُ اللهِ عَمّـنْ
حَفَّـهُ اللهُ أنْ يُسـاجَـلُ فَضْـلا

وهُـو قُطـبُ الـرحمنِ تَـدورُ عليـهِ
دائراتُ الأكـوانِ عُلُـوّاً وسُفْـلا

خُـصَّ مِـنْ ربِّـهِ بأنـوارِ قُـدسٍ
مَـلأنَ خـافِقيـهِ عَـرضـاً وطُـولا

وَيَليهـا مِـنَ الإلٰـهِ جملٌ فيهـا
ولا نـاقـةٌ ولا هَـزَّ خَيـلا

يـا أميرَ الـوَرى مـديحةَ عبـدٍ
قَـدْ أتـى مـوصـلاً بحبلِـكَ حَبـلا

فتَقَبَّـلْ منـه بضـاعـةَ عـافٍ
لم يجدْ للـوفـودِ غيرَكَ أهـلا

صِـلْ وجُـدْ أيّها العـزيـزُ واوفِ
الكيـلَ وازددهُ مِـنْ نـوالِـكَ كَيـلا

القصيدة الفريدة الحسينية

لنابغة عصره الميرزا

مصطفى المجتهدي التبريزي

١٢٩٧ ـ ١٣٣٧

قد تقوم القصيدة الواحدة مقام ديوان كبير من الشعر الفصيح، وقد تخلق من صاحبها شاعراً فذّاً يقف في مصاف الشعراء البلغاء الذين يأتون في القمة من نوابغ الشعر والأدب ، فقصيدة ابن زريق البغدادي التي أرسلها من الأندلس وهو على فراش المرض، والموت منه قاب قوسين، أرسلها لابنة عمه وهي في بغداد ويقول في مستهلّها:

لا تعذليه فإن العذل يوجعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

من القصائد الخالدة وكانت في مصاف الخالدات من الشعر العربي أمثال هاشميات الكميت، روميات أبي فراس، وحجازيات الشريف، وهذه القصيدة خلّدت نفسها كما خلّدت معها صاحبها ابن زريق.

مثال آخر: لم يُسمع لأبي الحسن الأنباري شعر سوى قصيدته في رثاء أبي طاهر وزير عزّ الدولة الذي صلبه عضد الدولة وحفظت وكتبت سرّاً وبُثّت في الأطراف حتى قيل إنهّا أحسن قصيدة في رثاء مشنوق وإليك مستهلّها:

علوّ في الحياة وفي المماة لحقّ أنت إحدى المعجزات

ثم يصف المشنوق وصفاً عجيباً يمزج فيه الرثاء بالمديح إلى أن يقول:

ولم أر قبل جذعك قطّ جذعاً تمكن من عناق المكرُماتِ

ومالك تربة فأقول تُسقى لأنك نصب هطل الهاطلات

ويقول أيضاً سلوة لآل محمد ﷺ لأجل اظهار العداء لأعدائهم:

ركبت مطيّة من قبلُ زيد علاها في السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسّ تباعد عنك تعيير العدات

إنّ آل محمد ﷺ دائماً هم السلوة للمصابين والمهمومين.

مثال ثالث: ولا ينسى الدهر قصيدة أبي الحسن التهامي في رثاء ولده، تلك القصيدة التي تنوف على سبعين بيتاً كلها حكم وأمثال وكل أبياتها من الشعر الرصين المتساوي بالجودة لا سقط فيه ولا ضعة مستهلّها:

حكم المنيّة في البريّة جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

إلى أن يقول:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

إلى أن يقول:

جاورت أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري

ولقد أطلنا الحديث عن الشعراء الذين رفعتهم قصيدة واحدة إلى مصاف العظماء من الشعراء ولم أذكر إلاّ قليلاً منهم ولولا قصائدهم لكانوا أُناساً مغمورين لا يعرف لهم أحد شيئاً ولربّما نسخوا من صفحة التاريخ الذي سجّلهم بمداد البقاء وحبر الخلود.

وهذه قصيدة واحدة من هذه القصائد:

بعد هذا أقول عندي قصيدة واحدة من شأنها أن تجعل من صاحبها علماً مشهور الاسم معروفاً عند جميع الأُدباء الناطقين بالضّاد. وهذه القصيدة الفريدة التي تخلف عن ديوان واحد لشخصية فذّة كان أحد أفذاذ أُمته وعباقرتها في القرن الرابع عشر الإسلامي، وهو العلاّمة الحجّة الشيخ مصطفى التبريزي ابن العلامة الشيخ حسن (المجتهدي) خريج حوزة النجف الأشرف في العقد الثالث من القرن الرابع عشر، ولد عام ١٢٩٧ هـ.ق في موطن آبائه وأجداده مدينة تبريز في مركز محافظة آذربيجان وبعدما تلّقى الدروس اللازمة من أساتذة بلدته غادر تبريز قاصداً النجف الأشرف وتخرّج فيها على العلاّمة الحجة المحقق الخراساني (م/ ١٣٢٩) وشيخ الشريعة الأصفهاني (م/ ١٣٣٩) وغيرهما من المراجع العظام، وكفى في علو مقامه ما قال فيه العلاّمة الزعيم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

تُركتْ سيوفُ الهندِ دُونَكَ في الفَتْكِ ... على العربِ العُربا وأنتَ مِنَ التُركِ
تبرّزت مِن (تبريز) ربّ فصاحة ... بها مدنياً قد حسبناك أو مكّي
فكَمْ لَكَ مِنْ نَظْمٍ ونَثْرٍ تَزَيَّنتْ ... بِنَفسِها المسكي كافُورةَ المسكِ
لو الملكُ الضِلّيلُ يُهدى لمثلِها ... لظلّ يُفاديها [1] وإنْ عَزَّ بالمسكِ
تُسَلّيهِ عَنْ (ذِكرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ) ... وَيَضْحَكُ اعجاباً بها مِنْ (قِفَا نَبْكِ)
إذا رحْتَ تَتْلوها غَدا وهوَ قائلٌ ... فَدَيْتُكَ واللسنُ الأعاريبُ يا تُركي

١ـ لعلها يغاديها، أي يغدو عليها كل صباح تطييباً بالمسك الثمين.

لُبابُ مَعانٍ يُسْحِرُ اللُّبَّ لفظُها ... فَيَحْسِبَهُ نَظْمُ اللآلي بلا سِلْكِ
ولكنَّ آي (المصطفى) آية العُلا ... أنارَتْ فآثَرَتِ اليَقينَ على الشَّكِّ
فَتىً زادَ أيامَ الصّبا سُمْكَ رِفْعَةٍ ... تَقاصَرَ شأوُ الشَّيبِ عَنْ ذلكَ السمكِ
وَتَلقاكَ قَبلَ الاختبارِ مُهذَّباً ... مخايلُهُ تُغني اللبيبَ عَنِ المسكِ

هذا هو العلاّمة أبو المجد الشيخ محمد رضا الأصفهاني، صاحب كتاب نقد فلسفة دارون وغيره، يمدحه ويذكره في شعره، فيقول:

عَلوتَ في الفضل السُّها والسّماك ... وأنت بدرٌ والمعالي سَماك
لا غرو إنْ فُقتَ الثريّا عُلاً ... فأنتَ في ذلك تقفو أباك
علّمت قلبي مبعداً بعدما ... رأيته بين الأنام اصطفاك
ومُذ حللتَ القلبَ أكرمتُه ... وكيف لا يكرمُ مثلي حماك
أخطفته من بين أضلاعه ... إنْ همّ أنْ يعشقَ شخصاً سواك
من البُكا أذهبت طرفي وما ... أصنع بالطرف الذي لا يراك
كلُّ بني الأتراك أهواهُمُ ... وأصطفي منهم (خليلاً) أخاك [١]

يقول العلاّمة الأميني في حق صاحب القصيدة الفريدة التي بين أيدينا: «ولقد حوى على مجده الأثيل، وشرف بيته المنيع في الأخلاق، كرماً في النفس ولباقة

١ـ تلميح إلى أخيه الأكبر منه المسمى بميرزا خليل ـ رحمه الله ـ.

في العلوم وغيرهـا مما أبـدَّ له الذكـر الجميل والثنـاء المتواصل، وأمّـا هو في الأدب العربي وسرد قـريضه، فـواسطة عقـده، ومرتكـز لوائه، تـوفي عام وفـاة أبيه سنـة (١٣٣٧ هـ. ق) مضى فقيـد العلم والأدب، فقيد الذكـاء والحذق، فقيد الفضل والكمال، فقيد النهى والأخلاق، وترك آثاراً علمية:

١ــ أُرجوزة في علـم العروض والقـوافي شرحهـا زميله العـلاّمـة أبو المجـد الأصفهاني [1].

٢ـ رسالة في قاعدة الخطأين.

٣ـ حواشي على لسان الخواص للعلاّمة رضيّ القزويني (م/ ١٠٩٦).

٤ـ رسائل مختلفة في الفلكيات والرياضيات [2].

اقرأ ترجمته في المصادر التالية:

١ـ عبد الحسين الأميني: شهداء الفضيلة، ط النجف ٣٨٨ هـ .

٢ـ علي الخاقاني: شعراء الغري ١١/ ٣٢١ـ٣٤٥ وقد نقل قسماً من أشعاره.

٣ـ الطهراني: نقباء البشر / ٥٨٤.

٤ـ الحصون ٨/ ٢٩٠ و٩/ ١٥٢.

إذا تعرّفت على شاعـرنا المجيد بعض التعريف فها إليك قصيـدته الفريدة على البحـر الطـويل الـذي يواكـب فيهـا الشعراء الجاهليين في البـدء والختـام. والقصيدة حـول شهادة الإمـام الطاهـر في يوم عاشـوراء بيد الطغمـة الجائرة من البيت الأموي وأذنابه.

١ـ من نسخة عند الكاتب بخط الإمام السيد الخميني ـ قدس سرّه ـ

٢ـ شهداء الفضيلة: ص ٣٨٨.

القصيدة الحسينية الفريدة [1]

[بحر الطويل]

أنـــاخَـتْ على قَلبـي الكَــآبَــةُ والكَــربُ
عَشيَّـــــة زَمَّ العِيــسَ للظَّعــنِ الــــرَّكــبُ

وَقَـــدْ فَقَـــدَتْ عَينــي الــرُّقــادَ بفَقــدِهــم
فَلَـمْ يَلـقَ مُــذْ لم ألقهُـمْ هُــــذبــاً هُــذْبُ

خَليليَّ مـــا لي في سِـــوى الحبِّ حـــاجَـــةٌ
ولا لكُما في صـــــاحِـــبِ شفَّـــــهُ الحبُّ

وَقـــائلــــةٍ لي. عــــزِّ قلبَـكَ بَعْـــدَهُـــمْ
فَقُلـتُ: أصَبْتِ النُّصـحَ لــو كــانَ لي قلـبُ

فَقَـــدْ عــــادَ مني طيِّـعُ الصَّـــــبر جــامحاً
غـــداة النَّــوى إذْ ذلَّ مِـنْ أدمعي صَعْـبُ

وَقَــدْ أرخَصْــتُ منــي الـــدمـــوعَ ولم أزلْ
أُغـــالي بـــدَمعـي كُلّما استــامَـــهُ خَطْـبُ

١ـ شهداء الفضيلة: ص ٣٨٩ ـ ٣٩١.

رَزيّــةُ قَــومٍ يَمّمــوا تــربَ كَـربــلا
فَعــــادَ عَبيراً مِنهُــمُ ذلــكَ التُّربُ

أكــارِمُ يَــروي الغَيـثُ واللّيـثُ عَنْهُـمُ
إذا وَهَبــوا مـلءَ الحقـائبِ أو هَبّــوا

إذا نــازَلُــوا الأعــداءَ اقْفَــرَّ رَبْعُهــا
وإنْ نَــزَلُـوا في بلــدةٍ عَمَّهــا الخَصبُ

تَخفُّ بهم يَــومَ اللِّقــاءِ خُيــولُهم
فتَحسبهــا ريحاً على مَتنِهــا الهَضْـبُ (١)

إذا انْتُــدِبــوا يَــومَ الكــريهةِ أقبلــوا
يُســابـق نَــدْبـاً مِنْهُــمْ مـاجِـدٌ نَــدْبُ

بِبيــضٍ صَقِيــلاتِ الغــرارِ تخالها
مِــراراً فكَـمْ للحــربِ نـاراً بها شَبُّــوا

ومــا كُــنَّ لَــولا انهنّ صَــواعِــقٌ
لتَــــرسلها إيمانُهم وَهـــيَ السُّحــبُ

---

١ ـ الهضب: الجبل المنبسط.

أنـــاخُـــوا بها والمجْـــدُ مِـلءَ دُروعِهِـــمْ
وكـــلٌّ على رَغْـــم العِـــدى للعُلى تـــربُ

وَكُـــلٌ للثـــمِ البيـــضِ حُمراً خـــدودُهـــا
وَضَـــمّ قُـــدود السُّمْـرِ [١] مـــا مَلَّـــه صَـــبُّ

يُكلّفَهُـــم أبنـــاءُ هنـــدٍ مَـــذلّـــةَ
وَتُـــوصيهُـــمُ بـــالعِـــز هِنـديـــةٌ قُضْـــبُ [٢]

فَهَبَّـــتْ وَهُـــمْ سُفـــنُ النَّجـــاة بِهمْ إلى
غِمارِ المنـــايـــا مِـــنْ سَـــوابِحهـــم نكـــبُ [٣]

بِســـابِـــغِ صَبرٍ دُونَـــهُ مـــا تَـــدَرَّعُـــوا
وَصَـــارمِ عَـــزْمٍ دونـــهُ الصَّـــارمُ العَضْـــبُ

فَـــأضْحـــى (إمـــامُ المسلِمينَ) مُجرَّداً
وَحِيـــداً فَـــلا آلٌ لَـــديـــهِ ولا صَحْـــبُ

فَظَـــلَّ وَلَيْـــلُ النَّقْـــعِ داجٍ تَحُفُّـــهُ
نُصُـولُ القَنَـا كـالبَـدرِ حَفَّـتْ بـهِ الشُّهـبُ

١ـ السمر: الرمح.
٢ـ قُضب: السيف القطاع.
٣ـ نكب: نوع من الريح بين الصبا والشمال.

وَقَــدْ ولِيَ الهِنــدِيُّ تَفــرِيــقَ جَمْعِهِــمْ
فَصَــحَّ (لتَقسيمِ) الجسومِ بِــهِ الضــرْبُ

إلى أنْ قَضــى ظَمآن والماءُ دونَــهُ
(مُبــاحٌ على الــرُّوادِ مَنْهَلُــهُ العَــذْبُ)

فَيــا لَهَفَــةَ الإســلامِ في آلِ هــاشِمِ
ووا حَــربَــاً للــدّيــنِ ممّــا جَنَــتْ حَــرْبُ

بِنَفْسِيَ يــا مــولايَ خَــدُّكَ عــافِــراً
وجسمُــكَ مَطــروحــاً أضرَّ بِــهِ السّلــبُ

فــإنْ جَعَلُــوا للخَيــلِ صَــدْرَكَ مَــرْكَضــاً
فَقَــدَ عَلِمــوا أنَّ المجــالَ لها رَحْــبُ

وإنْ نَهَبــوا تِلــكَ الخيــامَ بِكُفْــرِهِــمْ
فَــوَفْــرُكَ قِــدَمــاً بينَ أهــلِ الــرّجــا نَهبُ

وإنْ بَــرَزَتْ تَلــكَ الــوجُــوهُ فَــإنّما
عَلَيهــا مِــنَ الأبْصــارِ مِــنْ هَيْبَــةٍ نُقْــبُ

الفقيه المتكلّم الأديب

الميرزا يوسف التبريزي

١٢٧٩ ـ ١٣٣٧

وقد نبغ في هذه المنطقة في القرن الرابع عشر شاعر مجيد، وناظم مفلق، وقد ضمّ إلى أدبه الجمّ اطّلاعاً واسعاً في الكلام، وتوغّلاً في الفقه، وهو أديب الفقهاء، وفقيه الأُدباء، ابن عمّ المرجع الكبير الميرزا صادق التبريزي، الذي سيوافيك شعره وحياته.

وقد كان العلَمان كالفرقدين في حياتهما العلمية والأدبية، وكان المترجم يقدّر ابن عمّه المرجع الكبير، وسيوافيك شعره في حقّه.

وإليك لمحةً خاطفةً من ترجمته:

هو يوسف ابن الفقيه ميرزا علي بن العلاّمة محمد علي القراجه داعي .

يقول العلاّمة الطهراني: عالم فاضل شهير، له لسان الحق في الردّ على النصارى، وقد تشرّف بزيارة العتبات عام ١٣٣٧ وتوفي في الكاظمية ودفن في الرواق الشريف [١].

وترجمه الواعظ الخياباني في العلماء المعاصرين، وذكر أنّه وُلد عام ١٢٧٩، وقرأ الآليات والمقدمات في موطنه ثم ألقى رحله في النجف الأشرف عام ١٢٩٩ وقرأ على الأساتذة: الفاضل الايرواني، والشيخ محمد هادي الطهراني، وغادر

١ـ الطهراني: نقباء البشر: مخطوط.

النجف عام ١٣١١ قائماً بأعباء التدريس والزعامة.

وكان ـ رحمه الله ـ يؤم الجماعة، ويخطب في شهر رمضان بلسان ذلق يأخذ بمجامع القلوب.

تآليفه:

١ـ لسان الحق أو مظالم المسيحيين في الردّ على النصارى والتثليث. طبع عام ١٣٣٦ هـ.

٢ـ حكم ترجمة القرآن إلى سائر اللغات.

٣ـ ديوان في المدائح والمراثي [1]. وهو أثر خالد ونحتفظ منه بنسخة وإليك نماذج من نظمه:

١ـ الواعظ الخياباني: العلماء المعاصرون: ١١٥ـ١١٦.

في رؤية هلال محرم

ذُقِ الموت إنّ الموتَ أمــــــــرٌ محتَّـــمُ
وكـــلُّ البَرايــــا للمنيـــــة مُطعَـــمُ
تَـــرى نُــوَبَ الأيـــام تترى وليس مــا
يُنجّـــي الفتـــى منهـــنّ إلاّ التسلُّـــمُ
وتلتــــذُّ مـن شهـــد الحيــاة وبعـــدَهُ
تـــرى أنّ طعـــمَ الموت في الفـــم علقـــمُ
تمرُّ الليــــالي لا تبــــالي بمَــــرِّهـــا
وتنقطــــع الأعمارُ منـــك وتُختَـــــمُ
فكـــن ثـــابتـــاً عنـــد الشـــدائد إنّها
بها بـــــانَ عـــن ذاتِ الخمار المُعَمَّـــمُ
وإنْ رُمـتَ نيـلَ المجـد فـارضَ بما قضـى
عليـك الليـــالي لا تُخالــف فتنــــدَمُ
يسيّـــرُك الآمـــال حيـث تــريـــده
أمـــا سمعـتْ أُذنـــاكَ حـلّ المُحــرَّمُ

أهـــلَّ هـــلالٌ ليتَـــه في محاقـــهِ
ثـــوى لا يـــؤلّـف منـــه بـــدرٌ مُتَمَّـــمُ

كما بقيـــتْ مـــن آلِ فِهـــرٍ أهلّـــةٌ
ثـــلاثَ ليـــالٍ في محاقٍ هـــو الـــدمُ

وهـــم وضعـــوا بين الأكـــفِّ رؤوسهـــم
لنصرِ حسينٍ والفـــــــــؤادُ مُضرَّمُ

يخوضـــون تيّـــارَ الحروبِ ومـــا لهم
ســـوى الموتِ همٌّ أو ســـوى القتل مغنـمُ

سقـــوْا بـــدم الأعـــداء حـــدّ سيـــوفهـم
ومـــا ابتـــلّ بـــالماء الفـــراتِ لهم فَـــمُ

فبـــاتـــوا على وجـــه الصعيـــد كـــأنّهم
نجـــومٌ ولكـن بـــالـــدمـــاء تُغَيَّـــمُ

مـــآتـــمُ كـــانـت بـــالعـــراق تعـــدُّهـــا
أُميّـــةُ مـــن أعيـــادهـــا وتُعظّـــمُ (١)

١ـ من ديوانه المخطوط ص ٣٧ـ٣٨.

وله قصيدة يشكو فيها أهل زمانه

أُردّد طـــــرفي بين زهـــــرِ الحدائق
ويشغَلُنــي عنهــنّ بيــضُ المَفـــارقِ

وأسرحُ في روضِ الغـــرامِ نـــواظـــري
ولكــنّ شيبـي مــؤذنٌ بـــالبـــوائقِ

رغبــتُ إليهـــا والأمـــاني تقـــودُني
ولا شـكّ انّ الموت بـالــزجــرِ سـالقي

وفتّشـتُ مــن أهـلُ الــزمـــانِ قلــوبَهم
وجــدتُ الأعــادي في لبـاس الأصـادقِ

فما بين قـــــوّالٍ بغيرِ رَويَّــــــةٍ
ومـــا بين صنّـــاع ضليـعِ المنـــافـقِ

قضـى الــودُّ مني بعــد شيبـي فـلا أرى
مفـــاخــرةً في ثـــوبـــهِ والمنـــاطـقِ

وعيّـــرت ممـــن لاحَ فيـــه بيـــاضُـــهُ
ومـــا خلـــتُ أن الشيـــبَ أسرعُ لاحـــقِ

إذا كـــان وجـــد المرء لم ينفـــع الفتـــى
فـــأبغـضُ شيءٍ عنـــدنـــا قلـب وامـــقِ

وأتعبـــتُ نفسي في طـــريـــق الهوى وقـــد
وجـــدتُ الهوى في قَـولِـه غَيرَ صـــادقِ [1]

١ـ من ديوانه المخطوط ص ٨٧.

وله في رثاء الحسين

ـ عليه السلام ـ

فخــاضَ في الحربِ والأسيــافُ تـأخـذهُ
مـع الــرمــاحِ كلَيْـثٍ حلّ في الأجَـمِ

حتـى دنــا القــدرُ المحتــومُ خــرَّ على
وجـه الثـرى والثـرى مثـل الـوطيس حمي

يقــول وهـــو على الــرمضــاء مجنــدلٌ
وفي الحشــا مثل مــا بــالنـار مـن ضَــرَمِ

أنــا ابـن بنـت رســول الله فــاطمــةٍ
مـن لحمــهِ نـابتٌ لحمي ومنــه دمي

وأقبـل الشّمـــرُ والهنـــديُّ في يــــدهِ
يسطـــو عليـــه بضرب السيـف والكَلِـمِ

وأقبلـــت أُختـــه الحوراء نـــادبـــةً
تجرُّ أذيــــالَها مـــن شـــدَّةِ النِّقَـمِ

نــادتْ أيــا شمــرُ مهــلاً ليـس يُحمَــدُ في

قتـلِ ابـن فــاطمــة التعجيـل فــاحتشـمِ

وقــد تَغَيَّـــرَ وجــهُ الكـــون وانكسَفـتْ

شمـسُ النهــارِ وهَـبَّ الــريـحُ بــالظُّلَـم

إذا بــــرأس حسينٍ بـــالقنـــاة عـــلا

كـأنّـه الشمـسُ قـد شيلـتْ على العَلَـمِ (١)

١ ـ من ديوانه المخطوط ص ٤٣.

العلاّمة المرجع الدينيّ الأعلى

آية الله ميرزا صادق التبريزي

١٢٧٤ ـ ١٣٥١

هنا نلتقي شـاعراً مبرزاً وهو مـن أعيان علماء آذربيجان وزعمائهـا الدينيين قلّد سنين متطاولة فلم يلفَ منه إلاّ حنكـة في الأمر، وعدلاً في القضاء، وسداداً في الرأي، وثقافة في الاصلاح.

ولد عـام ١٢٧٤ في بيت العلم ومهد الفضل وارتحل إلى النجـف في أواخر العقد الثاني من عمـره وهبط ذلك المركز وأقام الرحل قرابـة ٢٤ سنة، قضى أكثر عمره في تلك المدة عند العلاّمة الحجة المحقق الشيخ محمد هادي الطهراني المتوفّى عام ١٣٢١ هـ، ولما أتمَّ دروسه انتقل إلى مسقـط رأسه قائماً بـالوظائف الـدينية بأحسن ما يمكن، فقـد كان المترجم ناهضاً بأعباء المسـؤولية حتى قضى نحبه في قم المشرفة يوم الجمعة ٥ ذي القعدة عام ١٣٥١.

وبعين الله ما كـابده في أُخريـات حياتـه من الشدائد والملمات التي قـابلها بجأش طامن ولب راجح وفي سبيل ربّه ما استهانـه منها في الدعوة إليه، فلم يزل خالـداً بعمره الثاني وله في القلـوب وبين أحناء الضلوع محتبى ومقـام، وأُقيمت له المآتم في بـلاد إيران عامـة. له المقـامات الغـروية في مباحـث الألفاظ. رسـالة في المشتق. كتاب الصلاة، وشرح التبصرة لم يتم. رسالة في شرائط العوضين وانتصاف المهر بالموت، رسالة في بعض مسائل الصلاة.

إنّ للعلاّمة ميرزا يوسف ابن عم المترجم قصيدة في مدحه، نكتفي منها بما يلي:

عَثــرَ الـــدهــرُ في مَـــزالقــهِ
صـــانَــكَ اللهُ عــن طـــوارِقــهِ

أصبــحَ الــدهــرُ بعــدهُ مُستقيــلاً
ظــلّ يــرجــوكَ في لَـــواحِقــهِ

لـــو يكــن للعــــلا غيركَ أهــلٌ
أنــتَ تـــاجٌ على مَفـــارقـــهِ

وإذ يـــركــبُ الأُنـــاسُ جيـــاداً
أنــتَ تعلـــو على عـــواتقــهِ

أرغمـــتَ دونـــكَ الأُنـــوفَ إذا
حبلُـــكَ اجتـــاز في منـــاشقــهِ

تـــوأمٌ أنــتَ والحِجــى فـــاحمدنـــهُ
أكثـــرُ النـــاسِ غيرُ ذائقـــهِ

أنـــتَ أُمُّ البيـــان غيرُكَ أمســـى
خـــابطـــاً فيــه مــن تَشـــادقِــهِ [1]

---

١ ـ من ديوانه المخطوط ص ٦٨.

ومن شعر العلّامة الحجة
المرجع الديني في آذربيجان آقا ميرزا صادق
في رثاء علي الأكبر

[بحر الطويل]

أيــا غــافِــلاً والموتُ ليسَ بغــافــلٍ
وسَهــمُ المنــايــا عنــكَ ليــسَ يَحولُ

تَــرومُ نطــاقَ العِــزِّ تبرمَ عَقــدَهُ
وكــلُّ نطــاقِ العــزِّ لا بــدَّ محلــولُ

ومَــنْ شــاهَــدَ الــدنيــا رآهــا مُقيمــةٌ
مــآتــمَ منهــا في السماءِ عَــويــلُ

كَقتــلِ عليّ بــنِ الحسينِ الــذي لــهُ
لآيــاتِ نَعــتِ الأطهــرينَ شُمــولُ

بَــدا كَــوكبــاً مِــنْ آيةِ النــورِ ســاطِعــا
لَــهُ في ذُرى بَيــتِ النبــوّةِ تَعــدِيــلُ

مَنــازلُ أبــراجِ الإمــامــةِ مُنــزلٌ
ولكِــنْ لــهُ بُــرجُ الشهــادَةِ تَحويــلُ

هُــوَ الكــوكــبُ الــدرّيُّ سيماء أحمدٍ
بــهِ لمعتْ فــأُنشِـدَ فيــهِ الأقــاويـلُ

شَبيـــهُ رســـولِ اللهِ خَلْقــاً ومَنطقــا
لـــهُ مِــنْ عليّ في الشجــاعــةِ تَـأْويـلُ

وشــاهِــدَهُ يــومَ الطفــوفِ الــذي بــهِ
خُيــولُ المنــايــا في البسيــطِ تَجولُ

فَقــامَ يُحامــي عَــنْ أبيــه وأهلـــهِ
على مــوقـفٍ قَــدْ حــارَ فيــهِ عُقــولُ

يَخوضُ المنــايــا والمنــايــا تَطيعــهُ
إلى حيــثُ مــالَ العَــزمُ مِنــهُ تَميـلُ

فَيبــدو كَليـثٍ دامــيَ الظفــرِ لــونــهُ
وفي لَبــدهِ مــاضي الغــرارِ صَـــقيلُ

سقــى غلــةَ السيــفِ المهنــدِ وانثنــى
على ظمــأ لم يـــروِ منــــهُ غَليـــلُ

يُـــريـــدُ لقــاءً مِــنْ أبيــهِ لعلمـــهِ
بــأنّ البَقـــا مِــنْ بَعـــدِ ذاكَ قليــلُ

فَجـــاءَ لتـــوديـعِ الإمـــامِ ونَفســـه

لأعظـــمِ سرٍّ في اللقـــــاءِ حَمولُ

فَقـــامَ إليـــهِ ابـنُ النبـيِّ مبـــادِرا

كـأنَّ الــذي يَـأتي إليــهِ رَســولُ

وَمِـنْ خَلفِـهِ للفـاطميـاتِ مَشيـة

تلــوّي على اقـــدامهـن ذُيـــولُ

مَشينَ إليـــهِ صـــارخـــاتٌ فتـــارةً

قيـــامٌ وأُخـــرى للقعـــودِ تَميـلُ

فَعـــانَقْنَـهُ والـــدمعُ مِـلْءَ جُفـونِـهِ

أفي الـدمـعِ مِنْ عظـمِ المصـابِ بَـديلُ

وقَـــدْ غـــارَ عينـــاهُ لفــرطِ ظمائِهِ

وفي القلــبِ وقـــدٌ والشفـــاهُ ذبـــولُ

فَقـــالَ: أبي روحـــي تطيرُ مِـــن الظما

وجسمـيَ مِـنْ ثقـلِ الحديـــدِ نَحيـلُ

فَقـــالَ حسينٌ. والـــدمـــوعُ بـــوادرٌ

ومِنْ حـولِـهِ للبـاكيـاتِ عَـويـلُ

إذا لم تَجِدْ بُـــدّاً إلى مـــا تَـــرومَـــهُ
فَصبرِكَ يـــابـــنَ الأطيبينَ جَميـــلُ

فَعـــادَ إليهـــمْ حـــاسراً عَـــنْ ذِراعِـــهِ
كحيـــدرةِ الكَـــرارِ حينَ يَصـــولُ

فـأحمى وَطيسَ الحربِ يَعسـوبُ هـاشـمٍ
يطـــالـبُ بـــالثـاراتِ وهـيَ طَليـــلُ

لَـــهُ سطـواتٌ أدهـشَ الكـونَ رَوعُهـــا
أكثـــر جَمعٍ عِنـــدهُ لَقليـــلُ

فنـالَ بِحـدِّ السيفِ مـا هُـوَ طـالـبٌ
ولكنّما التَّقـــديـــرُ قـــامَ يَحولُ

فَســاقَ إليــهِ ضَــربةً لابــنِ مُنقــذٍ
وقَـــدْ غـــالَـــهُ حينَ استجـمَ خُيـــولُ

كَضربـــةِ ابـــن مُلَجَـمِ الشُّـحِ جـــدّهِ
فللنـــاسِ أشبـــاهٌ ولـــلأمـــرِ تَمثيـــلُ

فـإنْ كـــانَ سَيفُ البغـيِ فَلَّـقَ هـــامـهُ
فَحبـــوهُ جـــدٌ حـــازَ مِنـــهُ سَليـــلُ

فَعـــانَـقَ مُهْــراً كــانَ راكـبَ ظهــرَهــا
وَعـــانَقَـــهُ سيفُ العِـــدى ونُصــولُ

فتنهشـــــهُ حتــى تَقطَّـــع جسمــــهُ
بـأسيـــافِهـم والنَّفـسُ مِنـــهُ تَسيـلُ

وإذْ بلــغَ الـــروحُ التراقـي خــاطـبَ
الإمــــامَ بتبشيرٍ حَبـــاهُ جَليـــلُ:

أبي إنَّ جَـــدي قَـــدْ سَقـــاني بكـأسِـــهِ
وأُخــــرى بكفَّيـــهِ لسقيـكَ تَنــويـلُ

فَقــــامَ إليـــهِ حُجــــةُ اللهِ مِثلما
يقــــومُ إلى لُقيـــا الممات عَليـــلُ

فَلما دَنــــا مِنــــهُ تَيقّـــنَ أنّــــهُ
هُــــوَ السرُّ فيما لم ينلـــــهُ خَليـــلُ

فَقــالَ على الـدنيـا العَفـا بعـدكَ العَفـا
ومثلـــكَ مَتلـــــولُ الجبينِ قَتيـــلُ

لَقــدْ غــابَ نَجْمٌ مِــنْ ذؤابـةِ هــاشـمٍ
فَـــلا طــالـعٌ منهــا ســواهُ عَـــديلُ

وهذه قصيدة

فريدة له في رثاء أحد الأعلام وهو العلاّمة الحاج ميرزا عبد الكريم إمام الجمعة في «تبريز» الشهيد يوم الخميس ٨ جمادي الآخرة مع نجله الفتى الكريم سنة ١٣٣٦

[بحر الكامل]

أكَـــذا يَهدّ الكفـــرُ ديـــنَ محمـــدِ
والمسلمـــونَ بمنظَـــرٍ وَبمشهَـــدِ

وَيعيـــثُ بـــالإســـلامِ طـــارقُ غَـــدرهِ
إذْ لاحَ يَـــردى بـــالإمـــامِ الأوحَـــدِ

أودى بِمنتَجَـــعِ المكـــارمِ والهُدى
وسليلـــةِ الفَـــرعِ الكـــريـمِ الأمجدِ

مِـــنْ بيـــتِ علـمٍ شُيِّـــدتْ أركـــانُـــهُ
بمعـــالمٍ مَـــوروثـــةٍ مِـــنْ (أحمدِ)

وجمَالِ أهـــلِ العصرِ أطيـــبَ عنصرٍ
وافى بمنقطـــعِ العُلى والسُّـــؤدَدِ

وَمفـــاخِـــرٍ قَـــدْ عـــانقَـــتْ صَـــدَر السما
في طَلعـــةٍ كـــالكَـــوكـــبِ المتَـــوقِّـــدِ

ومُطَــوّقِ الأعنــاقِ بــالمينِ الجســامِ
مُثَقِّــلاً أكتــافَهُــمْ بــالعَسجَــدِ

يــومُ السماحَــةِ في أنــامِلِــهِ النَّــدى
أمــواجُ بحــرٍ بــالسبــائِكِ مُــزبــدِ

يــأوي الـــزَّمـــانُ لظلِّـــهِ ذلاًّ كما
يــأوي إلى جُنــحِ الــدُّجــى لِتَهَجُّــدِ

الـــديـــنُ والـــدنيـــا لقتلهما غَـــدا
قَفــراً كـــرسـمِ المنــزلِ المتــأبّــدِ

لله أيُّ رزيــــــةٍ رُزيَ الأنــــــا
مُ بها بِعيـــدٍ. بَــلْ بيـــومٍ أنكــــدِ

مِنْ بَعـــدِهِ العليــاءُ غــارَ بِحــارُهــا
ودمـــوعُ أنجـمِ فُلكهــا لم تجمــــدِ

مَــنْ لـــلأرامِــلِ واليَتــامــى بعـــدهُ
أمْ مَــنْ يقــومُ بِحــاجــةِ المستَنجِــدِ

في الضُّـــرِّ كـــانــوا لائذيــنَ بِظلِّــهِ
مثــلُ اليَتــامــى للـــوليِّ المنجِــدِ

مَــنْ ذا يُعَظِّــمُ لـــلإلــــهِ شَعــــائراً
في أرضِـــــهِ ويَصونُـــــها مِـــنْ مُلحِـــــدِ

وَيُقـــــوِّمُ الإســـــلامَ يَـــــرفَــعُ للسَماْ
رايـــــاتَـــــهُ ي مَحشـــــدٍ أو مَشْهَـــــدِ

مـــن ذا يُنـــــاجـــــي اللهَ في الظلماءِ أو
مَـــنْ ذا لمحـــرابِ الصَّـــلاةِ وَ مَسجِـــدِ

فَقَـــدوهُ فقـــدَ الأرضِ هـــاطـلِ وبلَهــــا
فَـــــدمـــوعُهُـــمْ تَجري بقلـــبٍ مُكمَـــــدِ

تَبكـــي السَّماءُ عليـــــهِ بـــــالعينِ التـــي
كــــانـــتْ بها تَبكـــي على (ابـــنِ محمـــدِ)

وسليلـــــــهِ في جَنبِـــــهِ مُتَضَمِّخــــــاً
بـــدمِ النبـــــوّةِ بَـــلْ بمهجـــــة (أحمدِ)

قتـــــلاً كما قُتِـــلَ (الحسينُ) وشِبلُـــــهُ
بمـــــريّـــشٍ ومُســـــدّدٍ ومُهنّـــــدِ

ختامه مسك

كانت بلدة تبريز بلدة خصبة بـالعلم والفضل وقد أنجبت في طول القرون أُدباء شامخين وخطباء مفلقين وفقهاء بارعين إلى غير ذلك.

لقـد بزغ في تـاريخ البلدة في القـرن الـرابع عشر علمان جليلان، وفقيهـان عظيمان وهما العلاّمة ميرزا صادق التبريـزي والسيد أبو الحسن الانگجي وهما من أقطاب العلم وزعماء الدين.

إنّ السلطة الغـاشمة البهلويـة عندما أرادت ارسـاء دعائم الحكم رأت أنّ علماء الدين أكبر مـانع في وجه مقاصدهـا المشؤومة فلأجـل ذلك ألقت القبض على كثير من المحنّكين في القيادة الإسلامية.

وممن ألقت عليه القبض العلاّمـة الحجّة السيد أبو الحسن الانگجي ذلك الفقيه البارع فسفّرته من موطنه إلى سنندج من بلاد كردستان عام ١٣٤٧ هـ. ق. ولما وقف علماء تلـك البلـدة على الـوافـد المسفّر ومـا لـه مـن شأن احتفلـوا بـه واستقبلوه بتكريـم، وممن استقبله الشيخ علي أحمد المحمودي السننـدجي فمدح السيد في أبيات، أجاب عنه السيد المترجم بقوله:

سـلامٌ هــو الإسـلامِ فـاقَ لـواؤه ... وفـــازَ على السنّــيِّ والمتشيِّــعِ

كَشمسِ الضُّحى أُولاه بالنورِ عِندكُمْ ... وأُخـراهُ نـارٌ في فـؤادي وأضلعـي

على الأحمدِ المحمـــودِ دامَ عَــلاؤه ... بِجِــدٍّ سعيـــدٍ في نعيمٍ مُمتَّــعِ [1]

---

١ ـ سمعناه شفهياً عن ولده البارع الحاج ميرزا أحمد علي الانگجي.

والآبيات من بحر الطويل وتوفّي الناظم في مسقط رأسه عام ١٣٥٧ هجرية، ودفن في مقبرته الخاصة به.

ولولده الحاج ميرزا محمد علي هذان البيتان كتبه لبعض أصدقائه:

هر چه گشتيم نديديم ترا مثل و نظير
الحق اى دوست، توان گفت ترا ثانى نيست

سعدى، آن مصلح شيراز چنين مى گويد
مرد دانا به جهان داشتن ارزانى نيست

والحمد لله ربِّ العالمين

فهـــرس الكتـــاب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الحسينيات ٥٥

المراسلات ١٦٥

النوادر ١٩٣